

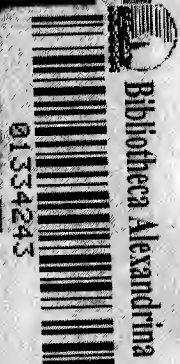
عبد الأمير مهنا

أخبار المصطفى

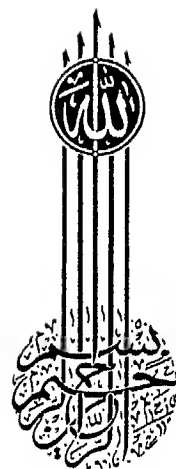
وقصص المحدثين

في العصرين الأموي والعباسي

دار
المكر اللبناني



أخبار المصلوبين
وَقَصُّ الْمَذْبُونِ
في العصرين الأموي والعباسي



المصنفون المعاصرون في العصرين الأموي والعباسي

إعداد
عبد الأمير مهنا وحسين مرتضى

دار الفكر اللبناني
بيروت

دار الفكر للنشر والتوزيع

طباعة والنشر

كورنيش المزرعة - حمص - غروب دمشق

هاتف: ٣١١٥٧٨ - ٨٦٣٢٩٣

فاكس: ٤٦٩٩٠ أو ٤٦٩٩٠

تلجكس: DAFKL 23648 LE - بيروت، لبنان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

لم يكن التعذيب، بمعناه الهمجي، مألوفاً في العصر الجاهلي بالنظر لقيم البداوة المناهضة للتنكيل. والتعذيب، بمعنى الانتقام والتشفي لم يكن ممارساً في عصر صدر الإسلام، ذلك لأن النبي ﷺ بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، من أجل ذلك كان شعار الإسلام: لا إكراه في الدين. ثم إن الخلفاء الراشدين ساروا على منهاج الرسول في الدعوة إلى المحبة والرحمة والعطف، إلى أن بدأ التسلط على الناس وتعذيبهم والتنكيل بهم واضحاً في أيام زياد بن أبيه، حيث دفن البعض أحياء، وقطع أطراف بعض النساء... ثم جاء بعده ولده عبيد الله بن زياد، ثم الحجاج بن يوسف... إلى أن تعددت أساليب التعذيب في العصر العباسي، حيث مارس بعض الخلفاء والقواد والولاة جميع ألوان العذاب بأشد ما يكون من البغي والقسوة.

عُرف التعذيب أولاً نفسياً، ينصب على كرامة المتهم أو شرفه الشخصي، أو يطال أحياناً معتقداته الخاصة، ثم تطوّر مع الزمن، فاستخدم بمعناه الهمجي الذي ينصب على الجسد بألوان من العذاب، وطرق يقشعّر البدن من تصوّرها، ويحتبس اللسان عند ذكرها، ويرتعش القلم عند تدوينها، تدلّ على مقدار ما عند بعض الناس من وحشية لا يتدنّى إليها حيوان الغاب، كقطع الرؤوس وصلبها، وتقطيع الأوصال، وسلخ الجلود، وسمل العيون، وبقر البطون، وحرق الجثث، ودفن الناس أحياء، وقلع الأظافر والأضراس، وصلب الأبدان حيّة، أو تسميرها، أو تعذيبها بالنار، وسلّ الألسن، والخنق، والشنق، والسلق، والمساهرة، وثقب الكعاب، وقرض اللحم، أو شيّه... وألوان أخرى من التعذيب سيطلع عليها القارئ في صفحات هذا الكتاب.

لقد قرأنا كثيراً من كتب التراث التاريخية، وبذلنا جهدنا في جمع مادة هذا الكتاب، قدر المستطاع، وقسمناها إلى ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: في أخبار المصلوبين وقصصهم.
- والفصل الثاني: في أخبار المعذبين.
- والفصل الثالث: في أخبار المقطعي الرؤوس.

وفي كثير من الحالات كنّا نثبت الرواية التاريخية كاملة كما وردت في المصادر، وفي حالات أخرى كنّا نختصرها إذا كانت طويلة، لكن دون زيادةٍ عليها، أو تعديل فيها، وقد أثبتنا بعض الروايات التاريخية التي لا تعود إلى العصرين الأموي والعباسي آمليين أن نكون وُفقنا في عملنا، والله الموفق.

عبد الأمير مهنا

حسين محمود مرتضى

الفصل الأول

في أخبار المصلوبين وتقصصهم

جثة أحمد الخزاعي تُصلب ست سنين

جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٤٠، أن الواثق بالله هارون أرسل كتاباً إلى أمير البصرة يأمره أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وكان تبع أباه في ذلك، ثم رجع آخر أمره.

وكان أحمد بن نصر الخزاعي من أهل الحديث قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحضره الواثق من بغداد إلى سامراً مقيداً وسأله عن القرآن، فقال: ليس بمخلوق، وعن الرؤية في القيامة، فقال: كذا جاءت الرواية، وروى له الحديث، فقال الواثق له: تكذب، فقال للواثق: بل تكذب أنت. فقال: وَيَحْكُ! يُرى كما يُرى المحدود المتجسّم، ويحويه مكان ويحصره الناظر؟ إنما كفرت برب صفته ما تقولون فيه؟

فقال جماعة من فقهاء المعتزلة الذين حوله: هو حلال الضرب، فدعا بالسيف وقال: إذا قمت إليه فلا يقومنّ أحدٌ معي، فإني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعبد ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ثم أمر بالنطح، فأجلس عليه وهو مقيّد، فمشى إليه، فضرب عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد فُصلب بها، وُصّلت جثته في سامراً، واستمر ذلك ست سنين إلى أن ولي المتوكل، فأنزله ودفنه.

ولما صُلب، كتب ورقة وعلقت في أذنه فيها: هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك، دعاه عبد الله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفى التشبيه، فأبى إلا المعاندة، فعجله الله إلى ناره.

* * *

صلب ابن أبي الفوارس

روى الطبري، قال:

في السنة ٢٨٩، ظفر شبيل غلام الطائي، برئيس من رؤساء القرامطة، يُعرف بابن أبي الفوارس، وبعث به إلى الحضرة، فدعا به المعتضد وأمر به، فقلعت أضراسه، ثم خلعت مفاصله بمدَّ إحدى يديه بيكرة، وعلَّق بالأخرى صخرة، وترك على حاله تلك من نصف النهار إلى المغرب.

ثم قطعت يداه ورجلاه من غد ذلك اليوم، وضربت عنقه وُصِّلَ بالجانب الشرقي، ثم حُمِلت جثته بعد أيام إلى الياسرية، فُصِّلَ مع مَنْ صُلب هناك من القرامطة.

(راجع الطبري ١٠: ٨٦)

* * *

صلب أحمد بن علي الغساني

روى ياقوت في معجم الأدباء، أن أبا الحسين أحمد بن علي الغساني الملقَّب بالرشيد، المتوفى سنة ٥٦٢، كان يتعصَّب لصلاح الدين، فقبض عليه شاور، الوزير المصري، فأدخل إلى قوص مكبلاً بالحديد، ثم أدخل إلى القاهرة مشهراً على جمل، وعلى رأسه طرطور، ووراءه جلواز يضربه ثم صُلب.

* * *

صلب رأس الأمير إسماعيل حاكم العراق

في تاريخ العراق للعزاوي، أنه في السنة ٧٨٠ كان الأمير إسماعيل بن الأمير زكريا، حاكم العراق ببغداد ذاهباً يوم الجمعة إلى الجامع الذي أنشأه، فاغتاله مبارك شاه، فقتله وقتل عمه، وقطع رأس الأمير إسماعيل، وصلبه في جدار الجامع الذي بناه.

* * *

صَلْبُ أَعْرَابِي

بلغ أماجور التركي، أمير دمشق للمعتمد، أن أعرابياً أهان جندياً من جنوده بأن نتف شعرتين من شاربه، فأمر بالأعرابي، فنتف شعر بدنه كله من أجفانه، ورأسه، ولحيته، وما ترك على جسمه شعرة، ثم ضربه ألف سوط، وقطع يديه، ورجليه وصلبه.

* * *

ابن حلبة يصلب على السور

في سنة ٤٧٦، عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش بتحريض من قاضيه ابن حلبة، فقصدوا شرف الدولة وحصرها ورموها بالمنجنيق، فخرّب من سورها، وفتح البلد، وأخذ القاضي وأخذ معه ابنين له، فصلبهم على السور. (راجع ابن الأثير، حوادث سنة ٤٧٦)

* * *

صلب ابن حماد وحماتي التاجية وابن زريق

في الجامع المختصر ص ٢٦١، أنه في السنة ٦٠٥، سرقت غلة في التاجية من غلات الديوان، فخرج قوام الدين، وكيل الخليفة، وصدر المخزن، إلى قرية بريدة في معاملة نهر الملك، وصلب ثلاثة أشخاص هم: أبو القاسم بن حماد، الذي كان ناظراً بنهر الملك، والثاني: حماتي التاجية، والثالث: شخص يُعرف بابن زريق.

* * *

صلب رأس ابن الطراح

جاء في تاريخ العراق للعزاوي، أنه في السنة ٦٩٤، اعتقل صدر واسط والبصرة، فخر الدين مظفر بن الطراح، فطوّق وضرب وعذّب، ثم قُتل، وحمل رأسه إلى واسط، وعلّق على الجسر بعد أن طيف به في شوارعها وسوقها.

* * *

ابن مكناس يصلب منكساً

جاء في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي، أن الظاهر برقوق قد صادر الوزير ابن مكناس، فاعتقله وعذّبه، وصلبه في السجن منكساً على رأسه، فقال:
وما تعلّقت بالسرياق منكساً لحرمة أوجبت تعذيب ناسوتي
لكنني منذ نفثت السحر في أدبي علّقت تعليق هاروت وماروت
● وفي «الإسلام والدول الإسلامية في الهند»، أن سلطان الهند إبراهيم لوري كان يعذب الناس في سجونهم، بأن يصلبهم منكسين، أرجلهم إلى الأعلى ورؤوسهم نحو الأرض.

* * *

صلب ابني الأنصاري

روى ابن تغري بردي، في النجوم الزاهرة، قال:
لما ولي الظاهر الفاطمي الخلافة في السنة ٥٤٤، قتل ابني الأنصاري، وكانا قد استعليا في دولة أبيه الحافظ، فضربهما بالسياط وقطع أيديهما، وسلّ لسانيهما من القفا، ثم صلبهما.
(راجع النجوم الزاهرة ٥: ٢٩٥)

* * *

صلب أبي جعفر بن عطية

روى المقري، في نفح الطيب، قال:
وصلب عبد المؤمن الكومي الموحدي وزيره أبا جعفر بن عطية. ومن غريب ما يروى أن الشاعر أبا بكر الأوسي، مدح أبا جعفر بقصيدة، قال فيها:
أبا جعفر نلت الذي نال جعفر ولا زلت بالعليا تسرّ وتحبر
فلما سمع الوزير هذا البيت تغرّ وجهه، لأن جعفر البرمكي نال قطع العنق والصلب، وكان من العجب، أن أبا جعفر كان مصيره مصير جعفر البرمكي، حيث صُلب.

* * *

صلب ابن أبي عون

في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، قُتل أبو جعفر محمد بن عليّ الشلمغانيّ المعروف بابن أبي القراق، وشلمغان التي يُنسب إليها قرية بنواحي واسط.

وسبب ذلك أنه قد أحدث مذهباً غالياً في التشيع والتناسخ، وحلول الإلهية فيه، إلى غير ذلك ممّا يحكيه، وأظهر ذلك من فعله أبو القاسم الحسين بن رُوح، الذي تسمّيه الإمامية الباب، متداول وزارة حامد بن العباس، ثم اتّصل أبو جعفر الشلمغانيّ بالمحسن بن أبي الحسن بن الفرات في وزارة أبيه الثالثة، ثمّ إنّه طُلب في وزارة الخاقانيّ، فاستتر وهرب إلى الموصل، فبقي سنين عند ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان في حياة أبيه عبد الله بن حمدان، ثمّ انحدر إلى بغداد واستتر، وظهر عنه ببغداد، أنّه يدّعي لنفسه الربوبية، وقيل إنّه اتّبعه على ذلك الحسين بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب الذي وزر للمقتدر بالله، وأبو جعفر، وأبو عليّ ابنا بسطام، وإبراهيم بن محمد بن أبي عون، وابن شبيب الزيّات، وأحمد بن محمد بن عبدوس، كانوا يعتقدون ذلك فيه، وظهر ذلك عنهم، وطُلبوا أيام وزارة ابن مقله للمقتدر بالله، فلم يوجدوا.

فلما كان في شوال، ظهر الشلمغانيّ، فقبض عليه الوزير ابن مقله وسجنه، وكيس داره، فوجد فيها رقاعاً وكتباً ممّن يدّعي عليه أنّه على مذهبه، يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضاً، وفيها خطّ الحسين بن القاسم، فعُرضت الخطوط، فعرفها الناس، وعرضت على الشلمغانيّ، فأقرّ أنّها خطوطهم، وأنكر مذهبه، وأظهر الإسلام، وتبرّأ ممّا يقال فيه، وأخذ ابن أبي عون، وابن عبدوس معه، وأحضرا معه عند الخليفة، وأمرا بصفعه فامتنعا، فلما أكرها مدّ ابن عبدوس يده وصفعه، وأمّا ابن أبي عون، فلإنّه مدّ يده إلى لحيته ورأسه، فارتعدت يده، فقبّل لحيه الشلمغانيّ ورأسه، ثم قال: إلهي، وسيدّي، ورازقي؛ فقال له الراضي: قد زعمت أنّك لا تدّعي الإلهية، فما هذا؟ فقال: وما عليّ من قول ابن أبي عون، والله يعلم أنّي ما قلت له إنّني إله قط!

فقال ابن عبدوس: إنّه لم يدّعِ الإلهية، وإنّما ادّعى أنّه الباب إلى الإمام

المنتظر، مكان ابن رَوْح، وكنتُ أظنُّ أنه يقول ذلك تقيّة، ثمَّ أحضروا عدّة مرّات، ومعهم الفقهاء والقضاة، والكتّاب، والقوّاد، وفي آخر الأيام أفتى الفقهاء بإباحة دمه، فصُلب ابن الشلمغاني، وابن أبي عون، في ذي القعدة، فأحرقا بالنار. وكان الحسين بن القاسم بالرقّة، فأرسل الراضي بالله إليه، فقتل آخر ذي القعدة، وحُمل رأسه إلى بغداد.

(راجع الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٨: ٢٩٠ وما بعدها)

* * *

صلب ابن عائشة

في سنة عشر ومائتين ظفر المأمون بإبراهيم بن محمّد بن عبد الوهّاب بن إبراهيم، الإمام المعروف بابن عائشة، ومحمّد بن إبراهيم الأفرقيّ، ومالك بن شاهي، ومَن كان معهم ممّن كان يسعى في البيعة لإبراهيم بن المهديّ.

وكان الذي أطلعه عليهم وعلى صنيعهم عمران القطرُبليّ، وكانوا اتّعدوا أن يقطعوا الجسر إذا خرج الجند يتلقّون نصر بن شَبَث، فنمّ عليهم عمران، فأخذوا في صفر، ودخل نصر بن شَبَث بغداد ولم يلقه أحد من الجند، فأخذ ابن عائشة، فأقيم على باب المأمون ثلاثة أيّام في الشمس، ثمَّ ضربه بالسياط، وحبسه، وضرب مالك بن شاهي وأصحابه، فكتبوا للمأمون بأسماء مَن معهم في هذا الأمر من سائر النّاس، فلم يعرض لهم المأمون، وقال: لا آمن أن يكون هؤلاء قذّوا قوماً براء.

ثمَّ إنّه قتل ابن عائشة وابن شاهي ورجلَيْن من أصحابهما، وكان سبب قتلهم أن المأمون بلغه أنّهم يريدون أن ينقبوا السجن، وكانوا قبل ذلك بيوم قد سدّوا باب السجن، فلم يدعوا أحداً يدخل عليهم، فلمّا بلغ المأمون خبرهم ركب إليهم بنفسه، فأخذهم، فقتلهم صبراً، وصلب ابن عائشة، وهو أوّل عباسيّ صُلب في الإسلام؛ ثمَّ أنزل وكفن، وصليّ عليه، ودُفن في مقابر قریش.

(راجع الكامل، لابن الأثير ٦: ٣٩١)

* * *

ابن المسلمة يصلب حياً

روى صاحب «المنتظم»، أن القائد البساسيري استعمل القنارة في تعذيب رئيس الرؤساء ابن المسلمة، وكان ابن المسلمة نافذ الكلمة في دولة الخليفة القائم، وكان شديداً على الشيعة، حتى أنه في السنة ٤٤٨، أمر بقتل أبي عبيد الله بن الجلاب، شيخ البزازين بباب الطاق لما كان يتظاهر به في الغلو في الرفض، فقتل وصلب على باب دكانه.

وعندما احتل البساسيري بغداد سنة ٤٥٠، اعتقل ابن المسلمة، ثم أخرجته من محبسه بالحريم الطاهري وعليه جبة صوف وطرطور من لبدٍ أحمر، وفي رقبته مخنقة من جلود كالتعاويد، وأُركب جملاً وطيف به في محال الجانب الغربي، ووراءه من يصفعه بقطعة جلد، وشهر في البلد، وسبّ، ولعن في جميع المحال، ثم نصبت له خشبة بباب خراسان، فحطّ من الجمل، وخيط عليه جلد ثور قد سلخ في الحال، وجعلت قرونيه على رأسه وعلّق بكلايين من حديد في كتفيه واستبقي في الخشبة حياً، ولبث يضطرب إلى آخر النهار، ثم مات.

* * *

صلب ابن مسلم

في سنة خمس وعشرين ومائة، مات هشام بن عبد الملك بالرصافة، وكانت خلافته تسع عشرة سنة، وعمره خمس وخمسون سنة، كانت حافلة بالأحداث المتنوعة... منها إن غيلان بن يونس، وقيل ابن مسلم، أبا مروان أظهر القول بالقدر في أيام عمر بن عبد العزيز، فأحضره عمر واستتابه، فتاب، ثم عاد إلى الكلام فيه أيام هشام، فأحضر من ناصرة ثم أمر به، ففُطعت يداه ورجلاه، ثم أمر به، فُصلب. (راجع الكامل لابن الأثير)

* * *

صلب أبي الحسين البريدي والأكراد

في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة، في ربيع الأول، قدم أبو الحسين البريدي إلى بغداد مستأمناً إلى توزون، فأمنه، وأنزله أبو جعفر بن شيرزاد إلى جانب داره،

وأكرمه، وطلب أن يقوّي يده على ابن أخيه، وضمن أنه إذا أخذ البصرة يوصل له مالا كثيراً، فوعده النجدة والمساعدة، فأنفذ ابن أخيه من البصرة مالا كثيراً، خدّم به توزون وابن شيرزاد، فأنفذوا له الخلع، وأقرّوه على عمله.

فلما علم أبو الحسين بذلك سعى في أن يكتب لتوزون، ويقبض على ابن شيرزاد، فعلم ابن شيرزاد بذلك، فسعى به إلى أن قبض عليه، وقبض وضرب ضرباً عنيفاً، وكان أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي قد أخذ أيام ناصر الدولة فتوى الفقهاء والقضاة بإحلال دمه، فأحضرها، وأحضر القضاة والفقهاء في دار الخليفة، وأخرج أبو الحسين، وسُئل الفقهاء عن الفتوى، فاعترفوا أنهم أفتوا بذلك، فأمر بضرب رقبة، فقتل وصلب، ثم أنزل وأحرق، ونُهبت داره، وكان هذا آخر أمر البريديين، وكان قتله منتصف ذي الحجة.

وفي سنة تسع وستين وثلاثمائة سیر عضد الدولة جيشاً إلى الأكراد الهكارية من أعمال الموصل، فأوقع بهم وحصر قلاعهم، وطال مقام الجند في حصرها.

وكان من بالحصون من الأكراد ينتظرون نزول الثلج لترحل العساكر عنهم، فقدر الله تعالى أن الثلج تأخر نزوله في تلك السنة، فأرسلوا يطلبون الأمان، فأجيبوا إلى ذلك، وسلموا قلاعهم، ونزلوا مع العسكر إلى الموصل، فلم يفارقوا أعمالهم غير يوم واحد حتى نزل الثلج.

ثم إن مقدّم الجيش غدر بهم، وصلبهم على جانبي الطريق من معلشايا إلى الموصل نحو خمسة فراسخ، وكفّ الله شرهم عن الناس.

(راجع الكامل لابن الأثير ٨: ٤٤٢)

صلب أشبانس

في سنة اثنتين وتسعين، غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني عشر ألفاً، فلقي ملك الأندلس، واسمه أذرينوق، وكان من أهل أصبهان، وهم ملوك عجم الأندلس، فزحف له طارق بجميع من معه، وزحف الأذرينوق

وعليه تاجه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل الأذرينوق وفتح الأندلس سنة اثنتين وتسعين.

وأول من سكن الأندلس قوم يُعرفون بالأندلس، بشين معجمة، فسُمي البلد بهم، ثم عُرِبَ بعد ذلك بسين مهملة، والنصارى يسمّون الأندلس إشبانية، باسم رجل صُلب فيها يُقال له أشبانس، وقيل باسم ملك كان بها في الزمان الأول اسمه إشبان بن طيطس، وهذا هو اسمها عند بطليموس. وقيل سُميت بأندلس بن يافث بن نوح وهو أول من عمرها، قيل: أول من سكن الأندلس بعد الطوفان قوم يُعرفون بالأندلس، فعمروها وتداولوا ملكها دهرًا طويلاً وكانوا مجوساً، ثم حبس الله عنهم المطر وتوالى عليهم القحط، فهلك أكثرهم وفرّ منها من أطاق فرار، فخلت الأندلس مائة سنة، ثم ابتعث الله لعمارتها الأفارقة، فدخل إليها قوم منهم أجلاهم ملك أفريقيا، تخففاً منهم لقحط توالى على بلاده حتى كاد يُفني أهلها، فحملهم في السفن مع أمير من عنده، فأرسوا بجزيرة قادس، ورأوا الأندلس قد أخضبت بلادها وجرت أنهارها فسكنوها وعمروها، ونصبوا لهم ملوكاً يضبطون أمرهم، وهم على دين من قبلهم، وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب من أرض إشبيلية بنوها وسكنوها وأقاموا مدة تزيد على مائة وخمسين سنة، ملك منهم أحد عشر ملكاً.

ثم أرسل الله عليهم عجم رومة، وملكهم إشبان بن طيطس، فغزاهم ومزّقهم وقتل فيهم وحاصرهم بطالقة وقد تحصنوا فيها، فابتنى عليهم إشبانية وهي إشبيلية، واتخذها دار مملكته، وكثرت جموعه وعتا وتجبر، وغزا بيت المقدس، فغنم ما فيه وقتل فيه مائة ألف، ونقل المرمز منه إلى إشبيلية وغيرها، وغنم أيضاً مائدة سليمان بن داود، عليه السلام، وهي التي غنمها طارق من طليطلة لما افتتحها، وغنم أيضاً قُلَيْلة الذهب والحجر الذي لقي بماردة.

وكان هذا إشبان قد وقف عليه الخضر وهو يحرق الأرض، فقال له: يا إشبان، سوف تحظى وتملك وتعلو، فإذا ملكت إيلياء فارق بذرية الأنبياء. فقال: أتسخر مني؟ كيف ينال مثلي الملك؟ فقال: قد جعله فيك من جعل عصاك هذه كما ترى. فنظر إليها، فإذا هي قد أورقت، فارتاع وذهب عنه الخضر، وقد

وثق إشبان بقوله، فداخل الناس، فارتقى حتى ملك مُلكاً عظيماً، وكان ملكه عشرين سنة، ودام ملك الأشبانين بعده إلى أن ملك منهم خمسة وخمسون ملكاً.
(راجع الكامل لابن الأثير ٥٥٦:٤)

* * *

صلب الأفشين

كان الأفشين قد أنفذ إلى المعتصم يطلب أن يُنفذ إليه مَنْ يثق به، وأنفذ إليه حمدون بن إسماعيل، فأخذ يعتذر عمّا قيل فيه، وقال: قلْ لأمر المؤمنين، إنّما مثلي ومثلك كرجل ربّى عجلاً حتى أسمى، وكُبر، وكان له أصحاب يشتهون أن يأكلوا من لحمه، فعرضوا بذبحه، فلم يجبه، فاتفقوا جميعاً على أن قالوا: لِمَ تربّي هذا الأسد، فإنّه إذا كبر رجع إلى جنسه! فقال لهم: إنّما هو عجل؛ فقالوا: هذا أسد، فسَلْ مَنْ شئت. وتقدّموا إلى جميع مَنْ يعرفونه، وقالوا لهم: إن سألكم عن العجل، فقولوا له: إنّهُ أسد، وكلّما سأل إنساناً قال: هو سبع، فأمر بالعجل فذبح، ولكني أنا ذلك العجل كيف أقدر أن أكون أسداً؟ اللّهُ اللّهُ في أمري.

قال حمدون: فقمْتُ عنه، وبين يديه طبق فيه فاكهة قد أرسله المعتصم مع ابنه الوائق، وهو على حاله فلم ألْبث إلّا قليلاً حتى قيل إنّهُ يموت أو قد مات، فحُمِلَ إلى دار إيتاخ، فمات بها، وأخرجوه وصلبوه على باب العامّة ليراه الناس، ثم أُلقي وأُحرق بالنار، وكان موته في شعبان من سنة ست وعشرين ومائتين.

* * *

صلب أهل حمص

وفي سنة سبع وعشرين انتفض أهل حمص على مروان.

وكان سبب ذلك، أنّ مروان لمّا عاد إلى حَرَان بعد فراغه من أهل الشام أقام ثلاثة أشهر، فانتفض عليه أهل حمص، وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نُعيم وراسلهم، وأرسل أهل حمص إلى مَنْ يتدبّر من كلب، فأتاهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبي وأولاده ومعاوية السكسكي، وكان فارس أهل الشام، وغيرهما في نحو من

ألف من فرسانهم، فدخلوا ليلة الفطر، فجاء مروان في السير إليه ومعه إبراهيم المخلوع وسليمان بن هشام، وكان قد آمنهما، وكان يُكرمهما، فبلغهما بعد الفطر بيومين وقد سدَّ أهلها أبوابها، فأحرق بالمدينة ووقف بإزاء باب من أبوابها، فنادى مناديه الذين عند الباب: ما دعاكم إلى النكت؟ قالوا: إنّا على طاعتك لم ننكت. قال: فافتحوا الباب. ففتحوا الباب، فدخله عمر بن الوضاح في الوضاحية، وهم نحو من ثلاثة آلاف، فقاتلهم مَنْ في البلد، فكسرتهم خيل مروان، فخرج بها من باب تدمر، فقاتلهم مَنْ عليه من أصحاب مروان فقتل عامّة من خرج منه، وأفلت الأصبع بن ذؤالة وابنه فرافصة، وقتل مروان جماعةً من أسرائهم، وصلب خمسمائة من القتلى حول المدينة، وهدم من سورها نحو غلوة.

وقيل: إن فتح حمص وهدم سورها كان في سنة ثمان وعشرين.

وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين، وثب أهل حمص بعاملهم محمد بن عبدوّه، وأعانهم عليه قوم من نصارى حمص، فكتب إلى المتوكل بذلك، فكتب إليه يأمره بمناضتهم، وأمدّه بجندٍ من دمشق والرملة، فظفر بهم، فضرب منهم رجلين من رؤسائهم حتى ماتا، وصلبهما على باب حمص، وسير ثمانية من أشrafهم إلى المتوكل، وظفر بعد ذلك بعشرة رجال من أعيانهم، فضرب أعناقهم، وأمره المتوكل بإخراج النصارى منها، وهدم كنائسهم، وبإدخال البيعة التي إلى جانب الجامع إلى الجامع، ففعل ذلك.

* * *

صلب أنكلي بن الخبيث وسليمان بن جامع

كان الموفق قد عاد مؤيداً بالظفر في حربه مع الزنج، فلما عاد عن قتالهم إلى مدينة الموفقية، عزم على مناجزة الخبيث. وكان الخبيث لما غلب على نهر أبي الخصيب، وقطعت القناطر والجسور التي عليه، أحدث سكرًا في النهر من جانيه، وجعل في وسط النهر باباً ضيقاً لتحتد جرية الماء فيه، فتمتنع الشدا من دخوله في الجُر، ويتعذر خروجها منه في المدّ، فرأى الموفق أن جريه لا يتهيأ إلا بقلع هذا السكر، فحاول ذلك، فاشتدت محاربة الخبيث عليه. وألحّ الموفق على

هذا السُّكر، وكان يحارب المحامين عليه بأصحابه وأصحاب لؤلؤ وغيرهم، والفعل يعملون في قلعه، ويحارب الخبيث وأصحابه في عدّة وجوه، فيحرق مساكنهم، ويقتل مقاتليهم... ثم أوقع بهم فانهزموا، فقتلوا عن آخرهم لم يسلم منهم إلاّ الشريد، فأخذوا من أسلحتهم ما أثقلهم حملة، وقطع القنطريّتين، ولم يزل الموفّق يقاتلهم على سيكرهم حتّى تهيّأ له فيه ما أحبه في خرقه.

فلما فرغ منه، عزم على لقاء الخبيث، فأمر بإصلاح السفن والآلات، وفرّق العساكر من جميع جهاته. وكان عبوره يوم الإثنين لثلاث بقين من المحرم، فلقية الزنج، واشتدّ القتال، وقتل من الفريقين جمع كثير، فانهزم أصحاب الخبيث، وتبعهم أصحاب الموفّق يقتلون ويأسرون، وحوى الموفّق المدينة بأسرها.

ومضى الخبيث في أصحابه، ومعه ابنه أنكلاي، هاربين...

وفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين، تحرّكت الزنج بواسط، وصاحوا: أنكلاي، يا منصور، وكان هو والمهلبّي، وسليمان بن جامع، وجماعة من قوادهم في حبس الموفّق ببغداد، وكتب الموفّق بقتلهم، فقتلوا، وأرسلت رؤوسهم إليه، وصلبت أبدانهم ببغداد.

(راجع الكامل لابن الأثير ٧: ٤٠٠)

* * *

صلب أهل قرطبة

في سنة إحدى وتسعين ومائة، عصى أصبغ بن عبد الله، ووافقه أهل مدينة ماردة من الأندلس، على الحكم، وأخرجوا عامله، واتصل الخبر بالحكم، فسار إليها وحاصرها، فبينما هو مجتهد في الحصار، أتاه الخبر عن أهل قرطبة أنهم أعلنوا العصيان له، فرجع مبادراً، فوصل إلى قرطبة في ثلاثة أيام، وكشف عن الذين أثاروا الفتنة، فصلبهم منكسين، وضرب أعناق جماعة، فارتدع الباقيون بذلك، واشتدّت كراهيتهم له.

ولم يزل أهل ماردة تارة يطيعون، ومرة يعصون إلى سنة اثنتين وتسعين، فضعف

أمر أصف، لأنَّ الحكم تابع لإرسال الجيوش إليه، واستمال جماعة من أعيان أهل ماردة وثقاته من أصحابه، فمالوا إليه، وفارقوا أصف، حتى أخوه، فتحيّر أصف، وضعفت نفسه، فأرسل يطلب الأمان فأمنه الحكم، ففارق ماردة، وحضر عند الحكم، وأقام عنده بقُرطبة.

(راجع الكامل لابن الأثير ٥: ٢٠١)

* * *

صلب الأمين

لَمَّا دخل محمّد الأمين إلى مدينة المنصور، واستولى طاهر على أسواق الكرخ وغيرها، وقرّ بالمدينة، علم قوّاده وأصحابه أنّهم ليس لهم فيها عُدّة الحصر، وخافوا أن يظفر بهم طاهر، فأتاه محمّد بن حاتم بن الصقر، ومحمّد بن إبراهيم بن الأغلب الإفريقيّ، وغيرهما، فقالوا: لقد آلت حالنا إلى ما ترى، وقد رأينا رأياً نعرضه عليك، فانظر فيه واعتزم عليه، فإنّا نرجو أن يجعل الله فيه الخير.

قال: وما هو؟

قالوا: قد تفرّق عنك النّاس، وأحاط بك عدوّك، وقد بقي معك من خيلك سبعة آلاف فارس من خيارها، فرى أن تختار ممن عرفناه بمحبّتك من الأبناء سبعة آلاف، فتحملهم على هذه الخيل، وتخرج ليلاً على باب من هذه الأبواب، فإنّ اللّيل لأهله، ولن يثبت لنا أحد إن شاء الله تعالى، فنخرج، حتى نلحق بالجزيرة والشام، فنفرض الفروض، ونجبي الخراج، ونصير في مملكة واسعة ومُلك جديد، فيسارع إليك النّاس، وينقطع عن طلبك الجند ويحدث الله أموراً.

فقال لهم: نعم ما رأيتم! وعزم على ذلك، وبلغ الخبر إلى طاهر، فكتب إلى سليمان بن المنصور، ومحمّد بن عيسى بن نهيك، والسنديّ بن شاهك: والله لئن لم تردّوه عن هذا الرأي، لا تركت لكم ضيعةً إلّا قبضتها، ولا يكون لي همة إلّا أنفسكم.

فدخلوا على الأمين، فقالوا له: قد بلغنا الذي عزمَ عليه، فنحن نذكرك الله

في نفسك، إن هؤلاء صعاليك، وقد بلغ بهم الحصار إلى ما ترى، فهم يرون أن لا أمان لهم عند أخيك، وعند طاهر، لجدهم في الحرب، ولسنا نأمن إذا خرجت معهم أن يأخذوك أسيراً، أو يأخذوا رأسك، فيتقربوا بك ويجعلوك سبب أمانهم، وضربوا فيه الأمثال؛ فرجع إلى قولهم، وأجاب إلى طلب الأمان والخروج، فقالوا له: إنمّا غايتك السلامة، واللّهُ، وأخوك يتركك حيث أحببت ويفردك في موضع ويجعل لك فيه كلّ ما يصلحك، وكلّ ما تحبّ وتهوى، وليس عليك منه بأس ولا مكروه. فركن إلى ذلك، وأجاب إلى الخروج إلى هَرثمة بن أعين، فدخل عليه أولئك النفر الذين أشاروا بقصد الشام، وقالوا: إذا لم تقبل ما أشرنا به عليك، وهو الصواب، وقبلت من هؤلاء المدهنين، فالخروج إلى طاهر خير لك من الخروج إلى هَرثمة، فقال: أنا أكره طاهراً، لأنّي رأيت في منامي كأني قائم على حائط من آجر شاهق في السماء، عريض الأساس، لم أر مثله في الطول والعرض، وعليّ سوادي، ومِنطقي، وسيفي، وكان طاهر في أصل ذلك الحائط، فما زال يضربه حتى سقط، وسقطت وطارت قلنسوتي عن رأسي، فأنا أتطير منه وأكرهه، وهَرثمة مولانا، وهو بمنزلة الوالد، وأنا أشدّ أنساً به وثقةً إليه.

فأرسل يطلب الأمان، فأجابه هَرثمة إلى ذلك، وحلف له أنّه يقاتل دونه إن همّ المأمون بقتله، فلمّا علم ذلك طاهر اشتدّ عليه، وأبى أن يدعّه يخرج إلى هَرثمة، وقال: هو في جندي والجانب الذي أنا فيه، وأنا أخرجته بالحصار، حتى طلب الأمان، فلا أرضى أن يخرج إلى هَرثمة فيكون له الفتح دوني.

فلما بلغ ذلك هَرثمة والقوَاد، اجتمعوا في منزل خُزَيْمة بن خازم، وحضر طاهر وقواده، وحضر سليمان بن المنصور، والسنديّ، ومحمّد بن عيسى بن نَهيك، وأداروا الرأي بينهم، وأخبروا طاهراً أنّه لا يخرج إليه أبداً، وأنّه إن لم يجب إلى ما سأل لم يؤمن إلّا أن يكون الأمر مثله أيام الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان. وقالوا له: إنّه إن يخرج إلى هَرثمة ببدنه، ويدفع إليك الخاتم، والقضيب، والبُرْدَة، وذلك هو الخلافة، فاغتنم هذا الأمر ولا تُفسدْه! فأجاب إلى ذلك ورضي به.

ثم إنَّ الهرش، لما علم بالخبر أراد التقرب إلى طاهر، فأخبره أنّ الذي جرى

بينهم مكر، وأن الخاتم والقضيب والبُرْدَةُ تُحمل مع الأمين إلى هَرْتَمَةِ، فاغتاظ منه، وجعل حول قصر أمّ الأمين، وقصور الخلد، قوماً معهم العَتَل، ولم يعلم بهم أحد؛ فلما تهيأ الأمين للخروج إلى هَرْتَمَةِ، عطش قبل خروجه عطشاً شديداً، فطلب له في خزانة الشراب ماء، فلم يوجد، فلما أمسى، ليلة الأحد، لخمس بقين من محرّم سنة ثمان وتسعين ومائة، خرج بعد العشاء الآخرة إلى صحن الدار، وعليه ثياب بيض، وطيلسان أسود، فأرسل إليه هَرْتَمَةُ: وافيتُ للميعاد لأحملك، ولكني أرى أن لا تخرج الليلة، فإنني قد رأيتُ على الشطّ أمراً قد رابني، وأخاف أن أغلب، وتتوخذ من يدي، وتذهب نفسك ونفسي، فأقم الليلة حتى أستعدّ وآتيك الليلة القابلة، فإن حُوربتَ حاربتَ دونك.

فقال الأمين للرسول: ارجع إليه، وقل له لا يبرح، فإنني خارجٌ إليه الساعة لا محالة، ولست أقيم إلى غدٍ. وقلق، وقال: قد تفرّق عني الناس من الموالي والحرس وغيرهم، ولا آمن إن انتهى الخبر إلى طاهر أن يدخل عليّ فيأخذني؛ ثم دعا بابنيّه، فضمّهما إليه، وقبلهما، وبكى، وقال: أستودعكما الله، عزّ وجلّ، ودمعت عيناه، فمسح دموعه بكّمه، ثم جاء راكباً إلى الشطّ، فإذا حرّاقة هَرْتَمَةِ، فصعد إليها.

وكان أحمد بن سلام، صاحب المظالم، مع هَرْتَمَةِ في الحرّاقة، قال: فلما دخلها الأمين قُمنا له، وجثا هَرْتَمَةُ على ركبتيه، واعتذر إليه من نقرس به، ثم احتضنه، وضمّه إليه، وجعله في حُجره، جعل يقبل يديّه ورجليه وعينيّه، وأمر هَرْتَمَةَ بالحرّاقة أن تُدفع، إذ شدّ علينا أصحاب طاهر في الزواريق، وعطعطوا، ونقبوا الحرّاقة، ورموهم بالأجرّ والنشاب، فدخل الماء إلى الحرّاقة، فغرقت، وسقط هَرْتَمَةُ إلى الماء، وسقطنا، فتعلّق الملاح بشعر هَرْتَمَةِ فأخرجه، وأمّا الأمين، فإنه لما سقط إلى الماء شقّ ثيابه وخرج إلى الشطّ، فأخذني رجل من أصحاب طاهر، وأتى بي رجلاً من أصحاب طاهر، وأعلمه أنّي من الذين خرجوا من الحرّاقة، فسألني مَنْ أنا؟ فقلتُ: أنا أحمد بن سلام، صاحب المظالم، مولى أمير المؤمنين، قال: كذبتَ، فاصدقني! قلتُ: قد صدقتك. قال: فما فعل المخلوع؟

قلتُ: رأيتُهُ وقد شقَّ ثيابه؛ فركب، وأخذني معه أعدو، وفي عنقي حبل، ففجرتُ عن العدو، فأمر بضرب عنقي، فاشتريتُ نفسي منه بعشرة آلاف درهم، فتركني في بيت، حتى يقبض المال، وفي البيت بوارِيٍّ وحُصْر مدْرَجَة ووسادتان.

فلَمَّا ذهب من اللَّيل ساعة، وإذ قد فتحوا الباب، وأدخلوا الأمين، وهو عريان، وعليه سراويل، وعمامة، وعلى كتفه خِرقة خَلَقَة، فتركوه معي، فاسترجعتُ وبكيتُ فيما بيني وبين نفسي؛ فسألني عن اسمي، فعرفته، فقال: ضَمَّنِي إِلَيْكَ، فَأَتِي أَجِدُ وَحْشَةً شَدِيدَةً. قال: فضممته إليّ، وإذا قلبه يخفق خفقاً شديداً؛ فقال: يا أحمد! ما فعل أخي؟ قلتُ: حيٌّ هو. قال: قَبَّحَ اللهُ بريدهم، كان يقول: قد مات شبه المعتذر من محاربتِه؛ فقلتُ: بل قَبَّحَ اللهُ وزراءك؛ فقال: ما تراهم يصنعون بي، أيقتلونني أم يفون لي بأمانهم؟ فقلتُ: بل يفون لك.

وجعل يضمُّ الخِرقة على كتفه، فنزعتُ مبطنة كانت عليّ، وقلت: أَلْقِ هذه عليك! فقال: دَعْنِي، فهذا من الله، عَزَّوَجَلَّ، في مثل هذا الموضع خير كثير.

فبينما نحن كذلك، إذ دخل علينا رجل، فنظر في وجوهنا، فاستبتهأ، فلَمَّا عرفته انصرف، وإذا هو مُحَمَّد بن حُمَيْد الطاهريّ، فلَمَّا رأيتُهُ علمتُ أَنَّ الأمين مقتولٌ، فلَمَّا انتصف اللَّيل فُتِحَ الباب، ودخل الدار قومٌ من العجم معهم السيوف مسلولة، فلَمَّا رآهم قام قائماً، وجعل يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهبَتْ، والله نفسي في سبيل الله. أما من مُغيث، أما من أحد من الأبناء؟

وجاؤوا، حتى وقفوا على باب البيت الذي نحن فيه، وجعل بعضهم يقول لبعض: تقدّم، ويدفع بعضهم بعضاً، وأخذ الأمين بيده وسادة، وجعل يقول: ويحكم أنا ابن عمِّ رسول الله، أنا ابن هارون، أنا أخو المأمون، الله الله في دمي.

فدخل عليه رجلٌ منهم، فضربه بالسيف ضربةً وقعت في مقدّم رأسه، وضربه الأمين بالوسادة على وجهه، وأراد أن يأخذ السيف منه، فصاح: قتلني! قتلني! فدخل فهم جماعة، فنخسه واحد منهم بالسيف في خاصرته، فركبوه، فذبحوه ذبحاً من قفاه، وأخذوا رأسه، ومضوا به إلى طاهر، وتركوا جثته.

فلَمَّا كَانَ السَّحَرُ، أَخَذُوا جَسَدَهُ، فَأَدْرَجُوهَا فِي جُلٍّ وَحَمَلُوهَا، فَنَصَبَ طَاهِرُ
الرَّأْسَ عَلَى بَرَجٍ، وَخَرَجَ أَهْلُ بَغْدَادَ لِلنَّظَرِ، وَطَاهِرُ يَقُولُ: هَذَا رَأْسُ الْمَخْلُوعِ
مُحَمَّدٍ.

فَلَمَّا قُتِلَ، نَدِمَ جُنْدُ بَغْدَادَ وَجُنْدُ طَاهِرٍ عَلَى قَتْلِهِ، لَمَّا كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْ
الْأَمْوَالِ، وَبَعَثَ طَاهِرُ بِرَأْسِ مُحَمَّدٍ إِلَى أَخِيهِ الْمَأْمُونِ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ
الْحُسَيْنِ بْنِ مُضْعَبٍ، وَكُتِبَ مَعَهُ بِالْفَتْحِ، فَلَمَّا وَصَلَ، أَخَذَ الرَّأْسَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ
فَادْخَلَهُ عَلَى تَرَسٍ، فَلَمَّا رَأَى الْمَأْمُونُ سَجْدًا، وَبَعَثَ مَعَهُ طَاهِرُ بِالْبُرْدَةِ وَالْقَضِيبِ
وَالْخَاتَمِ.

وَلَمَّا قُتِلَ الْأَمِينُ، نُوْدِيَ فِي النَّاسِ بِالْأَمَانِ، فَأَمِنَ النَّاسُ كُلَّهُمْ، وَدَخَلَ طَاهِرُ
الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، وَخَطَبَ لِلْمَأْمُونِ، وَذَمَّ الْأَمِينَ...

قِيلَ إِنَّ مُحَمَّدًا وَلِيَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِأَحَدِي عَشْرَةِ لَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى
سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً، وَقُتِلَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ لَسْتُ بَقِيْنَ مِنَ الْمَحْرَمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ
وَمِائَةً، وَكُنِيَّتُهُ أَبُو مُوسَى، وَقِيلَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ ابْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ بْنِ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ.

(راجع الكامل لابن الأثير ٦: ٢٨٢)

* * *

صَلَبَ بِأَبِكَ الْحُرْمِيِّ وَأَخِيهِ عَبْدَ اللَّهِ

فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، قَدِمَ الْأَفْشِينُ إِلَى سَامَرَاءَ، وَمَعَهُ بِأَبِكَ الْحُرْمِيُّ
وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَكَانَ الْمَعْتَصِمُ يُوَجِّهُهُ إِلَى الْأَفْشِينِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، مِنْ حِينَ سَارَ مِنْ بَرْزَنْدَ
إِلَى أَنْ وَافَى سَامَرَاءَ، خَلَعَةً وَفَرَسًا، فَلَمَّا صَارَ الْأَفْشِينُ بِقَنَاطِرِ حُدَيْفَةَ تَلَقَّاهُ هَارُونَ
الْوَائِقُ بْنُ الْمَعْتَصِمِ، وَأَهْلُ بَيْتِ الْمَعْتَصِمِ، وَأَنْزَلَ الْأَفْشِينُ بِأَبِكَ عِنْدَهُ فِي قَصْرِهِ
بِالْمَطِيرَةِ، فَأَتَاهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ مُتَنَكِّرًا، فَنَظَرَ إِلَى بِأَبِكَ وَكَلَّمَهُ، وَرَجَعَ إِلَى
الْمَعْتَصِمِ، فَوَصَفَهُ لَهُ، فَأَتَاهُ، الْمَعْتَصِمُ أَيْضًا مُتَنَكِّرًا فَرَأَاهُ.

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَعَدَ الْمَعْتَصِمُ وَاصْطَفَى مِنْ بَابِ الْعَامَّةِ إِلَى الْمَطِيرَةِ، فَشَهَرَهُ

المعتصم، وأمر أن يركب على الفيل، فركب عليه، واستشرفه الناس إلى باب العامة، فقال محمد بن عبد الملك الزيات:

قَدْ خُضِبَ الْفِيلُ كَعَادَاتِهِ يَحْمِلُ شَيْطَانَ خُرَاسَانَ
وَالْفِيلُ لَا تُخْضَبُ أَعْضَاؤُهُ إِلَّا لِذِي شَأْنٍ مِنَ الشَّانِ

ثم أدخل دار المعتصم، فأمر بإحضار سياف بآبك، فحضر، فأمره المعتصم أن يقطع يديه ورجليه، فقطعها، فسقط، فأمره بذبحه، ففعل، وشق بطنه، وأنفذ رأسه إلى خراسان، وصلب بدنه بسامرا، وأمر بحمل أخيه عبد الله إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد، وأمره أن يفعل به ما فعل بأخيه بابك، فعمل به ذلك، وضرب عنقه، وصلبه في الجانب الشرقي بين الجسرين.

ولما وصل الأفشين، توجه المعتصم وألبسه وشاحين بالجوهر، ووصله بعشرين ألف درهم وعشرة آلاف يفرقها في عسكره، وعقد له على السند، وأدخل عليه الشعراء يمدحونه.

(راجع الكامل لابن الأثير ٦: ٤٧٧)

* * *

صلب بطرس وبولس

ذكر غير واحد من علماء التاريخ، أن الروم غلبت اليونان، وهم ولد صوفير، كانوا يدينون قبل النصرانية بمذهب الصابئين، ولهم أصنام يعبدونها. فكان أول ملوكهم برومية غاليوس، ثم أوغسطس، وهو أول من سمي قيصر. وقد استخلف على البيت المقدس هيرودس بن أنطيقوس، ولانثتين وأربعين سنة من ملكه كانت ولادة السيد المسيح. ثم ملك بعده طياريوس، وهو الذي بنى مدينة طبرية، فأضيفت إليه، وعربها العرب، وفي ملكه رفع المسيح عليه السلام، ثم ملك بعده ابنه غايوس، وهو أول الملوك من عباد الأصنام، قتل النصارى.

ثم ملك نيرون ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر، وفي آخر ملكه قتل بطرس وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكرين، وفي أيامه ظفرت اليهود ببعقوب بن

يوسف، وهو أول الأساقفة بالبيت المقدس، فقتلوه وأخذوا خشبة الصليب، فدفنوها.

(راجع الكامل لابن الأثير ١: ٣٢٥)

* * *

صلب بُغا الشرابيُّ

في سنة أربع وخمسين ومائتين، قُتل بُغا الشرابيُّ؛ وكان سبب قتله أنه كان يحرض المعتز على المسير إلى بغداد، والمعتز يأبى ذلك ويكرهه، فاتفق أن بُغا اشتغل بتزويج ابنته من صالح بن وصيف، فركب المعتز ومعه أحمد بن إسرائيل إلى كرخ سامراً إلى بابكial التركي ومن معه من المنحرفين عن بُغا.

وكان سبب انحرافه عنه أنهما كانا على شراب لهما، فعربد أحدهما على الآخر، فاختفى بابكial من بُغا، فلما أتاه المعتز اجتمع معه أهل الكرخ وأهل الدور، ثم أقبلوا مع المعتز إلى الجوسق بسامراً، وبلغ ذلك بُغا، فخرج في غلمانهم وهم زهاء خمسمائة إنسان من ولده وقواده، فسار إلى السن، فشكا أصحابه بعضهم إلى بعض ما هم فيه من العسف، وأنهم خرجوا بغير مضارب ولا ما يلبسونه في البرد، وأنهم في شقاء، فأتاه بعض أصحابه وأخبره بقولهم، فقال: دُعني حتى أنظر الليلة.

فلما جنَّ عليه الليل، ركب في زورق، ومعه خادمان، وشيء من المال الذي صحبه، وكان قد صحبه تسع عشرة بدرية دنائير، ومائة بدرية، ولم يحمل معه سلاحاً، ولا سكيناً، ولا شيئاً، ولم يعلم به أحد من عسكره.

وكان المعتز، في غيبة بُغا، لا ينام إلا في ثيابه وعليه السلاح، فسار بُغا إلى الجسر في الثلث الأول من الليل، فبعث الموكلون بالجسر ينظرون مَنْ هو، فصاح بالغلام فرجع، وخرج بُغا في البستان الخاقاني، فلحقه عدّة من الموكلين، فوقف لهم بُغا، وقال: أنا بُغا، إمّا أن تذهبوا معي إلى صالح بن وصيف، وإمّا أن تصيروا معي حتى أحسن إليكم. فتوكل به بعضهم، وأرسلوا إلى المعتز بالخبر، فأمر بقتله، وحمل رأسه إلى المعتز، ونُصب بسامراً، وبغداد، وأحرقت المغاربة

جسده؛ وكان أراد أن يختفي عند صالح بن وصيف، فإذا اشتغل الناس بالصيد، وكان قد قرب، خرج هو وصالح ووثبوا بالمعتز.

(راجع الكامل لابن الأثير ٧: ١٨٦)

* * *

صلب بُندار الطبري

في سنة ثلاث وخمسين ومائتين قُتل بُندار الطبري، وكان سبب قتله أن مُساور بن عبد الحميد الموصلّي الخارجي، لما خرج بالبوازيج، وكان طريق خُراسان إلى بُندار، ومظفر بن سيسل، وكانا بالدسكرة، أتى الخبر إلى بُندار بمسير مُساور إلى كرخ حدان، فقال المظفر في المسير إليه؛ فقال للمظفر: قد أمسينا، وغداً العيد، فإذا قضينا العيد سرنا إليه، فسار بُندار طمعاً في أن يكون المظفر له، فسار ليلاً، حتّى أشرف على معسكر مُساور، فأشار عليه بعض أصحابه أن يبيتهم، فأبى، وقال: حتّى أراهم ويروني، فأحسّ به الخوارج، فركبوا واقتتلوا.

وكان مع بُندار ثلاثمائة فارس، ومع الخوارج سبع مائة، فاشتد القتال بينهم، وحمل الخوارج حملة اقتطعوا من أصحاب بُندار أكثر من مائة، فصبروا لهم، وقتلواهم، حتّى قُتلوا جميعاً، فانهزم بُندار وأصحابه، وجعل الخوارج يقطعونهم قطعة بعد قطعة، فقتلواهم.

وأمعن بُندار في الهرب، فطلبوه، فلحقوه، ونصبوا رأسه، ونجا من أصحابه نحو من خمسين رجلاً وقُتل مائة.

(راجع الكامل لابن الأثير ٧: ١٧٩)

* * *

صلب تركي ثار من الفقر

جاء في الحوادث الجامعة، ص ٢٣، أنه في السنة ٦٢٨، دخل بعض الأتراك إلى دار الوزارة، في دار الخلافة ببغداد، وبيده سيف مشهور، ولم يكن الوزير مؤيد الدين القمي في الدار. فقبض على التركي وضرب ضرباً مبرحاً،

وَقُرِّرَ، فذكر أن له مدة لم يصله شيء من معيشته وهو ملازم الخدمة، وقد أضرب به ذلك، فحمله فقره وحاجته وغيظه على فعل ما فعل، فُصِّلَ.

* * *

سلطان الهند يصلب التجار وصهره

في «مَهْدَب رحلة ابن بطوطة»، أن السلطان محمد بن تغلق، سلطان الهند، غضب على ابن ملك التجار، وعلى صهره ابن قطب الملك، فأمر بهما، فعُلِّقا من أيديهما في خشب، ثم رميا بالنشاب حتى ماتا.

* * *

صلب ثابت بن عبد الوهاب

جاء في أعلام النبلاء، أنه في السنة ٤٦٠، قتل شنفأ، أبو الحسن ثابت بن أسلم بن عبد الوهاب الحلبي، أحد علماء الشيعة بحلب، وكان من أكابر النحاة والقراء، وكان يلي خزانة كتب الأمير سيف الدولة الحمداني، وألَّف كتاباً عن الإسماعيلية، فأغضبهم، فحمل إلى صاحب مصر، فأمر بصلبه، فُصِّلَ.

* * *

صلب ثابت بن نعيم وأولاده

في سنة سبع وعشرين ومائة، خرج ثابت بن نعيم بعد أهل حمص والغوطة، وكان خروجه في أهل فلسطين، وانتفض على مروان أيضاً وأتى طبرية، فحاصرها وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحَكَم ابن أخي عبد الملك، فقاتله أهلها أياماً.

فكتب مروان بن محمد إلى أبي الورد يأمره بالمسير إليهم، فسار إليهم، فلما قرب منهم خرج أهل طبرية على ثابت، فهزموه واستباحوا عسكره، وانصرف إلى فلسطين منهزماً، وتبعه أبو الورد، فالتقوا واقتتلوا، فهزمه أبو الورد ثانية وتفرَّق أصحابه، وأسر ثلاثة من أولاده وبعث بهم إلى مروان، وتغيَّب ثابت وولده رِفاعَة.

واستعمل مروان على فلسطين الرُّمَاجِس بن عبد العزيز الكنانيّ، فظفر بثابت، وبعثه إلى مروان موثقاً بعد شهرين، فأمر به وبأولاده الثلاثة، فُقطعت أيديهم وأرجلهم وحُملوا إلى دمشق، فألقوا على باب المسجد، ثم صلبهم على أبواب دمشق.

(راجع الكامل لابن الأثير ٥: ٣٣٠)

* * *

قصة صلب جعفر البرمكيّ

في سنة سبع وثمانين ومائة، أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى. وكان سبب ذلك، أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهديّ، وكان يُحضرهما إذا جلس للشرب، فقال لجعفر: أزوّجكما ليحلّ لك النظر إليها ولا تقربها، فإنّي لا أطيق الصبر عنها؛ فأجابته إلى ذلك، فزوّجها منه، وكانا يحضران معه، ثم يقوم عنهما، وهما شابان، فجامعها جعفر، فحملت منه، فولدت له غلاماً، فخافت الرشيد، فسيرته مع حواضن له إلى مكّة، فأعطته الجواهر والنفقات.

ثم إن عباسة، وقع بينها وبين بعض جواريتها شرّاً، فأنهت أمرها وأمر الصبيّ إلى الرشيد، فحجّ هارون هذه السنة، وبحث عن الأمر، فعلمه، وكان جعفر يصنع للرشيد طعاماً بعُسفان، إذا حجّ، فصنع ذلك، ودعاه فلم يحضر عنده، فكان ذلك أوّل تغيير أمرهم.

وقيل: كان سبب ذلك، أن الرشيد دفع يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ إلى جعفر بن يحيى بن خالد، فحبسه، ثم دعا به ليلة، وسأله عن بعض أمره، فقال له: اتّق الله في أمري، ولا تتعرّض أن يكون غداً خصمك محمّداً ﷺ، فوالله ما أحدثت حدثاً، ولا آويت مُحدثاً.

فرقّ له، وقال: اذهب حيث شئت من بلاد الله. قال: فكيف أذهب ولا آمن أن أؤخذ؟ فوجّهه معه من أداه إلى مأمنه.

وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له من خواص جعفر، فرفعه إلى الرشيد، فقال: ما أنت وهذا؟ فعله عن أمري. ثم أحضر جعفرًا للطعام، فجعل يلقمه ويحادثه، ثم سأله عن يحيى، فقال: هو بحاله في الحبس. فقال: بحياتي؟ ففطن جعفر، فقال: لا وحياتك! وقص عليه أمره، وقال: علمت أنه لا مكروه عنده. فقال: نعم ما فعلت! ما عدوت ما في نفسي. فلما قام عنه، قال: قتلني الله إن لم أقتلك! فكان من أمره ما كان.

وقيل: كان من الأسباب، أن جعفرًا ابنتى داراً غريم عليها عشرين ألف درهم، فرفع ذلك إلى الرشيد وقيل هذه غرامته على دار، فما ظنك بنفقاته وصيلاته وغير ذلك؟ فاستعظمه.

وكان من الأسباب، أيضاً ما لا تعدّه العامّة سبباً، وهو أقوى الأسباب، ما سُمع من يحيى بن خالد، وهو يقول، وقد تعلّق بأستار الكعبة في حجّته هذه: اللهم إن كان رضاك أن تسلبني نعمك عندي فاسلبني! اللهم إن كان رضاك أن تسلبني مالي وأهلي وولدي فاسلبني، إلّا الفضل؛ ثم ولى، فلما كان عند باب المسجد رجع، فقال مثل ذلك، وجعل يقول: اللهم إنه سمج بمثلي أن يستثني عليك، اللهم والفضل.

وسُمع أيضاً يقول في ذلك المقام: اللهم إن ذنوبي جمّة عظيمة لا يحصيها غيرك. اللهم إن كنت تعاقبني، فاجعل عقوبتي بذلك في الدنيا، وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري وولدي ومالي، حتّى يبلغ رضاك، ولا تجعل عقوبتي في الآخرة. فاستجيب له.

فلما انصرفوا من الحجّ ونزلوا الأنبار، ونزل الرشيد العُمَر نكبهم.

وكان أوّل ما ظهر من فساد حالهم، أن علي بن عيسى بن ماهان سعى بموسى بن يحيى بن خالد، واتّهمه في أمر خراسان، وأعلم الرشيد أنه يكاتبهم ليسير إليهم، ويخرجهم عن الطاعة، فحبسه ثم أطلقه.

وكان يحيى بن خالد يدخل على الرشيد بغير إذن، فدخل عليه يوماً وعنده

جبرائيل بن يَحْتِشوع الطيب، فسَلَّم، فردَّ الرشيد ردًّا ضعيفًا، ثمَّ أقبل الرشيد على جبرائيل، فقال: أيدخل عليك منزلك أحدٌ بغير إذن؟ قال: لا! قال: فما بالناس يدخل علينا بغير إذن؟ فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، ما ابتدأت ذلك الساعة، ولكنَّ أمير المؤمنين خصَّني به، حتى إنَّ كنتُ لأدخل وهو في فراشه مجردًا، وما علمت أنَّ أمير المؤمنين، كره ما كان يحبُّ، فإذا قد علمتُ، فلإني سأكون عنده في الطبقة التي تجعلني فيها؛ فاستحيا هارون، وقال: ما أردتُ ما تكره.

وكان يحيى إذا دخل على الرشيد، قام له الغلمان، فقال الرشيد لمسرور: مَرِ الغلمان لا يقومون ليحيى إذا دخل الدار، فدخلها فلم يقوموا، فتغيَّر لونه، وكانوا بعد ذلك إذا رأوه أعرضوا عنه.

فلَمَّا رجع الرشيد من الحجَّ نزل العُمُر الذي عند الأنبار، سلخ المحرم، وأرسل مسرور الخادم ومعه جماعة من الجند إلى جعفر ليلاً، وعنده ابن يَحْتِشوع المتطبِّب، وأبوزكَّار المُغني، وهو في لهوه وأبوزكَّار يغني:

فلا تَبْعُدْ، فكلُّ فتى سيأتي عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُفادي
وكلُّ ذَخيرةٍ لا بُدَّ يوماً وإن كَرُمْتَ تصير إلى نفاذٍ

قال مسرور: فقلتُ له: يا أبا الفضل، الذي جئتُ له هو والله ذاك، قد طرَّقك، أجَبَّ أمير المؤمنين، فوقع على رجلي يقبلها، وقال: حتى أدخل فأوصي، فقلتُ: أمَّا الدخول، فلا سبيل إليه، وأمَّا الوصيَّة، فاصنع ما شئتُ، فأوصي بما أَراد، وأعتق مماليكه.

وأُتِنِي رسل الرشيد تستحثُّني، فمضيتُ به إليه، فأعلمته وهو في فراشه، فقال: ائتني برأسه، فأُتيتُ جعفرًا، فأخبرته، فقال: اللَّهُ اللَّهُ! والله ما أمرك بما أمرك به إلَّا وهو سكران، فدافع حتى أصبح، أوراجه في ثانية. فعدتُ لأراجعه، فلَمَّا سمع جسي، قال: يا ماصَّ بظُر أمه، ائتني برأسه!

فرجعتُ إليه فأخبرته، فقال: آمِرُهُ، فرجعتُ، فحذفني بعمود كان في يده، وقال: نُفِيتُ من المهديِّ، إن لم تأتني برأسه، لأقتلنك! قال: فخرجتُ فقتلته

وحملتُ رأسه إليه، وأمر بتوجيه مَنْ أحاط بيحيى وولده وجميع أسبابه، وحول الفضل بن يحيى ليلاً، فحبس في بعض منازل الرشيد وحبس يحيى في منزله، وأخذ ما وجد لهم من مال، وضياع ومتاع، وغير ذلك، وأرسل من ليلته إلى سائر البلاد في قبض أموالهم، ووكلائهم، ورفيقهم وأسبابهم وكل مالهم.

فلما أصبح، أرسل جيفة جعفر إلى بغداد، وأمر أن ينصب رأسه على جسر، ويُقطع بدنه قطعتين، تُنصب كل قطعة على جسر، ولم يعرض الرشيد لمحمد بن خالد بن برمك وولده وأسبابه، لأنه علم براءته مما دخل فيه أهله، وقيل: كان يسعى بهم؛ ثم حبس يحيى وبنيه الفضل ومحمداً وموسى محبساً سهلاً، ولم يفرق بينهم وبين عدّة من خدمهم، ولا ما يحتاجون إليه من جارية وغيرها.

ولم تزل حالهم سهلة حتى قبض الرشيد على عبد الملك بن صالح، فعمّمهم بسخطه، وجدّد له ولهم التهمة عند الرشيد، فضيق عليهم.

ولما قُتل جعفر بن يحيى قيل لأبيه: قتل الرشيد ابنك! قال: كذلك يُقتل ابنه؛ قيل: وقد أخرب ديارك؛ قال: كذلك تخرب دياره؛ فلما بلغ ذلك الرشيد قال: قد خفت أن يكون ما قاله، لأنه ما قال شيئاً إلّا ورأيت تأويله.

وكان قُتل جعفر ليلة السبت مستهلّ صفر، وكان عمره سبعة وثلاثين سنة، وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة.

(راجع الكامل لابن الأثير ٦: ١٧٥)

* * *

جماعة سكين يصلبون أحياء

روى ابن الأثير، قال:

في السنة ٤٣٤، ظهر بمصر إنسان اسمه سكين، ادّعى أنه الحاكم الفاطمي، وأتبعه جماعة ممن يعتقد رجعة الحاكم، وقصدوا دار الخلافة لاحتلالها، فقتل من أصحاب سكين جماعة وأسر الباقون وصلّبوا أحياء، ورماهم الجند بالنشاب حتى ماتوا.

* * *

جماعة من ملوك الشام صلبهم يوشع

لَمَّا تَوَفَّى مُوسَى بَعَثَ اللَّهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ بْنِ إِفْرَائِيمَ بْنِ يَوْسَافَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَبِيًّا إِلَى إِسْرَائِيلَ وَأَمَرَهُ بِالسَّيْرِ إِلَى أَرِيحَا مَدِينَةِ الْجَبَّارِينَ. فَلَمَّا بَلَغَهَا، اجْتَمَعَ الْجَبَّارُونَ إِلَى بَلْعَمَ بْنِ بَاعُورَ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ لُوطَ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ يَوْشَعَ قَدْ جَاءَ لِيَقْتُلَنَا، وَيُخْرِجَنَا مِنْ دِيَارِنَا فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ.

وَكَانَ بَلْعَمَ يَعْرِفُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، فَقَالَ لَهُمْ: كَيْفَ أَدْعُو عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَمَعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ! فَرَاغَهُ، فِي ذَلِكَ وَهُوَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ، فَأَتَوْا امْرَأَتَهُ وَأَهْدَوْا لَهَا هَدِيَّةً، فَقَبِلَتْهَا، وَطَلَبُوا إِلَيْهَا أَنْ تَحْسُنَ لَزَوْجِهَا أَنْ يَدْعُو عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَاْمْتَنِعْ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى قَالَ: أَسْتَخِيرُ اللَّهَ. فَاسْتَخَارَ اللَّهُ تَعَالَى، فَهَاهُ فِي الْمَنَامِ، فَأَخْبَرَهَا بِذَلِكَ، فَقَالَتْ: رَاجِعِ رَبِّكَ. فَعَاوَدَ الِاسْتِخَارَةَ، فَلَمْ يُرِدْ إِلَيْهِ جَوَابٌ. فَقَالَتْ: لَوْ أَرَادَ رَبُّكَ لِنَهَاكَ، وَلَمْ تَزَلْ تَخْذَعُهُ حَتَّى أَجَابَهُمْ، فَرَكِبَ حِمَارًا لَهُ مَتَوَجِّهًا إِلَى جَبَلٍ مُشْرِفٍ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَقِفَ عَلَيْهِ وَيَدْعُو عَلَيْهِمْ، فَمَا سَارَ عَلَيْهِ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى رُبِضَ الْحِمَارُ، فَزَلَّ عَنْهُ وَضَرَبَهُ حَتَّى قَامَ، فَرَكَبَهُ، فَسَارَ بِهِ قَلِيلًا فَبَرَكَ، فَعَلَّ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا اشْتَدَّ ضَرْبُهُ فِي الثَّلَاثَةِ أَنْطَقَهُ اللَّهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ يَا بَلْعَمَ، أَيْنَ تَذْهَبُ؟ أَمَا تَرَى الْمَلَائِكَةَ تَرْدُنِي؟ فَلَمْ يَرْجِعْ، فَأَطْلَقَ اللَّهُ الْحِمَارَ حِينَئِذٍ، فَسَارَ عَلَيْهِ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَكَانَ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُو عَلَيْهِمْ يَنْصَرِفُ لِسَانَهُ إِلَى الدَّعَاءِ لَهُمْ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُو لِقَوْمِهِ انْقَلَبَ دَعَاؤُهُ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ: فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ غَلَبَنَا اللَّهُ عَلَيْهِ، وَانْدَلَعَ لِسَانُهُ، فَوَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ، فَقَالَ: الْآنَ، قَدْ ذَهَبَتْ مِنِّي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْمَكْرِ وَالْحِيلَةِ. وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَزِينُوا نِسَاءَهُمْ وَيَعْطُوهُنَّ السَّلْعَ لِلْبَيْعِ، وَيُرْسِلُوهُنَّ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَلَا تَمْنَعْ امْرَأَةٌ نَفْسَهَا مِمَّنْ يَرِيدُهَا. وَقَالَ: إِنْ زَنَى مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ كَفَيْتُمُوهُمْ. ففعلوا ذلك، ودخل النساء عسكر بني إسرائيل، فأخذ زمرى بن شلوم، وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب، امرأة وأتى بها يوشع، فقال له: أظنك تقول هذا حرام، فوالله لا نطيعك، ثم أدخلها خيمته، فوقع عليها، فأنزل الله عليهم الطاعون، وكان فنحاص بن العزار بن هارون غائبًا، فلما جاء رأى

الطاعون، قد استقرّ في بني إسرائيل، وأخبر الخبر، وكان ذا قوّة وبطش، فقصّد زمرى، فرآه وهو مضاجع المرأة، فطعنهما بحربة في يده، فانتظمهما، ورفّع الطاعون، وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً، فأنزل الله في بلعم: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا، فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

ثم إن يوشع قدم إلى أريحا في بني إسرائيل، فدخلها، وقتل بها الجبارين، وبقيت منهم بقيّة، وقد قاربت الشمس الغروب، فخشي أن يدركهم الليل فيعجزوه، فدعا الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس، ففعل وحبسها وزاد في النهار ساعة، فهزم الجبارين، وجمع غنائمهم ليأخذها القربان، فلم تأت النار، فقال يوشع: فيكم غلول فبايعوني، فبايعوه، فلصقت يده في يد من غلّ، فأناه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت، فجعله في القربان، وجعل الرجل معه، فجاءت النار فأكلتهما.

وقيل بل حصرها ستّة أشهر، فلما كان السابع تقدّموا إلى المدينة وصاحوا صيحة واحدة، فسقط السور، فدخلوها وهزموا الجبارين وقتلوا فيهم، فأكثروا ثمّ اجتمع جماعة من ملوك الشام وقصدوا يوشع، فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك إلى غار، فأمر بهم يوشع بن نون فقتلوا وصُلبوا. ثمّ ملك الشام جميعه، فصار لبني إسرائيل وفرق عمّاله فيه. ثم توفاه الله، فاستخلف على بني إسرائيل كالب بن يوفنا، وكان عمر يوشع مائة وستّاً وعشرين سنة، وكان قيامه بالأمر بعد موسى سبعاً وعشرين سنة.

وأما من بقي من الجبارين، فإنّ أفريقش بن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، مرّ بهم متوجّهاً إلى أفريقية، فاحتلمهم من سواحل الشام، فقدم بهم أفريقية، فافتتحها وقتل ملكها جرجير وأسكنهم إياها، فهم البرابرة، وأقام حمير في البربر صنهاجة وكتامة، فهم فيهم إلى اليوم.

(راجع ابن الأثير ١: ٢٠٠)

* * *

صلب الحاج بدور الخيمي

من عجائب جلال الدين، والي حلب، في السنة ١٢٢٧، أنه بلغه ذات يوم إشاعة سرت في حلب بأنه قد عزل من منصبه، فأمر أعوانه بالقبض على من أشاعها، فقبض أعوانه على واحد واتَّهموه بأنه هو الذي اخترع هذه الإشاعة، فأنكر، وحلف لهم، فلم يصدِّقوه، فادَّعى أنه سمعها من شخص آخر، فتركوه وقبضوا على ذلك الشخص، فأنكر، وحلف لهم، فلم يصدِّقوه، فعزا ذلك إلى شخص آخر، فتركوه وقبضوا على ذلك الشخص، وهكذا إلى أن قبضوا على شخص اسمه الحاج بدور الخيمي، فأنكر، ولم يعز ذلك إلى أحد.

فجاء به إلى السوق، ونصبوا له خشبات الصلب، واستنطقوه، وهو يحلف لهم بالآيمان المغلطة أنه لم يقل ذلك، ولا علم له بما قيل وبمن قال، فلم يجده ذلك نفعاً، وصلبوه بمحضر من الناس.

* * *

صلب الحسن بن أسد

جاء في معجم الأدباء ٣: ٤٧ :

عصى الشاعر أبو نصر، الحسن بن أسد بمياً فارقين، على ابن مروان الكردي، ففتح ابن مروان المدينة، وأسر نصر، ثم عفا عنه بتوسط الغساني، ثم عاد في عفوه، فصلبه في السنة ٤٨٧.

* * *

حسن علي يصلب على أبواب همدان

جاء في «تاريخ الغياثي»، أنه في السنة ٨٧٢، قتل جهان شاه بن قرايوسف، وخلفه ولده حسن علي، فظلم الناس وأساء التصرف وقبض على زوجة أبيه، فعلقها من ثدييها حتى ماتت، فقصده حسن بيك واشتبك معه في معركة فانفلَّ جيش حسن علي وفرَّ إلى باكو، ثم عثر عليه في جبال الوند بهمدان، واعتقله أصحاب حسن بيك، وأحسَّ بما ينتظره، فانتحر بأن ذبح نفسه بموسى، وعندئذٍ

قطعوا رأسه وقطعوا ذكره وحطّوه في فمه، وجاؤوا برأسه إلى حسن بيك، وقطعوا جسده أربع قطع وصلبوا على أبواب همدان، على كل باب قطعة.

* * *

صلب الحلاج

في سنة إحدى وثلاثمائة، أحضر بدار عيسى رجل يُعرف بالحلاج، ويكنى أبا محمد، وكان مشعبداً في قول بعضهم، وصاحب حقيقة في قول بعضهم، ومعه صاحب له، فقليل: إنه يدّعي الربوبية، وُصِّل هو وصاحبه ثلاثة أيام، كل يوم من بكرة إلى انتصاف النهار، ثم يؤمّر بهما إلى الحبس.

* * *

صلب الحسين بن منصور الحلاج

في سنة تسع وثلاثمائة قُتل الحسين بن منصور الحلاج الصوفي وأُحرق، وكان ابتداء حاله أنه كان يُظهر الزهد والتصوّف ويُظهر الكرامات، ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ويمدّ يده إلى الهواء فيعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب: قل هو الله أحد، ويسمّيها دراهم القدرة، ويخبر الناس بما أكلوه، وما صنعوه في بيوتهم، ويتكلّم بما في ضمائرهم، فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول، وبالجملّة، فإن الناس اختلفوا فيه اختلافهم في المسيح، عليه السلام، فمن قائل: إنه حلّ فيه جزء إلهي، ويدّعي فيه الربوبية، ومن قائل: إنه وليّ الله تعالى، وإن الذي يظهر منه من جملة كرامات الصالحين، ومن قائل: إنه مشعبذ، وممّخرق، وساحر كذاب، ومتكهن، والجنّ تطيعه، فتأتية بالفاكهة في غير أوانها.

وكان قدم من خراسان إلى العراق، وسار إلى مكة، فأقام بها سنة في الحجر لا يستظلّ تحت سقف شتاء ولا صيفاً، وكان يصوم الدهر، فإذا جاء العشاء أحضر له القوم كوز ماء، وقرصاً، فيشربه، وبعض من القرص ثلاث عَصَات من جوانبه، فيأكلها ويترك الباقي فيأخذونه، ولا يأكل شيئاً آخر إلى الغد، آخر النهار.

وكان شيخ الصوفيّة يومئذٍ بمكة عبد الله المغربيّ، فأخذ أصحابه ومشى إلى زيارة الحلاج، فلم يجده في الحجر، وقيل له: قد صعد إلى جبل أبي قبيس؛ فصعد إليه، فرآه على صخرة حافياً، مكشوف الرأس، والعرق يجري منه إلى الأرض، فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه، فقال: هذا يتصبر ويتقوى على قضاء الله، سوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته؛ وعاد الحسين إلى بغداد.

وأما سبب قتله، فإنه نُقل عنه عند عودته إلى بغداد إلى الوزير حامد بن العباس، أنه أحيا جماعة، وأنه يحيي الموتى، وأن الجن يخدمونه، وأنهم يحضرون عنده ما يشتهي، وأنه قدّموه على جماعة من حواشي الخليفة، وأن نصراً الحاجب قد مال إليه وغيره، فالتمس حامد الوزير من المقتدر بالله أن يسلم إليه الحلاج وأصحابه، فدفع عنه نصر الحاجب، فألح الوزير، فأمر المقتدر بتسليمه إليه، فأخذه وأخذ معه إنسان يُعرف بالشمريّ، وغيره، قيل: إنهم يعتقدون أنه إله، فقرّروهم، فاعترفوا أنهم قد صبحّ عندهم أنه إله، وأنه يحيي الموتى، وقابلوا الحلاج على ذلك، فأنكره، وقال: أعوذ بالله أن أدعي الربوبية أو النبوة، وإنما أنا رجل أعبد الله، عز وجل! فأحضر حامد القاضي أبا عمرو والقاضي أبا جعفر بن البهلول، وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود، فاستفتاهم، فقالوا: لا يفتي بأمره بشيء، إلا أن يصحّ عندنا ما يوجب قتله، ولا يجوز قبول قول من يدعي عليه ما ادعاه إلا ببينة أو إقرار.

وكان حامد يخرج الحلاج إلى مجلسه، ويستنطقه، فلا يظهر منه ما تكرهه الشريعة المطهرة.

وطال الأمر على ذلك، وحامد الوزير مجذّب في أمره، وجرى له معه قصص يطول شرحها، وفي آخرها أن الوزير رأى له كتاباً، حكى فيه أن الإنسان إذا أراد الحجّ، ولم يمكنه، أفرد من داره بيتاً لا يلحقه شيء من النجاسات، ولا يدخله أحد، فإذا حضرت أيام الحجّ طاف حوله، وفعل ما يفعله الحاج بمكة، ثمّ يجمع ثلاثين يتيماً، ويعمل أجود طعام يمكنه، ويطعمهم في ذلك البيت، ويخدمهم

بنفسه، فإذا فرغوا كساهم، وأعطى كل واحد منهم سبعة دراهم، فإذا فعل ذلك كان كمن حج.

فلما قرئ هذا على الوزير، قال القاضي أبو عمرو للحلاج: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري؛ قال له القاضي: كذبت يا حلال الدم! قد سمعناه في مكة وليس فيه هذا؛ فلما قال له: يا حلال الدم، وسمعها الوزير، قال له: اكتب بهذا، فدافعه أبو عمرو، فالزمه حامد، فكتب بإباحته، دمه، وكتب بعده من حضر المجلس.

ولما سمع الحلاج ذلك قال: ما يحل لكم دمي واعتقادي الإسلام ومذهبي السنة، ولي فيها كتب موجودة، فالله الله في دمي! وتفرق الناس.

وكتب الوزير إلى الخليفة يستأذنه في قتله، وأرسل الفتاوي إليه، فأذن في قتله، فسلمه الوزير إلى صاحب الشرطة، فضربه ألف سوط، فما تأوه، ثم قطع يده، ثم رجله، ثم يده، ثم رجله، ثم قتل وأحرق بالنار، فلما صار رماداً أُلقي في دجلة، ونُصب الرأس ببغداد، وأُرسل إلى خراسان، لأنه كان له بها أصحاب، فأقبل بعض أصحابه يقولون: إنه لم يُقتل، وإنما أُلقي شبهه على دابة، وإنه يجيء بعد أربعين يوماً؛ وبعضهم يقول: لقيته على حمار بطريق النهروان، وإنه قال لهم: لا تكونوا مثل هؤلاء البقر الذين يظنون أنني ضربتُ وقُتلتُ.

(ابن الأثير ٨: ١٢٦، و ٨: ٧٦)

* * *

صلب حياة بن الوليد

في سنة سبع وأربعين ومائة، أغزى عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس مولاة بَدْرًا، وتما بن علقمة طليطلة، وبها هاشم بن عُذرة، وضيقة عليه، ثم أسراه هو وحياة بن الوليد اليحصبي، وعثمان بن حمزة بن عبيد الله بن عمر الخطّاب، وأتيا بهم إلى عبد الرحمن في جباب صوف، وقد حُلقت رؤوسهم ولحاهم وقد أركبوا الحمير وهم في السلاسل، ثم صلبوا بقُرطبة.

* * *

صلب الحسن بن حرب الكندي

في سنة ثمان وأربعين ومائة، بلغ المنصور خروج محمد بن الأشعث من أفريقية، فبعث إلى الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي عهداً بولاية أفريقية. وكان هذا الأغلب ممن قام مع أبي مسلم الخراساني وقدم أفريقية مع محمد بن الأشعث؛ فلما أتاه العهد قدم القيروان، في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين ومائة وأخرج جماعة من قواد المضرة وسكن الناس.

وخرج عليه أبو قرّة في جمع كثير من البربر، فسار إليه الأغلب، فهرب أبو قرّة من غير قتال، فلم يبق معه إلا نفر يسير.

وكان الحسن بن حرب الكندي بمدينة تونس، وكاتب الجند ودعاهم إلى نفسه، فأجابوه، فسار حتى دخل القيروان من غير مانع.

وبلغ الأغلب الخبر، فعاد مجدداً، فقال له بعض أصحابه: ليس من الرأي أن تعدل إلى لقاء العدو في هذه العدة القليلة، ولكن الرأي أن تعدل إلى قابس، فإن أكثر من معه يجيء إليك، لأنهم إنما كرهوا المسير إلى طنجة لا غير وتقوى بهم وتقاتل عدوك. ففعل ذلك وكثر جمعه وسار إلى الحسن بن حرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الحسن وقتل من أصحابه جمع كثير، ومضى الحسن إلى تونس في جمادى الآخرة سنة خمسين ومائة، ودخل الأغلب إلى القيروان.

وحشد الحسن وجمع فصار، في عدة عظيمة، فقصد الأغلب، فخرج إليه الأغلب من القيروان، فالتقوا واقتتلوا، فأصاب الأغلب سهم فقتله، وثبت أصحابه، فتقدم عليهم المخارق بن غفار، فحمل المخارق على الحسن، وكان في يمينه الأغلب، فهزمه، فمضى منهزماً إلى تونس في شعبان سنة خمسين ومائة وولي المخارق إفريقية في رمضان، ووجه الخيل في طلب الحسن، فهرب الحسن من تونس إلى كناية، فأقام شهرين، ثم رجع إلى تونس، فخرج إليه من بها من الجند فقتلوه.

وقد قيل: إن الحسن قُتل بعد قتل الأغلب، لأن أصحاب الأغلب ثبتوا بعد

قتله في المعركة، فُقتل الحسن بن حرب أيضاً وولّى أصحابه منهزمين، وصُلب الحسن، ودُفن الأغلب وسُمّي الشهيد، وكانت هذه الواقعة في شعبان سنة خمسين ومائة .

(ابن الأثير ٥٠: ٥٨٣)

* * *

صلب خُبيب بن عدي

في السنة الرابعة من الهجرة كانت غزوة الرجيع .

وكان سببها أنّ رهطاً من عَضَل والقارة قدموا على النبي ﷺ، فقالوا: إنّ فينا إسلاماً، فابعث لنا نفرأ يفقهوننا في الدين ويُقرئونا القرآن. فبعث معهم ستة نفر وأقرّ عليهم عاصم بن ثابت، وقيل مرثد بن أبي مرثد، فلمّا كانوا بالهذأة غدروا واستصرخوا عليهم حيّاً من هذيل يقال لهم بنو الحيان، فبعثوا لهم مائة رجل، فالتجأ المسلمون إلى جبل فاستنزلوهم وأعطوهم العهد، فقال عاصم: والله لا أنزل على عهد كافر، اللهمّ خبر نبيّك عنّا! وقاتلهم هو ومرثد وخالد بن البكير، ونزل إليهم ابن الدثنة وخُبيب بن عديّ ورجل آخر فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أوّل الغدر، والله لا أتبعكم! فقتلوه وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة فباعوهما بمكّة، فأخذ خُبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحد، فأخذوه ليقتلوه بالحارث، فبينما خبيب عند بنات الحارث استعار من بعضهنّ موسىّ يستعدّ بها للقتل، فدبّ صبيّ لها فجلس على فخذ خبيب والموسى في يده، فصاحت المرأة، فقال خبيب: أتخشين أن أقتله؟ إنّ الغدر ليس من شأننا. فكانت المرأة تقول: ما رأيتُ أسيراً خيراً من خُبيب، لقد رأيته وما بمكّة ثمرة، وإنّ في يده لِقُطْفاً من عنب يأكله ما كان إلّا رزقاً رزقه الله خُبيباً.

فلمّا خرجوا من الحرم بخبيب ليقتلوه قال: ردّوني أصلّ ركعتين، فتركوه، فصلاهما، فجرت سنة لمن قُتل صبراً، ثمّ قال خبيب: لولا أن تقولوا جزع لزدت، وقال أبياتا، منها:

ولستُ أُبالي حينَ أُقْتلُ مُسْلِمًا على أيِّ شيءٍ كان في اللّهِ مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصالٍ شلّو ممزّع
اللهمّ أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً! ثم صلبوه.

* * *

صلب خارجي

في سنة ثمانٍ وأربعين ومائتين، حكم محمد بن عمرو أيام المنتصر. وخرج
بناحية الموصل خارجيًّا، فوجّه إليه المنتصر إسحاق بن ثابت الفرغانيّ، فأسره مع
عدّة من أصحابه، فقتلوا وصلبوا.

(ابن الأثير ١٢٠:٧، و١٦٧:٧)

* * *

صلب خلف بن حسين

في سنة إحدى وستين وثلاثمائة، سار المعزّ لدين الله العلويّ من إفريقية يريد
الديار المصرية. وكان أوّل رحيله من المنصورية، فأقام بسردانية، وهي قرية قريبة
من القيروان، ولحقه بها رجاله وعُمّاله، وأهل بيته، وجميع ما كان له في قصره من
أموال وأمتعة وغير ذلك، حتى إن الدنانير سُبكت وجُعِلت كهيئة الطواحين وحُمِل
كلّ طاحونتين على جمل.

وسار عنها واستعمل على بلاد إفريقية يوسف بلّكين بن زيري بن مناد
الصنهاجيّ الحميريّ، وجعل على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتاميّ، وكان أثيراً
عنده، وجعل على جباية أموال إفريقية زيادة الله بن القُديم، وعلى الخراج
عبد الجبّار الخراسانيّ، وحسين بن خلف الموصديّ، وأمرهم بالانقياد ليوسف بن
زيري.

ثمّ سار المعزّ حتى وصل إلى الإسكندرية أواخر شعبان من السنة. وأتاه أهل
مصر وأعيانها، فلقاهم، وأكرمهم، وأحسن إليهم، وسار فدخل القاهرة خامس شهر
رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وأنزل عساكره مصر والقاهرة في الديار، وبقي
كثيرٌ منهم في الخيام.

وأما يوسف بلّكين، فإنه لما عاد من وداع المعزّ أقام بالمنصوريّة يعقد الولايات للعمال على البلاد، ثمّ سار في البلاد، وياشر الأعمال، وطيّب قلوب الناس، فوثب أهل باغاية على عامله، فقاتلوه وهزموه، فسير إليهم يوسف جيشاً فقاتلهم، فلم يقدر عليهم، فأرسل إلى يوسف يعرفه الحال، فتأهب يوسف، وجمع العساكر ليسير إليهم . . .

ثمّ إن زيادة الله بن القديم جرى بينه وبين عامل آخر كان معه، اسمه عبد الله بن محمد الكاتب، منافسة صارت إلى محاربة، واجتمع مع كلّ واحد منهما جماعة، وكان بينهما حروب عدّة دفعات، وكان يوسف بلّكين مائلاً مع عبد الله لصُحبة قديمة بينهما، ثمّ إنّ أبا عبد الله قبض على ابن القديم وسجنه واستبدّ بالأمر بعده، وبقي ابن القديم محبوساً حتّى توفي المعزّ بمصر، وقوي أمر يوسف بلّكين.

وفي سنة أربع وستين وثلاثمائة، طلع خلف بن حسين إلى قلعة منيعة، فاجتمع إليه خلق كثير من البربر وغيرهم، وكان من أصحاب ابن القديم المساعد له، فسمع يوسف بذلك، فسار إليه ونازل القلعة وحاربه، فقتل بينهما عدّة قتلى، وافتتحها، وهرب خلف بن حسين، وقتل ممّن كان بها خلق كثير، وبعث إلى القيروان من رؤوسهم سبعة آلاف رأس، ثمّ أخذ خلف وأمر به، فطيف به على جمل، ثمّ صُلب، وسير رأسه إلى مصر، فلما سمع أهل باغاية بذلك خافوا، فصالحوا يوسف ونزلوا على حكمه، فأخرجهم من باغاية وخرّب سورها.

(ابن الأثير ٨: ٦٢٠)

* * *

صلب دعاة بني العباس

روى الطبري، قال:

في السنة ١٠٧، قبض أسد بن عبد الله القسري، أمير خراسان، على جماعة من دعاة بني العباس، فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم.

(الطبري ٧: ٤٠)

* * *

تعليق الدمشقيين وعرب هواراة وابن الفرات

جاء في النجوم الزاهرة ١٢ : ٢٤٤، أنه كان من جملة ما عذّب به تيمورلنك الدمشقيين سنة ٨٠٣، التعليق من إبهام اليدين بحبل مشدود إلى السقف، فإذا رفع المعذّب عن الأرض، أشعلت النار تحته، فإذا سقط في النار نَحِيَ عنها وترك على الأرض حتى يفيق ليعاود تعذيبه.

وجاء في الضوء اللامع ١ : ٢٤٤ :

أنه في السنة ٨٨٣، أحضر الدوادار الكبير جماعة من أهل عرب هواراة، فيهم الأمير أحمد بن إسماعيل الهواري، فعلقوا بباب زويلة وهم أحياء إلى أن ماتوا. وممن عذّب بالتعليق، أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات، لما اعتقل في أيام المعتمد، إذ علّق بحبال في يديه، بقيت آثارها فيها مدّة حياته. (راجع كتاب الوزراء للصابي، ص ١٢)

* * *

صلب ديوشتي دهقان سمرقند وسبغري

يقال: إنّ ديوشتي دهقان سمرقند، واسمه ديواشنج، فأعربوه، وقيل: كان على أقباض خُجَنْدَة عِلْبَاء بن أحمر اليشكريّ، فاشترى رجل منهم جُونة بدرهمين، فوجد فيها سبائك ذهب، فرجع وقد وضع يده على وجهه كأنه رمد، فردّ الجونة وأخذ الدرهمين، فطلب فلم يُعرف.

وسرّح الحرشيّ سليمان بن أبي السريّ إلى حصن يطيف به وادي الصُفْد إلاّ من وجه واحد ومعه خُوارز مشاه وصاحب آخرون وشومان، فسير سليمان على مقدّمته المسيّب بن بشر الرياحيّ، فتلقّوه على فرسخ، فهزمهم حتّى ردّهم إلى حصنهم، فحصرهم، فطلب الديوشتي أن ينزل على حكم الحرشيّ، فسيره فأكرمه، وطلب أهل القلعة الصلح، على أن لا يتعرّض لنسائهم وذراريهم ويُسلمون القلعة، فبعث سليمان إلى الحرشيّ ليعث الأمناء لقبض ما في القلعة، فبعث مَنْ قبضه وباعوه وقسموه.

وسار الحرشيّ إلى كِشٍّ وصالحوه على عشرة آلاف رأس. وسار إلى زرنج، فوافاه كتاب ابن هبيرة بإطلاق ديوشتي، فقتله وصلبه وولّى نصر بن سيار قبض صلح كِشٍّ، واستعمل سليمان بن أبي السريّ على كِشٍّ ونَسَفَ حربها وخراجها. وكانت خزائن منيعة، فقال المجشّر للحرشيّ: ألا أدلك على مَنْ يفتحها لك بغير قتال؟ قال: بلى. قال: المُسرّبل بن الخريّيت بن راشد الناجي، فوجّهه إليها، وكان صديقاً لملكها، واسم الملك سُبغرى، فأخبر الملك بما صنع الحرشيّ بأهل حُجَندة وخوْفه، قال: فما ترى؟ قال: أن تنزل بأمان. قال: فما أصنع بمنّ لحق بي؟ قال: تجعلهم في أمانك؛ فصالحهم فأمنوه وبلاده ورجع الحرشيّ إلى بلاده ومعه سُبغرى، فقتل سُبغرى وصلب ومعه الأمان.

(ابن الأثير ٥: ١٠٩)

* * *

ربيع يصلب في وقعة بالس

في سنة سبع ومائتين، وقع عبد الرحمن بن الحَكَم، صاحب الأندلس، بجند البصرة وأهلها، وهي الوقعة المعروفة بوقعة بالس.

وكان سببها أن الحَكَم كان قد بلغه عن عامل اسمه ربيع، أنه ظلم الأبناء أهل الذمة، فقبض عليه، وصلبه قبل وفاته، فلما توفيّ وولّى ابنه عبد الرحمن سمع الناس بصلب ربيع، فأقبلوا إلى قُرطبة من النواحي يطلبون الأموال التي كان ظلمهم بها، ظناً منهم أنها تُردُّ إليهم، وكان أهل البصرة أكثرهم طلباً وإلحاحاً فيه، وتألّبوا، فبعث إليهم عبد الرحمن مَنْ يفرّقهم ويسكّتهم، فلم يقبلوا، ودفعوا مَنْ أتاهم، فخرج إليهم جمع من الجند، وأصحاب عبد الرحمن، فقاتلوه، فانهزم جند البصرة ومنّ معهم، وقتلوا قتلاً ذريعاً، ونجا الباقون منهزمين، ثم طلبوا بعد ذلك، فقتلوا كثيراً منهم.

(ابن الأثير ٦: ٣٨٣)

* * *

صلب رشيد الهجري

جاء في شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٩٤ ما يلي :

جاء برشيد الهجري ، من أصحاب الإمام علي ، إلى زياد بن أبيه ، فأمر به ، فقطعت يداه ورجلاه ، ثم قطع لسانه ، ثم صلب في عنقه .

* * *

صلب رؤساء قرطبة

في سنة ثمان وتسعين ومائة كانت بقرطبة الواقعة المعروفة بالرّبض ؛ وسببها أنّ الحَكَمَ ابن هشام الأمويّ ، صاحبها ، كان كثير التشاغل باللّهُو ، والصيد ، والشرب ، وغير ذلك ممّا يجانبه ؛ وكان قد قتل جماعة من أعيان قرطبة ، فكرهه أهلها ، وصاروا يتعرّضون لجنده بالأذى والسبّ ، إلى أن بلغ الأمر بالغوغاء أنّهم كانوا ينادون عند انقضاء الأذان : الصلاة يا مخمور ، الصلاة ؛ وشافهه بعضهم بالقول وصفّقوا عليه بالأكفّ ؛ فشرع في تحصين قرطبة وعمارة أسوارها ، وحفر خنادقها ، وارتبط الخيل على بابيه ، واستكثر المماليك ، ورتّب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح ، فزاد ذلك في حقد أهل قرطبة ، وتيقّنوا أنّه يفعل ذلك للانتقام منهم .

ثم وضع عليهم عشر الأطعمة ، كلّ سنة ، من غير حرص ، فكرهوا ذلك ، ثمّ عمد إلى عشرة من رؤساء سفهائهم فقتلهم ، وصلبهم ، فهاج لذلك أهل الرّبض ، وانضاف إلى ذلك أنّ مملوكاً له سلّم سيفاً إلى صيقل ، ليصقله ، فمطله ، فأخذ المملوك السيف ، فلم يزل يضرب الصيقل به إلى أن قتله ، وذلك في رمضان من هذه السنة .

فكان أوّل مَنْ شهر السلاح أهل الرّبض ، واجتمع أهل الأرباض جميعهم بالسلاح ، واجتمع الجند والأمويّون والعيبد بالقصر ، وفرّق الحَكَمَ الخيل والأسلحة ، وجعل أصحابه كتائب ، ووقع القتال بين الطائفتين ، فغلبهم أهل الرّبض ، وأحاطوا بقصره ، فنزل الحَكَمَ من أعلى القصر ، ولبس سلاحه ، وركب وحرّض النّاس ، فقاتلوا بين يديه قتالاً شديداً .

ثم أمر ابن عمه عبيد الله، فثلم في السور ثلثة، وخرج منها ومعه قطعة من الجيش، وأتى أهل الرض من وراء ظهورهم، ولم يعلموا بهم، فأضرموا النار في الرض، وانهزم أهله، وقتلوا مقتلة عظيمة، وأخرجوا من وجدوا في المنازل والدور، فأسروهم، فانتقى من الأسرى ثلاثمائة من وجوههم، قتلهم، وصلبهم منكسين، وأقام النهب والقتل والحريق والخراب في أرباض قرطبة ثلاثة أيام.

ثم استشار الحكم عبد الكريم بن عبد الواحد بن عبد المغيث، ولم يكن عنده من يوازيه في قربه، فأشار عليه بالصفح عنهم، والعفو، وأشار غيره بالقتل، فقبل قوله، وأمر فنودي بالأمان، على أنه من بقي من أهل الرض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه؛ فخرج من بقي بعد ذلك منهم مستخفياً، وتحملوا على الصعب والدلول خارجين من حضرة قرطبة بنسائهم وأولادهم، وما خف من أموالهم، وقعد لهم الجند والفسقة بالمرصاد يهبون، ومن امتنع عليهم قتلوه.

فلما انقضت الأيام الثلاثة أمر الحكم بكف الأيدي عن حرم الناس، وجمعهم إلى مكان، وأمر بهدم الرض القبلي.

(ابن الأثير ٦: ٢٩٨)

* * *

صلب رؤساء نهاوند وقاضيه

جاء في الكامل، لابن الأثير، أنه في السنة ٥٦٨ أنفذ الأمير شملة التركماني، ابن أخيه، ابن سنكا لاحتلال نهاوند، فتحصن منه أهلها وشتموه أقبح شتم، فعاد عنهم، ثم كبسهم واستولى على البلد، فقبض على القاضي والرؤساء وصلبهم، ونهب البلد وأحرقه، وأخذ الوالي فقطع أنفه وأطلقه.

* * *

صلب قوم من الزنج

في سنة خمس وسبعين اجتمع الزنج بفرات البصرة في آخر أيام مصعب بن الزبير، ولم يكونوا بالكثير، فأفسدوا وتناولوا الثمار، وولي خالد بن عبد الله بن خالد

البصرة وقد كثروا، فشكا الناس إليه ما نالهم منهم، فجمع لهم جيشاً، فلمّا بلغهم ذلك تفرّقوا وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم.

* * *

صلب زهير بن المسيّب

في سنة إحدى ومائتين أراد أهل بغداد أن يبايعوا المنصور بن المهديّ بالخلافة، فامتنع عن ذلك، فأرادوه على الإمرة عليهم، على أن يدعوا للمأمون بالخلافة، فأجابهم إليه.

وكان سبب ذلك أن أهل بغداد أخرجوا عليّ بن هشام منها. فلمّا اتّصل إخراجهم من بغداد بالحسن بن سهل سار من المدائن إلى واسط، وذلك أوّل سنة إحدى ومائتين، فلمّا هرب إلى واسط تبعه محمّد ابن أبي خالد بن الهندوان، مخالفاً له، وقد تولّى القيام بأمر الناس، وولّى سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربيّ، ونصر بن حمزة بن مالك الجانب الشرقيّ.

وكان ببغداد منصور بن المهديّ، والفضل بن الربيع، وخزيمة بن خازم، وقدم عيسى بن محمّد بن أبي خالد من الرقة من عند طاهر، في هذه الأيام، فوافق أباه على قتال الحسن بن سهل، فمضيا ومنّ معهما إلى قرية أبي فرسن قريب واسط، ولقيهما في طريقهما عساكر الحسن، في غير موضع، فهزماهم.

ولمّا انتهى محمّد إلى دير العاقول أقام به ثلاثاً، وزهير بن المسيّب مقيم بإسكاف بني الجنيّد، عاملاً لحسن على جوخي، وهو يكاتب قواد بغداد فركب إليه محمّد، وأخذ كلّ ماله، وسيره أسيراً إلى بغداد، وحبسه عند أبيه جعفر.

ثم تقدّم محمّد إلى واسط، ووجّه محمّد ابنه هارون من دير العاقول إلى النيل، وبها نائب للحسن، فهزّمه هارون وتبعه إلى الكوفة.

ثمّ سار المنهزمون من الكوفة إلى الحسن بواسط، ورجع هارون إلى أبيه وقد استولى على النيل، وسار محمّد وهارون نحو واسط، فسار الحسن عنها، ونزل خلفها.

وكان الفضل بن الربيع مختفياً، فلما رأى أن محمداً قد بلغ واسطاً طلب منه الأمان فأمنه، وظهر، وسار محمداً إلى الحسن على تعبئة فوجه إليه الحسن قواده وجنده، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب محمداً بعد العصر، وثبت محمداً حتى جرح جراحات شديدة، وانهزموا هزيمة قبيحة، وقتل منهم خلق كثير، وغنموا مالهم، وذلك لسبع بقين من شهر ربيع الأول.

ونزل محمداً بقم الصلح، وأتاهم الحسن، فاقتتلوا، فلما جنهم الليل رحل محمداً وأصحابه، فنزلوا المنازل، فأتاهم الحسن، فاقتتلوا فلما جنهم الليل ارتحلوا، حتى أتوا جبل، فأقاموا بها، ووجه محمداً ابنه عيسى إلى غرنايا، فأقام بها، وأقام محمداً بجرجرايا، فاشتدت جراحات محمداً، فحملة ابنه أبوزنبل إلى بغداد، وخلف عسكره لست خلون من ربيع الآخر؛ ومات محمداً بن أبي خالد فدفن في داره سرّاً.

وأتى أبوزنبل خزيمة بن خازم، فأعلمه حال أبيه، وأعلم خزيمة ذلك الناس، وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمداً إليه، يبذل فيه القيام بأمر الحرب مقام أبيه، فرضوا به، وصار مكان أبيه؛ وقتل أبوزنبل زهير بن المسيب من ليلته، ذبحه ذبحاً، وعلق رأسه في عسكر أبيه.

(ابن الأثير ٦: ٣٢١، ٤: ٣٨٨)

* * *

أمير الأندلس

يسمل عيني زياد اللخمي ويصلبه

قبض عبد الملك بن قطب الفهري، أمير الأندلس، على زياد بن عمرو اللخمي، وسمل عينيه. وسبب ذلك: أن البربر حصروا كلشوم بن عياض القشيري بسبته، وكان معه ابن أخيه بلج وجند من أهل الشام حتى جاعوا، واستغاثوا بوالي الأندلس عبد الملك، فتقاعس عن نصرتهم لخوفه على سلطانه منهم، فأغاثهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة، وبلغ ذلك عبد الملك، فأخذ زياد وضربه سبع مائة سوط، وسمل عينيه ثم ضرب عنقه وصلبه وصلب على يساره

كلباً، وعبر بلج إلى الأندلس بجيشه، وأسر عبد الملك في السنة ١٢٣ فصلبه بقرطبة، وصلب على يمينه خنزيراً وعلى يساره كلباً.

* * *

قصة صلب

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

أمر زيد أصحابه بالاستعداد للخروج، وأخذ مَنْ كان يريد الوفاء له بالبيعة يتجهّز، فانطلق سليمان بن سُراقَة البارقِيّ إلى يوسف بن عمر فأخبره، فبعث يوسف في طلب زيد، فلم يوجد، وخاف زيد أن يؤخذ فيتعجّل قبل الأجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة، وعلى الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت، وعلى شرطته عمرو بن عبد الرحمن من القارة ومعه عبيد الله بن العباس الكنديّ في ناس من أهل الشام، ويوسف بن عمر بالحيرة، قال: فلما رأى أصحاب زيد بن عليّ من يوسف بن عمر أنّه قد بلغه أمره وأنّه يبحث عن أمره اجتمع إليه جماعة من رؤوسهم وقالوا: رحمك الله، ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعتُ أحداً من أهل بيتي يقول فيهما إلّا خيراً، وإن أشدّ ما أقول فيما ذكرتُم أنّا كنّا أحقّ بسلطان ما ذكرتُم من رسول الله ﷺ، من الناس أجمعين، فدفَعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً، وقد وُلّوا فعدّلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسُّنة. قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك، فلم تدعو إلى قتالهم؟ فقال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنّما ندعوكم إلى كتاب الله وسُنّة نبيّه ﷺ، وإلى السنن أن تُحيا وإلى البدع أن تُطفأ، فإن أجبتُمونا سعدتُم، وإن أبيتُم فليستُ عليكم بوكيل. ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا: سبق الإمام، يعنون محمّداً الباقر، وكان قد مات، وقالوا: جعفر ابنه إمامنا اليوم بعد أبيه، فسماهم زيد الرافضة، وهم يزعمون أنّ المغيرة سَمّاهم الرافضة حيث فارقوه.

وكانت طائفة أتت جعفر بن محمّد الصادق قبل خروج زيد، فأخبروه ببيعة زيد، فقال بايعوه فهو والله أفضلنا وسيّدنا، فعادوا وكتبوا ذلك. وكان زيد واعد أصحابه أوّل ليلة من صفر، وبلغ ذلك يوسف بن عمر، فبعث إلى الحَكَم يأمره أن

يجتمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه، فجمعهم فيه، وطلبوا زيدا في دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري، فخرج منها ليلاً، ورفعوا الهراذي فيها النيران ونادوا: يا منصور أمت أمت، حتى طلع الفجر، فلما أصبحوا بعث زيد التبعي ثم الحضرمي وآخر من أصحابه يناديان بشعارهما، فلما كانا بصحراء عبد القيس لقيهما جعفر ابن العباس الكندي فحملا عليه وعلى أصحابه، فقتل الذي كان مع القاسم التبعي وارث القاسم وأتى به الحكم، فضرب عنقه، فكان أول من قتل من أصحاب زيد. وأغلق الحكم دروب السوق وأبواب المسجد على الناس.

وبعث الحكم إلى يوسف بالحيرة فأخبره، فأرسل جعفر بن العباس ليأتيه بالخبر، فسار في خمسين فارساً حتى بلغ جبانة سالم، فسأل ثم رجع إلى يوسف فأخبره، فسار يوسف إلى تل قريب من الحيرة، فنزل عليه ومعه أشراف الناس، فبعث الريان بن سلمة الأرائي في ألفين ومعه ثلاثمائة من القيقانية رجاله معهم الشّباب.

وأصبح زيد فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلاً، فقال زيد: سبحان الله أين الناس؟ فقيل: إنهم في المسجد محصورون. فقال: والله ما هذا بعذر لمن بايعنا! وسمع نصر بن خزيمة العبيسي النداء فأقبل إليه، فلقي عمرو بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم في خيله من جهة في الطريق، فحمل عليه نصر وأصحابه فقتل عمرو وانهزم من كان معه، وأقبل زيد في من معه وهزمهم، فأنتهى زيد إلى دار أنس بن عمرو الأزدي، فكان في من بايعه وهو في الدار، فنودي فلم يجبه، وناداه زيد فلم يخرج إليه، فقال زيد: ما أخلفكم؟ قد فعلتموها، الله حسبيكم، ثم انتهى زيد إلى الكناسة فحمل على من بها من أهل الشام فهزمهم، ثم سار زيد ويوسف ينظر إليه في مائتي رجل، فلو قصده لقتله، والريان يتبع أثر زيد بن علي بالكوفة في أهل الشام، فأخذ زيد على مصلي خالد حتى دخل الكوفة، وسار بعض أصحابه نحو جبانة مخنف بن سليم فلقوا أهل الشام فقاتلوهم، فأسر أهل الشام منهم رجلاً، فأمر به يوسف بن عمر فقتل.

فلما رأى زيد خذلان الناس إياه قال: يا نصر بن خزيمة أنا أخاف أن يكونوا

قد فعلوها حسينية. قال: أمّا أنا والله لأقاتلنّ معك حتّى أموت، وإن الناس في المسجد فامض بنا نحوهم. فلقّاهم عبيد الله بن العباس الكنديّ عند دار عمر بن سعد، فاقتتلوا، فانهزم عبيد الله وأصحابه، وجاء زيد حتّى انتهى إلى باب المسجد، فجعل أصحابه يُدخلون راياتهم من فوق الأبواب ويقولون: يا أهل المسجد اخرجوا من الدّلّ إلى العزّ، اخرجوا إلى الدين والدنيا فإنكم لستم في دين ولا دنيا. فرماهم أهل الشام بالحجارة من فوق المسجد.

وانصرف الرّيان عند المساء إلى الحيرة، وانصرف زيد في مَنْ معه، وخرج إليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق، فأتاه الرّيان بن سلّمة فقاتله عند دار الرزق وجُرح أهل الشام ومعهم ناس كثير، ورجع أهل الشام مساء يوم الأربعاء أسوأ شيء ظناً.

فلما كان الغد، أرسل يوسف بن عمر العباس بن سعيد المزيّنيّ في أهل الشام فأنتهى إلى زيد في دار الرزق، فلقيه زيد وعلى مجنّبه نصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن ثابت فاقتتلوا قتالاً شديداً، وحمل نابل بن فروة العبسيّ من أهل الشام على نصر بن خزيمة فضربه بالسيف فقطع فخذه، وضربه نصر فقتله، ولم يلبث نصر أن مات واشتدّ قتالهم، فانهزم أصحاب العباس وقتل منهم نحو من سبعين رجلاً.

فلما كان العشاء عبّاهم يوسف بن عمر ثمّ سرّحهم، فالتقوا هم وأصحاب زيد، فحمل عليهم زيد في أصحابه فكشفهم وتبعهم حتّى أخرجهم إلى السبخة، ثمّ حمل عليهم بالسبخة حتّى أخرجهم إلى بني سليم، وجعلت خيلهم لا تثبت لخياله، فبعث العباس إلى يوسف يُعلمه ذلك وقال له: ابعث إليّ الناشبية، فبعثهم إليه، فجعلوا يرمون أصحاب زيد، فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاريّ بين يديّ زيد قتالاً شديداً، فقتل وثبت زيد ابن عليّ ومنّ معه إلى الليل، فرمى زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى فثبت في دماغه، ورجع أصحابه ولا يظنّ أهل الشام أنّهم رجعوا إلّا للمساء والليل، ونزل زيد في دار من دور أرحب، وأحضر أصحابه طبيباً، فانتزع النصل، فضجّ زيد، فلما نزع النصل مات زيد، فقال أصحابه: أين ندفنه؟ قال بعضهم: نطرحه في الماء. وقال بعضهم: بل نحترق رأسه ونلقيه في

القتلى . فقال ابنه - يحيى - : والله لا تأكل لحم أبي الكلاب . وقال بعضهم : ندفنه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء ، ففعلوا ، فلما دفنوه أجزوا عليه الماء ، وقيل : دُفن بنهر يعقوب ، سَكَّر أصحابه الماء ودفنوه وأجزوا الماء ، وكان معهم مولى لزيد سندي ، وقيل رآهم فسار فدلَّ عليه ، وتفرَّق الناس عنه ، وسار ابنه يحيى نحو كربلاء فنزل ببينوى على سابق مولى بشر بن عبد الملك بن بشر .

ثم إن يوسف بن عمر تتبَّع الجرحى في الدور ، فدلَّه السندي مولى زيد يوم الجمعة على زيد ، فاستخرجه من قبره وقطع رأسه وسُيِّر إلى يوسف ابن عمر وهو بالحيرة ، سيَّره الحكم بن الصلت ، فأمر يوسف أن يُصلب زيد بالكُنااسة هو ونصر بن خزيمة ومعاوية وزياد النُّهدي ، وأمر بحراستهم ، وبعث الرأس إلى هشام ، فُصلب على باب مدينة دمشق ، ثم أرسل إلى المدينة وبقي البدن مصلوباً إلى أن مات هشام ووُلِّي الوليد فأمر بإنزاله وإحراقه . وقيل : كان خراش بن حوشب بن يزيد الشيباني على شرطة زيد ، وهو الذي نبش زيدا وصلبه ؛ فقال السيّد الحموي :

بَتَّ لَيْلاً مُسَهِّداً	سَاهَرَ الْعَيْنَ مُقَصِّداً
وَلَقَدْ قُلْتُ قَوْلَةً	وَأَطَلْتُ التَّبَلِّداً
لَعَنَّ اللَّهَ حَوْشَباً	وَخِرَاشاً وَمَزِيداً
شَرِكُوا فِي دَمِ الْمُطَهِّ	رِ زَيْدٍ تَعْنِداً
يَا خِرَاشَ بْنَ حَوْشَبٍ	أَنْتَ أَشَقَى الْوَرَى غداً

(راجع ابن الأثير ٥: ٢٤٢ وما بعدها)

* * *

السلطان الكامل يُصلب على باب الفراءيس

جاء في تاريخ أبي الفدا (٣: ٢٠٣) أنه في السنة ٦٥٨ استولى التتار على ميافارقين وقتلوا ملكها السلطان الملك الكامل محمد بن مظفر غازي بن العادل ، وقطعوا رأسه وحملوه على رمح ، وطيفَ به في البلاد ، ومروا به على حلب وحماة ،

ووصلوا به إلى دمشق فطافوا به بالمغاني والطبول ثم صلب الرأس في شبكة بسور باب الفرائيس إلى أن عادت دمشق إلى المسلمين، فدفن بمشهد الحسين.

* * *

صلب سَهْم بن غالب

في سنة إحدى وأربعين خرج سَهْم بن غالب الهُجَيْمِيُّ على ابن عامر في سبعين رجلاً، منهم الخطيم الباهلي، وهو يزيد بن مالك، وإنما قيل له الخطيم لضربة ضربها على وجهه، فنزلوا بين الجسرين والبصرة، فمر بهم عبادة بن فرص الليثي من الغزو ومعه ابنه وابن أخيه، فقال لهم الخوارج: مَنْ أَنْتُمْ؟ قالوا: قوم مسلمون، قالوا: كذبتُمْ. قال عبادة: سبحان الله! اقبلوا منا ما قبل رسول الله ﷺ مني، فَإِنِّي كَذَّبْتُهُ وَقَاتَلْتُهُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَسْلَمْتُ فقبل ذلك مني. قالوا: أَنْتَ كَافِرٌ، وقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه. فخرج إليهم ابن عامر بنفسه وقتلهم فقتل عدَّةً وانحاز بقيَّتُهُم إلى أجمَّة وفيهم سَهْم والخطيم، فعرض عليهم ابن عامر الأمان فقبلوه، فأمنهم، فرجعوا، فكتب إليه معاوية يأمر بقتلهم، فكتب إليه ابن عامر: إِنِّي قد جعلتُ لهم دَمَتَكَ.

فلما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين هرب سَهْم والخطيم فخرجوا إلى الأهواز، فاجتمع إلى سهم جماعة فأقبل بهم إلى البصرة، فأخذ قوماً، فقالوا: نحن يهود، فخلَّاهم، وقتل سعداً مولى قُدَّامة بن مظعون، فلما وصل إلى البصرة تفرَّق عنه أصحابه، فاختفى سَهْم، وقيل إنَّهم تفرَّقوا عند استخفائه، فطلب الأمان وظنَّ أنَّه يسوغ عند زياد ما ساغ له عند ابن عامر، فلم يؤمنه زياد، وبحث عنه، فذُلَّ عليه، فأخذه وقتله وصلبه في داره.

وقيل: لم يزل مستخفياً إلى أن مات زياد فأخذه عبيد الله بن زياد فصلبه سنة أربع وخمسين، وقيل قبل ذلك؟

(ابن الأثير ٣: ٤١٧)

* * *

صلب الشحنة

جاء في المنتظم (٧٢: ١٠)، في السنة ٥٣٢ قتل الشحنة ببغداد صبيّاً مستوراً من أهل المختارة فأمر السلطان بصلب الشحنة، فُصلب، وحطّهُ العوام فقطعوه.

* * *

صلب شَمِيلَة

في سنة ثمانين ومائتين أخذ المعتضد عبد الله بن المهتدي، ومحمد بن الحسين المعروف بشَمِيلَة، وكان شَمِيلَة هذا مع صاحب الزنج إلى آخر أيامه، ثم لحق بالموفق في الأمان، فأمنه.

وكان سبب أخذه إياه أن بعض المستأمنة سعى به إلى المعتضد، وأنه يدعو لرجل لا يعرف اسمه، وأنه قد أفسد جماعة من الجند وغيرهم، فأخذه المعتضد فقرّره، فلم يقرّ بشيء، وقال: لو كان الرجل تحت قدميّ مارفتهمما عنه! فأمر به فشدّ على خشبة من خشب الخيم، ثم أوقدت نار عظيمة، وأدير على النار حتى تقطع جلده، ثم ضُربت عنقه، وُصلب عند الجسر؛ وحبس عبد الله بن المهتدي إلى أن علم براءته، وأطلقه، وكان المعتضد قال لشَمِيلَة: بلغني أنك تدعو إلى ابن المهتدي؟ فقال: المشهور عني أنني أتولّى آل أبي طالب.

(ابن الأثير ٧: ٤٦١)

* * *

المهدي يصلب صالح بن عبد القدوس

ورد في معجم الأدباء، أن المهدي اتهم صالح بن عبد القدوس، الشاعر الحكيم بالزندقة، فضربه بالسيف بيده فشطره شطرين، وصلبه بضعة أيام للناس ثم دفن.

* * *

صلب رأس صالح بن وصيف

روى الطبري، قال:

في السنة ٢٥٦، كان صالح بن وصيف، القائد التركي المسيطر على جميع أمور الدولة، بعد أن خلع المعتزّ وقتله واستخلف المهدي وقتل جماعة من الكتاب، وخشي بقية القواد سطوته، فكاتبوا موسى بن بغا، فلما حضر موسى بجيشه إلى بغداد، استتر صالح، ثم عثر عليه صبيّ، فأخبر عنه، فقصدته خمسة من أصحاب السلطان، وأخرجوه حافياً، مكشوف الرأس، وعليه قميص وسراويل، فحمل على بردون، والعامّة تعدّو خلفه حتى انتهوا إلى دار موسى بن بغا، ثم أخرجوه ليذهبوا به إلى الجوسق، فقتلوه، في الطريق واحتزّوا رأسه وحمل على قناة، وطيف به ونُودي عليه:

هذا جزاء من قتل مولاه، إشارة إلى قتله المعتزّ، ونصب بباب العامة.

* * *

صلب طوّاف بن غلاق

في سنة ثمان وخمسين، كان قوم من الخوارج بالبصرة يجتمعون إلى رجل اسمه جدار، فيتحدّثون عنده ويصيّبون السلطان، فأخذهم ابن زياد، فحبسهم ثمّ دعا بهم وعرض عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً ويُخلّي سبيل القاتلين، ففعلوا، فأطلقهم، وكان ممّن قتل طوّاف، فعذّلهم أصحابهم، وقالوا: قتلتم إخوانكم! قالوا: أكرهنا وقد يُكرّه الرجل على الكفر وهو مطمئن بالإيمان.

وندم طوّاف وأصحابه، فقال طوّاف: أما من توبة؟ فكانوا يبيكون، وعرضوا على أولياء ممّن قتلوا الديّة، فأبوا، وعرضوا عليهم القود فأبوا، ولقي طوّاف الهشّات بن ثور السديسيّ، فقال له: أما ترى لنا من توبة؟ فقال: ما أجدر لك إلّا آية في كتاب الله، عزّ وجلّ، قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. فدعا طوّاف أصحابه إلى الخروج وإلى أن يفتكوا بابن زياد، فبايعوه في سنة ثمان وخمسين، وكانوا سبعين

رجلاً من بني عبد القيس بالبصرة، فسعى بهم رجلٌ من أصحابهم إلى ابن زياد، فبلغ ذلك طَوَافاً فعَجَّلَ الخروج، فخرجوا من ليلتهم، فقتلوا رجلاً ومضوا إلى الجُلحاء، فندب ابنُ زياد الشرطَ البُخاريَّة، فقاتلوهم، فانهزم الشرط حتى دخلوا البصرة واتبعوهم، وذلك يوم عيد الفطر، وكثرهم الناس فقاتلوا فقتلوا، وبقي طَوَاف في ستَّة نفر، وعطش فرسُه، فأقحمه الماء، فرماه البُخاريَّة بالشَّباب حتى قتله وصلبوه، ثم دفنه أهله.

(ابن الأثير ٣: ٥١٦)

* * *

عبد الرحمن بن محمد (ابن أبي عامر) يصبر ويعلّق
روى صاحب الأعلام، قال:

في السنة ٤٠٠، خرج عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر غازياً، فظهر بقرطبة محمد بن هشام الأموي، وخلع هشام المؤيد، فانقلب يريد قرطبة وتفرق عنه أصحابه قبل وصوله إلى قرطبة، فبعث إليه محمد بن هشام، فأحيط به وذبح، وحمل إلى قرطبة، فصبّر بدنه، وكُسي قميصاً وسراويل وعلّق على خشبة طويلة بقرطبة على باب السدّة.

* * *

صلب عبد الرشيد الصوفي

جاء في الذيل على الروضتين، ص ٢٠، أنه في السنة ٥٨٦، غضب الخليفة على عبد الرشيد الصوفي الفقيه، فأمر بصلبه فُصلب.

* * *

صلب عبد الله بن حليس وعبد السلام بن أبي الماضي

جاء في «الولاة للكندي»، أنه في السنة ٢١٤، دخل أبو إسحاق بن الرشيد (المعتصم) مصر، وكان يليها لأخيه المأمون، وبعث في طلب اثنين أشعلا فيها الفتنة، فأحضرهما، وهما عبد الله بن حليس، وعبد السلام بن أبي الماضي،

فقيدهما وسجنهما وأقامهما للناس، ثم قتلها وصلبهما. فقال: معلّى الطائي يصف حالهما:

إن الحليسيّ غدا سابقاً	في حلبة الجسرين قد قصّبا
على طمّرٍ ما له أرجل	من صنعة النجار قد شذّبا
وليس يدري عند إجمامه	من أثغر الطرف ومن لبّبا
مسّمّر الخلق أمون الشوى	يأنف أن يأكل أو يشربا
ولو سرى ليلته كلّها	ما جاوز الجسر ولا قرّبا
لو كان من بعض نخيل القرى	كان أبو القاسم قد أرطبا
كسا أبو إسحاق أوداجه	أبيض لا يعتب من أغضببا
وقد سقى عبد السلام الردى	فكيف بالله إذا جرّبا

* * *

قصة صلب عبد الله بن الزبير

لما بويع عبد الملك بالشام، بعث إلى المدينة عروة بن أنيف في ستة آلاف من أهل الشام، وأمره أن لا يدخل المدينة وأن يعسكر بالعروسة، وكان عامل عبد الله بن الزبير على المدينة الحارث بن حاطب بن الحارث بن معمر الجُمحيّ، فهرب الحارث، وكان ابن أنيف يدخل ويصلي بالناس الجمعة، ثم يعود إلى عسكره، فأقام شهراً ولم يبعث إليهم ابن الزبير أحداً.

وكتب إليه عبد الملك بالعود إليه، فعاد هو ومن معه، وكان يصلي بالناس بعده عبد الرحمن بن سعد القرظي، ثم عاد الحارث إلى المدينة، وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الزُرقيّ الأنصاري، وكان رجلاً صالحاً عاملاً على خيبر وقدك، فنزل في عمله، فبعث عبد الملك عبد الواحد بن الحارث بن الحكم، وقيل: اسمه عبد الملك، وهو أصح، في أربعة آلاف، فسار حتى نزل وادي القرى، وسير سريةً عليها أبو القمقام في خمسمائة إلى سليمان، فوجدوه قد هرب، فطلبوه، فأدركوه فقتلوه ومن معه. فاعتم عبد الملك بن مروان لقتله، وقال: قتلوا رجلاً مسلماً صالحاً بغير ذنب.

وعزل ابن الزبير الحارث واستعمل مكانه جابر بن الأسود بن عوف الزهري، فوجه جابر أبا بكر بن أبي قيس في ستمائة فارس وأربعين فارساً إلى خيبر، فوجدوا أبا القمقام ومن معه مقيمين بفدك يعسفون الناس فقاتلوهم، فانهزم أصحاب أبي القمقام وأسر منهم ثلاثون رجلاً، فقتلوا صبراً وقيل: بل قُتل الخمسمائة أو أكثرهم.

ووجه عبد الملك طارق بن عمرو، مولى عثمان، وأمره أن ينزل بين أيّلة ووادي القرى ويمنع عمال ابن الزبير من الانتشار ويسدّ خللاً إن ظهر له. فوجه طارق إلى أبي بكر خيلاً، فاقتتلوا، فأصيب أبو بكر في المعركة، وأصيب من أصحابه أكثر من مائتي رجل.

وكان ابن الزبير قد كتب إلى القبايع أيام كان عامله على البصرة يأمره أن يرسل إليه ألفي فارس، ليعينوا عامله على المدينة، فوجه إليه ألفي رجل، فلما قُتل أبو بكر أمر ابن الزبير جابر بن الأسود أن يسير جيش البصرة إلى قتال طارق، فسار البصريون عن المدينة، وبلغ طارقاً الخبر فسار نحوه، فالتقيا: فقتل مقدم البصريين وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً، وطلب طارق مدبرهم وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم.

ورجع طارق إلى وادي القرى، وكان عامل ابن الزبير بالمدينة جابر بن الأسود، وعزل ابن الزبير جابراً واستعمل طلحة بن عبيد الله بن عوف، الذي يُعرف بطلحة الندي، سنة سبعين، فلم يزل على المدينة حتى أخرجه طارق.

فلما قتل عبد الملك مصعباً وأتى الكوفة، وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفي في ألفين، وقيل: في ثلاثة آلاف، من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير. وكان السبب في تسييره دون غيره أنه قال لعبد الملك: قد رأيتُ في المنام أنني أخذتُ عبد الله بن الزبير فسلخته، فابعثني إليه وولني قتاله، فبعثه وكتب معه أماناً لابن الزبير ومن معه إن أطاعوا، فسار في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين، ولم يعرض للمدينة، ونزل الطائف، وكان يبعث الخيل إلى عرفة ويبعث ابن الزبير

أيضاً، فيقتلون بعَرفة فتنهزم خيل ابن الزبير في كل ذلك، وتعود خيل الحجاج بالظفر.

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم وحصر ابن الزبير ويُخبر بضغفه، وتفرق أصحابه ويستمدّه، فكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللاحق بالحجاج، فقدم المدينة في ذي القعدة، سنة اثنتين وسبعين، وأخرج عامل ابن الزبير عنها، وجعل عليها رجلاً من أهل الشام اسمه ثعلبة، فكان ثعلبة يُخرج المَخ وهو على منبر النبي ﷺ، ثم يأكله ويأكل عليه التمر ليغيظ أهل المدينة، وكان مع ذلك شديداً على أهل الزبير، وقدم طارق على الحجاج بمكة في سلخ ذي الحجة في خمسة آلاف.

وأما الحجاج، فإنه قدم مكة في ذي القعدة وقد أحرم بحجة، فنزل بشر ميمون، وحج بالناس تلك السنة الحجاج، إلا أنه لم يطف بالكعبة ولا سعى بين الصفا والمروة، منعه ابن الزبير من ذلك، فكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قُتل ابن الزبير، ولم يحج ابن الزبير ولا أصحابه، لأنهم لم يقفوا بعرفة ولم يرموا الجمار، ونحر ابن الزبير بدنه بمكة.

ولما حصر الحجاج ابن الزبير، نصب المنجنيق على أبي قبيس، ورمى به الكعبة، وكان عبد الملك ينكر ذلك أيام يزيد بن معاوية ثم أمر به، فكان الناس يقولون: خذل في دينه.

وحج ابن عمر تلك السنة، فأرسل إلى الحجاج، أن اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس، فإنك في شهر حرام وبلد حرام، وقد قدمت وفود الله من أقطار الأرض ليؤدوا فريضة الله ويزدادوا خيراً، وإن المنجنيق قد منعهم عن الطواف، فاكفف عن الرمي حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة، فبطل الرمي حتى عاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا، ولم يمنع ابن الزبير الحاج من الطواف والسعي، فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجاج: انصرفوا إلى بلادكم، فإننا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد.

وأول ما رُمي بالمنجنيق إلى الكعبة، رعدت السماء وبرقت، وعلا صوت الرعد على الحجارة، فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم، فأخذ الحجاج حجر المنجنيق بيده، فوضعه فيه ورمى به معهم، فلما أصبحوا جاءت الصواعق، فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً، فانكسر أهل الشام، فقال الحجاج: يا أهل الشام لا تنكروا هذا، فإنني ابنُ تهامة، وهذه صواعقُها، وهذا الفتح قد حضر فأبشروا. فلما كان الغد، جاءت الصاعقة، فأصابَت من أصحاب ابن الزبير عدَّة، فقال الحجاج: ألا ترون أنهم يُصابون وأنتم على الطاعة، وهم على خلافها؟ وكان الحجر يقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي فلا ينصرف، وكان أهل الشام يقولون:

يا ابن الزبير طالما عصيكا وطالما عنيتنا إليكَا
* لَتُجْزَيْنَ بالذي أتيكَا *

يعنون: عصيت وأتيت.

وقدم عليه قومٌ من الأعراب، فقالوا: قدمنا للقتال معك، فنظر، فإذا مع كلِّ امرئٍ منهم سيف كأنه شفرة وقد خرج من غمده، فقال: يا معشر الأعراب، لا قُربكم الله! فوالله إنَّ سلاحكم لرتَّ، وإن حديثكم لغثٌ، وإنكم لقتال في الجذب، أعداء في الخصب، فتفرَّقوا ولم يزل القتال بينهم دائماً، فغلت الأسعار عند ابن الزبير وأصاب الناس مجاعةً شديدة حتى ذبح فرسه وقسم لحمها في أصحابه، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم، والمذَّةُ الذرة بعشرين درهماً، وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه إلَّا ما يمسك الرمق، ويقول: أنفس أصحابي قوَّة ما لم تغن.

فلما كان قبيل مقتله تفرَّق الناس عنه، وخرجوا إلى الحجاج بالأمان، خرج من عنده نحو عشرة آلاف، وكان ممَّن فارقه ابنه حمزة وخبيب، أخذوا لأنفسهما أماناً، فقال عبد الله لابنه الزبير: خذ لنفسك أماناً كما فعل أخواك، فوالله إنني لأحبُّ بقاءكم، فقال: ما كنت لأرغب بنفسي عنك. فصبر معه فُقتل.

ولما تفرَّق أصحابه عنه خطب الحجاج الناس، وقال: قد تَرَوْنَ قلةَ مَنْ مع ابن الزبير وما هم عليه من الجهد والضيق. ففرحوا واستبشروا، فتقدَّموا فملاؤا

ما بين الحَجَّون إلى الأبواء، فدخل على أمّه، فقال: يا أمّاه، قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبقَ معي إلاّ اليسير، ومَنْ ليس عنده إلاّ من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنّك على حقٍّ وإليه تدعو، فامضِ له، فقد قُتل عليه أصحابك ولا تمكّن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أميّة، وإن كنت إنّما أردت الدنيا، فبئس العبدُ أنتَ أهلكتَ نفسك، ومَنْ قُتل معك، وإن قلتَ كنتَ على حقٍّ، فلما وهن أصحابي ضعفتُ، فهذا ليس فعلُ الأحرار ولا أهل الدّين، كم خلودك في الدّنيا! القتل أحسن! فقال: يا أمّاه، أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني. قالت: يا بني، إنّ الشاة إذا ذُبحت لا تتألّم بالسّليخ، فامضِ على بصيرتك واستعِز بالله.

فقبل رأسها، وقال: هذا رأيي، والذي قمتُ به داعياً إلى يومي هذا، ما ركنتُ إلى الدنيا ولا أحببتُ الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلاّ الغضب لله، وأن تُستحلَّ حُرُماته، ولكنّي أحببتُ أن أعلم رأيك، فقد زدتن بصيرة، فانظري يا أمّاه، فإنّي مقتول في يومي هذا، فلا يشتدّ حزنك وسلّمي الأمر إلى الله، فإنّ ابنك لم يتعمّد إتيان منكر ولا عملاً بفاحشة، ولم يجرّ في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمّد ظلم مسلم أو معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عمّالي، فرضيتُ به بل أنكرته، ولم يكن شيء أثر عندي من رضا ربّي، اللهم لا أقول هذا تركية لنفسي، ولكنّي أقوله تعزية لأمّي حتى تسلو عني!

فقالت أمّه: إنّني لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً، إن تقدّمتني احتسبتُك، وإن ظفرت سررتُ بظفرك، اخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك. فقال: جزاك الله خيراً، فلا تدعي الدعاء لي. قالت: لا أدعه لك أبداً، فمن قُتل على باطل فقد قُتلتَ على حقٍّ. ثمّ قالت: اللهم ارحم طول ذاك القيام في اللّيل الطويل، وذلك النحيب والظما في هواجر مكّة والمدينة، وبرّه بأبيه وبني! اللهم قد سلّمته لأمرِك فيه ورضيتُ بما قضيتَ، فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين.

فتناول يديها ليقبلهما، فقالت: هذا وداع، فلا تبعد. فقال لها: جئتُ مودّعاً لأنّي أرى هذا آخر أيامي من الدنيا. قالت: امضِ على بصيرتك، وادنُ منّي حتى

أودَّعَكَ، فَدَنَا مِنْهَا، فَعَانَقَهَا وَقَبَّلَهَا، فَوَقَعَتْ يَدَهَا عَلَى الدَّرْعِ، فَقَالَتْ: مَا هَذَا صَنِيعَ مَنْ يَرِيدُ مَا تَرِيدُ. فَقَالَ: مَا لِبَسْتَهُ إِلَّا لِأَشَدِّ مِنْكَ. قَالَتْ: فَإِنَّهُ لَا يَشُدُّ مِنِّي، فَنَزَعَهَا ثُمَّ دَرَجَ كُمِّيهِ وَشَدَّ أَسْفَلَ قَمِيصِهِ وَجَبَّةَ خَزْ تَحْتَ أَثْنَاءِ السَّرَاوِيلِ، وَأَدْخَلَ أَسْفَلَهَا تَحْتَ الْمَنْطِقَةَ وَأَمَّهُ تَقُولُ لَهُ: الْبَسْ ثِيَابَكَ مَشْمُورَةً، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنِّي إِذْ أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمَهُ الْحُرُّ

* إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ *

فَسَمِعَتْهُ، فَقَالَتْ: تَصْبِرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَبُوكَ أَبُو بَكْرٍ وَالزَّبِيرُ، وَأَمَّا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَحَمَلَتْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ حَمْلَةً مُنْكَرَةً، فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثُمَّ انْكَشَفَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَوْلَاحَقَّتْ بِمَوْضِعِ كَذَا. قَالَ: بَشَّ الشَّيْخُ، أَنَا إِذَا فِي الْإِسْلَامِ لَثَنَ أَوْقَعْتُ قَوْمًا فَقَتَلُوا ثُمَّ فَرَرْتُ عَنْ مِثْلِ مُصَارَعِهِمْ. وَدَنَا أَهْلَ الشَّامِ حَتَّى امْتَلَأَتْ مِنْهُمْ الْأَبْوَابُ، وَكَانُوا يَصِيحُونَ بِهِ! يَا ابْنَ ذَاتِ النَّطَاقَيْنِ، فَيَقُولُ:

* وَتِلْكَ شِكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارُهَا *

وَجَعَلَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ كُلِّ بَلَدٍ، فَكَانَ لِأَهْلِ حِمَاصِ الْبَابِ الَّذِي يُوَاجِهُ بَابَ الْكَعْبَةِ، وَلِأَهْلِ دِمَشْقَ بَابَ بَنِي شَيْبَةَ، وَلِأَهْلِ الْأُرْدُنِّ بَابَ الصَّفَا، وَلِأَهْلِ فَلَسْطِينَ بَابَ بَنِي جُمَحَ، وَلِأَهْلِ قَنْسَرِينَ بَابَ بَنِي تَمِيمٍ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ وَطَارِقُ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ إِلَى الْمَرْوَةِ، فَمَرَّةً يَحْمِلُ ابْنُ الزَّبِيرِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ وَمَرَّةً فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ، فَكَأَنَّهُ أَسَدٌ فِي أَجْمَةِ مَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ الرِّجَالُ يَعْذُو فِي أَثَرِ الْقَوْمِ حَتَّى يُخْرِجَهُمْ، ثُمَّ يَصِيحُ: أَبَا صَفْوَانَ! وَيَلُ أُمَّهُ فَتَحًا لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتَهُ! فَيَقُولُ أَبُو صَفْوَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ أُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ: أَيُّ وَاللَّهِ وَأَلْفَ.

فَلَمَّا رَأَى الْحَجَّاجُ أَنَّ النَّاسَ لَا يَقْدَمُونَ عَلَى ابْنِ الزَّبِيرِ، غَضِبَ وَتَرَجَّلَ وَأَقْبَلَ يَسُوقُ النَّاسَ وَيَصْمُدُ بِهِمْ صَمْدَ صَاحِبِ عَلَمِ ابْنِ الزَّبِيرِ وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَتَقَدَّمَ ابْنُ الزَّبِيرِ عَلَى صَاحِبِ عَلَمِهِ وَضَارِبِهِمْ وَانْكَشَفُوا، وَعَرَّجَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ عِنْدَ

المقام، فحملوا على صاحب علمه، فقتلوه عند باب بني شَيْبَةَ، وصار العَلَمُ بأيدي أصحاب الحَجَّاج، فلَمَّا فرغ من صلاته تقدَّم فقاتل بغير عِلْم، فضرب رجلاً من أهل الشام، وقال: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْحَوَارِيِّ! وضرب آخر، وكان حبشياً، ففقطعه يده وقال: اصبر أبا حُمَمَةَ، اصبر ابن حَام. وقاتل معه عبد الله بن مُطِيع وهو يقول:

أَنَا الَّذِي فَرَزْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ وَالْحُرُّ لَا يَفِرُّ إِلَّا مَرَّةً
* وَالْيَوْمَ أَجْزِي فَرَّةً بَكْرَةً *

وقاتل حتى قُتِل، قيل: إِنَّهُ أَصَابَتْهُ جِرَاحٌ، فمات منها بعد أَيَّام.

وقال ابن الزبير لأصحابه وأهله يوم قُتِل بعد صلاة الصبح: اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم، وعليهم المغافر، ففعلوا، فقال: يَا آلَ الزبير، لو طَبَّتُمْ بِي نَفْساً عن أنفسكم كُنَّا أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ اصْطَلَحْنَا فِي اللَّهِ، فَلَا يَرْعِكُمْ وَقَعُ السَّيُوفِ، فَإِنَّ أَلَمَ الدَّوَاءِ لِلْجِرَاحِ أَشَدُّ مِنْ أَلَمِ وَقْعِهَا، صَوْنُوا سَيُوفَكُمْ كَمَا تَصُونُونَ وَجُوهَكُمْ، غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ مِنَ الْبَارِقَةِ، وَلِيَشْغَلَ كُلُّ امْرِئٍ قِرْنَهُ وَلَا تَسْأَلُوا عَنِّي، فَمَنْ كَانَ سَائِلاً عَنِّي، فَإِنِّي فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ، احمَلُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى بَلَغَ بِهِمُ الْحَجُونَ، فَرُمِيَ بِأَجْرَةٍ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنَ السُّكُونِ، فَأَصَابَتْهُ فِي وَجْهِهِ فَأَرَعَشَ لَهَا وَدَمِيَ وَجْهِهِ، فَلَمَّا وَجَدَ الدَّمَ عَلَى وَجْهِهِ، قَالَ:

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا

وقاتلهم قتالاً شديداً، فتعاوروا عليه، فقتلوه يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة، وتولَّى قتله رجلٌ من مُرَادٍ، وحمل رأسه إلى الحَجَّاج، فسجد ووفد السكوني والمرادي إلى عبد الملك بالخبر، فأعطى كل واحد منهما خمسمائة دينار.

وسار الحَجَّاج وطارق حتى وقفا عليه، فقال طارق: ما ولدت النساء أذكراً من هذا. فقال الحَجَّاج: أتمدح مخالف أمير المؤمنين؟ قال: نعم، هو أعذر لنا، ولولا هذا لما كان لنا عذر، إِنَّا محاصروه منذ سبعة أشهر وهو في غير جند ولا حصن ولا مَنَعَةٍ، فيتنصف منا بل يفضل علينا، فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقاً.

ولَمَّا قُتِلَ ابْنُ الزبير كَبُرَ أَهْلُ الشَّامِ فَرَحاً بِقَتْلِهِ، فَقَالَ ابْنُ عَمْرِو: انظروا إلى

هؤلاء ولقد كبر المسلمون فرحاً بولادته، وهؤلاء يكبرون فرحاً بقتله.

وبعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عُمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة، ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان وأخذ جثته، فصلبها على الثنية اليمنى بالحجون. فأرسلت إليه أسماء: قاتلك الله! على ماذا صلبته؟ قال: استبقتُ أنا وهو إلى هذه الخشبة وكانت له. فاستأذنته في تكفينه ودفنه، فأبى ووكل بالخشبة من يحرسها، وكتب إلى عبد الملك يُخبره بصلبه، فكتب إليه يلومه ويقول: ألا خلّيت بينه وبين أمّه! فأذن لها الحجاج، فدفنته بالحجون، فمرّ به عبد الله بن عمر، فقال: السلام عليك يا أبا حبيب! أما والله، لقد كنتُ أنهاك عن هذا، ولقد كنتُ صوّماً قوّاماً وصوّلاً للرحم، أما والله إنّ قوماً أنت شرهم لنعم القوم.

ولما قُتل عبد الله، ركب أخوه عُروة ناقّة لم يرَ مثلها، فسار إلى عبد الملك، فقدم الشام قبل وصول رسل الحجاج بقتل عبد الله، فأتى باب عبد الملك، فاستأذن عليه، فأذن، فلما دخل سلّم عليه بالخلافة، فردّ عليه عبد الملك ورحّب به، وعانقه وأجلسه على السرير، فقال عُروة:

مَتَّتْ بِأَرْحَامٍ إِلَيْكَ قَرِيبَةً وَلَا قُرْبَ لِلْأَرْحَامِ مَا لَمْ تُقَرِّبْ
ثم تحدّثا حتى جرى ذكر عبد الله، فقال عُروة: إنّه كان، فقال عبد الملك:
وما فعل؟ قال: قُتل، فخرّ ساجداً، فقال عُروة: إن الحجاج صلبه، فهبّ جثته
لأمّه، قال: نعم، وكتب إلى الحجاج يعظّم صلبه.

فأنزل الحجاج جثة عبد الله عن الخشبة وبعث به إلى أمّه، فغسلته، فلما أصابه الماء تقطّع، فغسلته عضواً عضواً فاستمسك، وصلى عليه عُروة، فدفنته.

* * *

صلب عبد الرحمن بن يوسف

في سنة أربعين ومائة نكث يوسف الفهري، الذي كان أمير الأندلس، عهد عبد الرحمن الأموي.

وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن كان يضع عليه من يمينه ويناذه في أملاكه، فإذا أظهر حجة الشريعة لا يعمل بها، ففطن لما يُراد منه، فقصده ماردة واجتمع عليه عشرون ألفاً، فسار نحو عبد الرحمن، وخرج عبد الرحمن من قرطبة نحوه إلى حصن المدور.

ثم إن يوسف رأى أن يسير إلى عبد الملك بن عمر بن مروان، وكان والياً على إشبيلية، وإلى ابنه عمر بن عبد الملك، وكان على المدور، فسار نحوها؛ وخرجاً إليه فلقياه، فاقتتلا قتالاً شديداً، فصرير الفريقان، وانهزم أصحاب يوسف وقتل منهم خلق كثير، وهرب يوسف وبقي متردداً في البلاد، فقتله بعض أصحابه في رجب من سنة اثنتين وأربعين بنواحي طليطلة، وحمل رأسه إلى عبد الرحمن، فنصبه بقرطبة وقتل ابنه عبد الرحمن بن يوسف الذي كان عنده رهينة، ونصب رأسه مع رأس أبيه، وبقي أبو الأسود بن يوسف عند عبد الرحمن الأموي رهينة.

(ابن الأثير ٤: ٣٤٨ وما بعدها)

* * *

صلب عبد الرحمن الملقب بالناصر

في سنة ست وستين وثلاثمائة توفي الحاكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المستنصر بالله الأموي، صاحب الأندلس، وكانت إمارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وعمره ثلاثاً وستين سنة، وسبعة أشهر. وكان محباً لأهل العلم، عالماً، فقيهاً في المذاهب، عالماً بالأنساب والتواريخ، جماعاً للكتب والعلماء، مكرماً لهم، محسناً إليهم، أحضرهم من البلدان البعيدة ليستفيد منهم ويحسن إليهم.

ولما توفي، ولي بعده ابنه هشام بعهد أبيه، وله عشر سنين، ولقب بالمؤيد بالله، واختلفت البلاد في أيامه، وأخذ وحبس، ثم عاد إلى الإمارة.

وسببه أنه لما ولي المؤيد تحجب له المنصور أبو عامر بن أبي عامر المعافري، وابناه المظفر والناصر، فلما حجب له أبو عامر حجبه عن الناس، فلم

يكن أحد يراه، ولا يصل إليه، وقام بأمر دولته القيام المرضي، وعدل في الرعيّة، وأقبلت الدنيا إليه، واشتغل بالغزو، وفتح من بلاد الأعداء كثيراً، وامتلات بلاد الأندلس بالغنائم والرقيق، وجعل أكثر جنده منهم كواضح الفتى وغيره من المشهورين، وكانوا يُعرفون بالعامريين.

وأدام الله له الحال ستّاً وعشرين سنة، غزا فيها اثنتين وخمسين غزاة ما بين صائفة وشاتية، وتوفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وكان حازماً، قويّ العزم، كثير العدل والإحسان، حسن السياسة.

فلما توفي، وليّ بعده ابنه عبد الملك الملقّب بالمظفر، فسار كسيرة أبيه، وتوفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، فكانت ولايته سبع سنين.

وكان سبب موته أنّ أخاه عبد الرحمن سمّه في تفاحة قطعها بسكين، كان قد سمّ أحد جانبيّها فناول أخاه ما يلي الجانب المسموم، وأخذ هو ما يلي الجانب الصحيح، فأكله بحضرته، فاطمأنّ المظفر، وأكل ما بيده منها، فمات.

فلما توفي، وليّ بعده أخوه عبد الرحمن الملقّب بالناصر، فسلك غير طريق أبيه وأخيه، وأخذ في المجون، وشرب الخمر، وغير ذلك، ثمّ دسّ إلى المؤيد من خوّفه منه إن لم يجعله وليّ عهده، ففعل ذلك، فحقّد الناس وبنو أميّة عليه ذلك، وأبغضوه، وتحركوا في أمره إلى أن قُتل.

وغزا شاتية، وأوغل في بلاد الجلالقة، فلم يقدم ملكها على لقائه، وتحصّن منه في رؤوس الجبال، ولم يقدر عبد الرحمن على اتّباعه لزيادة الأنهار، وكثرة الثلوج، فأئخّن في البلاد التي وطئها، وخرج موفوراً، فبلغه في طريقه ظهور محمّد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله بقُرطبة، واستيلاؤه عليها، وأخذه المؤيد أسيراً، ففرّق عنه عسكره، ولم يبقَ معه إلّا خاصّته، فسار إلى قُرطبة ليتلافى ذلك الخطب، فخرج إليه عسكر محمّد بن هشام، فقتلوه وحملوا رأسه إلى قُرطبة، فطافوا به؛ وكان قتله سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، ثمّ صلبوه.

(ابن الأثير ٨: ٦٧٧)

* * *

صلب عبد الملك بن قطن

في سنة ثلاث وعشرين ومائة، توفي عقبة بن الحجاج السلولي أمير الأندلس، فقبل: بل ثار به أهل الأندلس فخلعوه، وولّوا بعده عبد الملك بن قطن، وهي ولايته الثانية، وكانت ولايته في صفر من هذه السنة، وكانت البربر قد حصرت بلج بن بشر العبسي حتى ضاق عليه وعلى من معه الأمر واشتدّ الحصر، وهم صابرون إلى هذه السنة، فأرسل إلى عبد الملك بن قطن يطلب منه أن يرسل إليه مراكب يجوز فيها هو ومن معه إلى الأندلس، وذكر ما أنزل عليه من الشدة وأنهم أكلوا دوابهم. فامتنع عبد الملك من إدخالهم الأندلس ووعدهم بإرسال المدد إليهم، فلم يفعل.

فاتفق أن البربر قويت بالأندلس، فاضطّر عبد الملك إلى إدخال بلج ومن معه، وقيل: إن عبد الملك استشار أصحابه في جزاء بلج، فخوفوه من ذلك، فقال: أخاف أمير المؤمنين أن يقول: أهلكت جندي، فأجازهم وشرط عليهم أن يقيموا سنة ويرجعوا إلى أفريقية، فأجابوه إلى ذلك، وأخذ رهائنهم وأجازهم.

فلما وصلوا إليه، رأى هو والمسلمون ما بهم من سوء الحال والفقر والعري لشدة الحصار عليهم، فكسوهم وأحسنوا إليهم، وقصدوا جمعاً من البربر بشدونة، فقاتلوهم، فظفروا بالبربر، فأهلكوهم وغنموا ما لهم ودوابهم وسلاحهم، فصلحت أحوال أصحاب بلج، وصار لهم دواب يركبونها.

ورجع عبد الملك بن قطن إلى قرطبة، وقال لبلج ومن معه ليخرجوا من الأندلس، فأجابوه إلى ذلك، فطلبوا منه مراكب يسرون فيها من غير الجزيرة الخضراء لئلا يلقوا البرابر الذين حصروهم، فامتنع عبد الملك، وقال: ليس لي مراكب إلا في الجزيرة. فقالوا: إننا لا نرجع نتعرض إلى البربر ولا نقصد الجهة التي هم فيها، لأننا نخاف أن يقتلونا في بلادهم، فألح عليهم في العود، فلما رأوا ذلك ثاروا به وقاتلوه، فظفروا به وأخرجوه من القصر وذلك أوائل ذي القعدة من هذه السنة.

فلما ظفر بلج بعبد الملك، أشار عليه أصحابه بقتل عبد الملك، فأخرجه من داره وكأنه فرخ لكبر سنّه، فقتله وصلبه، وولي الأندلس، وكان عمر عبد الملك

تسعين سنة، وهرب ابنه قَطْن وأمِّيَّة، فلحق أحدهما بماردة والآخر بسرقسطة، وكان هَرَبهما قبل قتل أبيهما.

(ابن الأثير ٥: ٢٥١)

* * *

عبد المؤمن يُسَمَّر ويُصَلَّب

جاء في النجوم الزاهرة (١٧: ١٠)، أنه في السنة ٧٤٢ خلع الملك المنصور أبوبكر بن محمد بن قلاوون. ونُفِيَ من القاهرة إلى قوص حيث قام متولِّي قوص عبد المؤمن بقطع عنقه وحمل رأسه إلى الأمير قوصون سرّاً.

ولما قبض على قوصون اعترف عبد المؤمن بما صنع، فأمر الملك الناصر أحمد (أخو المنصور) بتسمير عبد المؤمن، فسُمِّر بباب المارستان المنصوري بمسامير جافية شنيعة، وطُيِفَ به مدة ستة أيام، ثم شُنِقَ على قنطرة السدِّ وصُلب وأكلته الكلاب.

* * *

صلب عبدان بن الموفق حيّاً

ذكر الطبري أنه في السنة ٢٥٢ أحدث شخص اسمه عبدان بن الموفق فتنة في بغداد، وكان قد أحدث من قبل فتنة في سامراء، فضربه سعيد الحاجب خمسمائة سوط، وجبسه، ثم أطلقه، فقدم بغداد، وحثَّ خلقاً من الجند طلاب المشغبة على طلب أرزاقهم فاجتمعوا عليه وأنفق عليهم ثلاثة أيام لطعامهم، ومنعوا الإمام في المسجد من الدعاء للمعتز فوجّه إليهم أمير بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر، عدّة من قواده، واستمرّت الحرب بينهم حتى سقط عبدان أسيراً في يد أحد قواد ابن طاهر، فقيّد بقيدين ثلاثون رطلاً، وحُجِس، ثم سحب بقيوده وحمل على بغل إلى الجسر وجُرد وضُرب مائة سوط، ثم صلبه حيّاً على الجسر وربط بالحبال وترك إلى العصر، ثم أنزل ومات بعد يومين، فأعيد صلبه على خشبة في الجانب الشرقي.

* * *

صلب عُرْوَة بن أَدِيَّة

في سنة ثمان وخمسين اشتدَّ عُبيد الله بن زياد على الخوارج فقتل منهم جماعة كثيرة، منهم: عُرْوَة بن أَدِيَّة أخو أبي بلال مرداس بن أَدِيَّة، وأَدِيَّة أمهما، وأبوهما حُدَيْر وهو تميمي.

وكان سبب قتله أن ابن زياد كان قد خرج في رهان له، فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع إليه الناس وفيهم عروة، فأقبل على ابن زياد يعظه، وكان مما قال له: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾. فلما قال ذلك ظنَّ ابنُ زياد أنه لم يقل ذلك إلا ومعه جماعة، فقام وركب وترك رهانه. فقبل لعروة: ليقتلنك! فاختفى، فطلبه ابن زياد فهرب وأتى الكوفة، فأخذ وقُدِّم به على ابن زياد، فقطع يديه ورجليه وقتله وصلبه.

(ابن الأثير ٣: ٥١٧)

* * *

صلب عُقْبَة بن أبي مُعَيْط

كان من المستهزئين بالنبي محمد ﷺ، وأشدَّهم إيذاءً له: عُقْبَة بن أبي مُعَيْط. واسم أبي مُعَيْط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، ويكنى أبا الوليد، وكان من أشدَّ الناس عداوةً للنبي ﷺ، وللمسلمين، عمد إلى مكمل فجعل فيه عذرة وجعله على باب رسول الله ﷺ، فبصر به طليب بن عُمير بن وهب بن عبد مناف بن قُصَيٍّ، وأمه أروى بنت عبد المطلب، فأخذ المكمل منه وضرب به رأسه وأخذ بأذنيه، فشكاه عُقْبَة إلى أمه، فقال: قد صار ابنك ينصر محمداً. فقالت: ومن أولى به منّا؟ أموالنا وأنفسنا دون محمد. وأسر عُقْبَة بيدر فقتل صبراً، قتله عاصم بن ثابت الأنصاري، فلما أراد قتله قال: يا محمد من للصبيّة؟ قال: النار. قُتل بالصفراء، وقيل بعرق الطيبة، وصلب، وهو أول مصلوب في الإسلام.

(ابن الأثير ٢: ٧٤)

* * *

صلب علي بن الجهم مجرداً

روى صاحب الأغاني، أنه في السنة ٢٣٢ غضب المتوكل على علي بن الجهم الشاعر فنفاه إلى خراسان، وأمر أميرها هناك بأن يصلبه، فلما وصل حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر، ثم أخرجه فصلبه مجرداً.

* * *

قصة صلب

عيسى بن خضير وأصحاب محمد بن الحسن

في سنة خمس وأربعين ومئة كان ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، وقيل رابع عشر شهر رمضان.

وكان المنصور قد تتبَّعه وحمل أهله إلى العراق. فلما حملهم وسار بهم ردَّ رياحاً إلى المدينة أميراً عليها، فألحَّ في طلب محمد وضيق عليه وطلبه حتى سقط ابنه فمات، وأرهقه الطلب يوماً فتدلَّى في بئر بالمدينة يناول أصحابه الماء وانغمس في الماء إلى حلقه، وكان بدنه لا يخفى لعظمه، وبلغ رياحاً خبر محمد وأنه بالمدار، فركب نحوه في جنده. فتنحَّى محمد عن طريقه واختفى في دار الجهنية، فحيث لم يره رياح رجع إلى دار مروان.

وكان الذي أعلم رياحاً سليمان بن عبد الله بن أبي سبرة.

فلما اشتدَّ الطلبُ خرج قبل وقته الذي واعد أخاه إبراهيم على الخروج فيه، وقيل: بل خرج محمد لميعاده مع أخيه، وإنما أخوه تأخر لجدري لحقه، وكان عبيد الله بن عمرو بن أبي ذئب وعبد الحميد بن جعفر يقولان لمحمد بن عبد الله: ما تنتظر بالخروج! فوالله ما على هذه الأمة أشأم منك. أخرج ولو وحداك. فتحرَّك بذلك أيضاً (!؟).

... وأقبل محمد من المدار في مائة وخمسين رجلاً، فأتى في بني سلمة بهؤلاء تفاؤلاً بالسلامة، وقصد السجن فكسر بابيه وأخرج من فيه، وكان فيهم

الأمان مثل ما عرضت عليّ، فإن الحقّ حقنا وإنما ادّعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلته، فإنّ أبانا عليّاً كان الوصيّ وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟ . . .

ثمّ كتب إليه المنصور: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغني كلامك وقرأت كتابك . . . فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر وفديناكم من الأسر وحزنا عليكم مكارم الآباء وورثنا دونكم خاتم الأنبياء، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه، ولم تدرکوا لأنفسكم! والسلام عليكم ورحمة الله.

ثم إن المنصور أحضر ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس وأمره بالمسير إلى المدينة لقتال محمد. وسار عيسى حتى نزل الأعوص، وكان محمد قد جمع الناس وأخذ عليهم الميثاق وحصرهم فلا يخرجون، وخطبهم محمد بن عبد الله فقال لهم: إنّ عدوّ الله وعدوكم قد نزل الأعوص، وإنّ أحقّ الناس بالقيام بهذا الأمر لأبناء المهاجرين والأنصار، ألا وإنّا قد جمعناكم وأخذنا عليكم الميثاق، وعدوكم عدد كثير والنصر من الله والأمر بيده، وإنّه قد بدا لي أن أذن لكم، فمن أحبّ منكم أن يقيم أقام، ومن أحبّ أن يظعن ظعن.

فخرج عالم كثير، وخرج ناس من أهل المدينة بذرايرهم إلى الأعراض والجبال، وبقي محمد في شِرْذمة يسيرة، فأمر أبا القلمس برد من قدر عليه، فأعجزه كثير منهم، فتركهم.

وأرسل عيسى إلى محمد يُخبره أنّ المنصور قد آمنه وأهله، فأعاد الجواب: يا هذا إنّ لك برسول الله ﷺ قرابة قريبة، وإنّي أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيّه والعمل بطاعته، وأحذرك نقمته وعذابه، وإنّي والله ما أنا منصرف عن هذا الأمر حتى ألقى الله عليه، وإياك أن يقتلك من يدعوك إلى الله فتكون شرّ قتيل، أو تقتله فيكون أعظم لوزرك. فلمّا بلغته الرسالة قال عيسى: ليس لنا بيننا وبينه إلّا القتال. وقال محمد للرسول: علام تقتلونني وإنّما أنا رجل فر من أن يُقتل؟ قال: القوم يدعونك إلى الأمان، فإن أبيت إلّا قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك عليّ وطلحة

والزُّبَيْرَ عَلَى نَكثٍ بِيَعْتَهُمْ وَكَيْدٍ مَلِكُهُمْ. فَلَمَّا سَمِعَ الْمَنْصُورُ قَوْلَهُ قَالَ: مَا سَرَّنِي أَنَّهُ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ.

ونزل عيسى بالجُرْفِ لاثنتي عشرة من رمضان يوم السبت، فأقام السبت والأحد وغدا يوم الاثنين فوقف على سَلْعٍ فنظر إلى المدينة وَمَنْ فِيهَا فنادى: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دِمَاءَ بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ فَهَلُّمُوا إِلَى الْأَمَانِ! فَمَنْ قَامَ تَحْتَ رَايَتِنَا فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَهُوَ آمِنٌ، خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ صَاحِبِنَا فَإِنَّا لَنَا وَإِمَّا لَهُ! فَشْتَمَوْهُ. وانصرف من يومه وعاد من الغد وقد فَرَّقَ الْقَوَادِمَ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِ الْمَدِينَةِ وَأَخْلَى نَاحِيَةَ مَسْجِدِ أَبِي الْجَرَّاحِ، وَهُوَ عَلَى بَطْحَانَ، فَإِنَّهُ أَخْلَى تِلْكَ النَّاحِيَةَ لَخُرُوجِ مَنْ يَنْهَزِمُ، وَبَرَزَ مُحَمَّدٌ فِي أَصْحَابِهِ، وَكَانَتْ رَايَتُهُ مَعَ عِثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ شِعَارُهُ: أَحَدٌ أَحَدٌ. فَبَرَزَ أَبُو الْقَلَمَسِ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ أَخُو أَسَدٍ وَاقْتَتَلَا طَوِيلًا، فَقَتَلَهُ أَبُو الْقَلَمَسِ، وَبَرَزَ إِلَيْهِ آخَرُ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ حِينَ ضَرَبَهُ: خَذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْفَارُوقِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عِيسَى: قَتَلْتَ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ فَارُوقٍ. . .

وقَاتَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ قِتَالًا عَظِيمًا فَقَتَلَ بِيَدِهِ سَبْعِينَ رَجُلًا، وَأَمَرَ عِيسَى حُمَيْدُ بْنُ قُحْطَبَةَ فَتَقَدَّمَ فِي مَائَةِ كُلِّهُمْ رَاجِلٌ سِوَاهُ فَزَحَفُوا حَتَّى بَلَغُوا جِدَارًا دُونَ الْخَنْدَقِ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَهَدَمَ حُمَيْدُ الْحَائِطَ وَانْتَهَى إِلَى الْخَنْدَقِ وَنَصَبَ عَلَيْهِ أَبْوَابًا وَعَبَّرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَيْهَا فَجَاوَزُوا الْخَنْدَقَ وَقَاتَلُوا مِنْ وَرَائِهِ أَشَدَّ قِتَالٍ مِنْ بُكْرَةِ إِلَى الْعَصْرِ، وَأَمَرَ عِيسَى أَصْحَابَهُ فَأَلْقَوْا الْحَقَائِبَ وَغَيْرَهَا فِي الْخَنْدَقِ وَجَعَلَ الْأَبْوَابَ عَلَيْهَا وَجَاوَزَتِ الْخَيْلُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، فَانْصَرَفَ مُحَمَّدٌ قَبْلَ الظَّهِيرِ فَاغْتَسَلَ وَتَحَنَّنَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! وَاللَّهِ مَا لَكَ بِمَا تَرَى طَاقَةً! فَلَوْ أَتَيْتَ الْحَسَنَ ابْنَ مَعَاوِيَةَ بِمَكَّةَ فَإِنَّ مَعَهُ جُلَّ أَصْحَابِكَ. فَقَالَ: لَوْ خَرَجْتُ لَقُتِلَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ حَتَّى أُقْتَلَ أَوْ أَقْتَلَ، وَأَنْتَ مَنِي فِي سَعَةِ فَادْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ.

فَمَشَى مَعَهُ قَلِيلًا ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ جُلَّ أَصْحَابِهِ حَتَّى بَقِيَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ

رجل يزيدون قليلاً، فقال لبعض أصحابه: نحن اليوم بعدة أهل بدر. وصلى محمد الظهر والعصر، وكان معه عيسى بن خضير وهو يناشده إلا ذهب إلى البصرة أو غيرها، ومحمد يقول: والله لا تبتلون بي مرتين، ولكن اذهب أنت حيث شئت. فقال ابن خضير: وأين المذهب عنك؟ ثم مضى فأحرق الديوان الذي فيه أسماء من بايعه، وقتل رياح بن عثمان وأخاه عباس بن عثمان وقتل ابن مسلم بن عتبة المري ومضى إلى محمد بن القسري وهو محبوس ليقتله، فعلم به فردم الأبواب دونه، فلم يقدر عليه ورجع إلى محمد فقاتل بين يديه حتى قتل.

وتقدم حميد بن قحطبة وتقدم محمد، فلما صار ينظر مسيل سلع عرقب فرسه وعرقب بنو شجاع الخميسيون دواتهم ولم يبق أحد إلا كسر جفن سيفه، فقال لهم محمد: قد بايعتموني ولست بارحاً حتى أقتل، فمن أحب أن ينصرف فقد أذن له.

واشتد القتال فهزموا أصحاب عيسى مرتين وثلاثاً، وقال يزيد بن معاوية بن عباس بن جعفر: ويل أمه فتحاً لو كان له رجال: فصعد نفر من أصحاب عيسى على جبل سلع وانحدروا منه إلى المدينة، وأمرت أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بخمار أسود فرُفع على منارة محمد رسول الله ﷺ، فقال أصحاب محمد: دخلت المدينة، فهربوا، فقال يزيد: لكل قوم جبل يعصمهم، ولنا جبل لا نؤتى إلا منه، يعني سلعا.

وفتح بنو أبي عمرو الغفاريون طريقاً في بني غفار لأصحاب عيسى ودخلوا منه أيضاً وجاؤوا من وراء أصحاب محمد، ونادى محمد حميد بن قحطبة: ابرز إلي فأننا محمد بن عبد الله، فقال حميد: قد عرفتك وأنت الشريف الكريم ابن الكريم، لا والله لا أبرز إليك وبين يدي من هؤلاء الأغمار أحد، فإذا فرغت منهم فسأبرز إليك. وجعل حميد يدعوا ابن خضير إلى الأمان ويشج به على الموت، وابن خضير يحمل على الناس راجلاً لا يصفى إلى أمانة وهو يأخذه بين يديه، فضربه رجل من أصحاب عيسى على إتيته فحلها، فرجع إلى أصحابه فشدها بثوب ثم عاد إلى القتال، فضربه إنسان على عينه فغاص السيف وسقط، فابتدروه فقتلوه واحتز رأسه

وكأنه بإذنجانة مغلقة من كثرة الجراح فيه . فلما قُتل تقدّم محمّد فقاتل على جيفته ، فجعل يهذّ النَّاس هذّاً ، وكان أشبه النَّاس بقتال حمزة . ولم يزل يقاتل حتى ضربه رجل دون شحمة أذنه اليمنى فبرك لركبته وجعل يذبّ عن نفسه ويقول : ويحكم ابن نبيكم مجرّح مظلوم ! فطعنه ابن قحطبة في صدره فصرعه ، ثم نزل إليه فاحتزّ رأسه وأتى به عيسى ، وهو لا يُعرّف من كثرة الدماء . فأرسل عيسى الرأس إلى المنصور مع محمّد بن أبي الكرام بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، فأرسل معه رؤوس بني شجاع ، فأمر المنصورُ فطيف برأس محمّد في الكوفة وسيّره إلى الآفاق ؛ وانتقلوا معه ، ثمّ قاتلوا معه حتى قُتلوا .

وكان قتل محمّد وأصحابه يوم الاثنين بعد العصر لأربع عشرة خلت من شهر رمضان .

ولما قُتل محمّد أرسل عيسى ألوياً فنُصبت في مواضع بالمدينة ونادى مناديه : مَنْ دخل تحت لواء منها فهو آمن . وأخذ أصحاب محمّد فصلبهم ما بين ثنية الدّواع إلى دار عمر بن عبد العزيز صفّين ووُكِّل بخشبة ابن خضير مَنْ يحفظها ، فاحتمله قومٌ من الليل فواروه سرّاً وبقي الآخرون ثلاثاً ، فأمر بهم عيسى ، فألقوا على مقابر اليهود ، ثمّ ألقوا بعد ذلك في خندق في أصل ذباب ، فأرسلت زينب بنت عبد الله أخت محمّد وابنة فاطمة إلى عيسى : إنكم قد قتلتموه وقضيتم حاجتكم منه ، فلو أذنتم لنا في دفنه ؟ فأذن لها ، فدُفن بالبقيع .

(ابن الأثير ٥ : ٥٢٩ وما بعدها)

* * *

رفع السيّد المسيح إلى السماء وصلب من شُبّه به

لما عاد عيسى وأمه مريم من مصر إلى الشام ، نزلا بقرية يقال لها ناصرة ، وبها سمّيت النصارى ، فأقام إلى أن بلغ ثلاثين سنة ، فأوحى الله إليه أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله تعالى ويداوي المرضى والزمى الأكمه والأبرص وغيرهم من المرضى ، ففعل ما أمر به ، وأحبّه الناس ، وكثُر أتباعه ، وعلا ذكره وتبعه نفر من

أصحابه، فكانوا الحواريين وكانت عدتهم اثني عشر رجلاً، وكانوا إذا جاعوا أو عطشوا قالوا: يا روح الله قد جعنا وعطشنا، فيضرب يده إلى الأرض فيخرج لكل إنسان منهم رغيفين وما يشربون. فقالوا: مَنْ أفضل منّا، إذا شئنا أطعمتنا وسقيتنا! فقال: أفضل منكم من يأكل من كسب يده. فصاروا يغسلون الثياب بالأجرة.

وكان غالباً على زمانه الطبّ، فأتى قومه بما أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى تعجيزاً لهم، فممن أحياه عازر، وكان صديقاً لعيسى، فمرض فأرسلت أخته إلى عيسى أن عازر يموت، فسار إليه وبينهما ثلاثة أيام، فوصل إليه وقد مات منذ ثلاثة أيام، فأتى قبره فدعا له فعاش، وبقي حتى وُلد له. وأحيا عزيزاً النبي، قال له بنو إسرائيل: احْيِ لَنَا عَزِيزاً وَإِلَّا أَحْرَقْنَاكَ. فدعا الله فعاش، فقالوا: ما تشهد لهذا الرجل قال: أشهد أنه عبد الله ورسوله. وأحيا يحيى بن زكرياء، وكان يمشي على الماء.

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة. وسبب ذلك: أن الحواريين قالوا له: يا عيسى: «هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟»، فدعا عيسى فقال: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا»، فأنزل الله المائدة. . .

قيل: إن عيسى استقبله ناس من اليهود، فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة! وقذفوه وأمه، فسمع ذلك ودعا عليهم، فاستجاب الله دعاءه ومسحهم خنازير، فلما رأى ذلك رأس بني إسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتله، فاجتمعوا عليه، فسألوه، فقال: يا معشر اليهود، إن الله يبغضكم، فغضبوا من مقالته وثاروا إليه ليقتلوه، فبعث إليه جبرائيل فأدخله في خوخة إلى بيت فيها روزنة في سقفها فرفعه إلى السماء من تلك الروزنة، وأمر رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه قطيانوس أن يدخل إليه فيقتله، فدخل فلم يرَ أحداً، وألقى الله عليه شبح المسيح، فخرج إليهم فظنوه عيسى فقتلوه وصلبوه.

وقيل: إن عيسى قال لأصحابه: أيكم يحب أن يُلقى عليه شبيهي وهو مقتول؟ فقال رجل منهم: أنا يا روح الله. فألقي عليه شبيهه، فقتل وصُلب.

وقيل: إن الذي شُبِّهَ بعيسى وُصِّلَ رجل إسرائيلي اسمه يوشع.

واختلف العلماء في موته قبل رفعه إلى السماء: فقيل رُفِعَ ولم يمِت، وقيل: توفاه الله ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات، ثم أحياه ورفعاه، ولمَّا رُفِعَ إلى السماء قال الله له: انزل، فلمَّا قالوا لشمعون عن المسيح، جحد بكى وأحزنه ذلك. وأتى أحد الحواريين إلى اليهود فدَلَّهم على المسيح وأعطوه ثلاثين درهماً فأَتى معهم إلى البيت الذي فيه المسيح، فدخله، فرفع الله المسيح وألقى شبهه على الذي دَلَّهم عليه، فأخذوه وأوثقوه وقادوه وهم يقولون له: أنت كنت تحيي الموتى وتفعل كذا وكذا فهلَّا تنجِّي نفسك؟ وهو يقول: أنا الذي دَلَّكم عليه، فلم يصغوا إلى قوله ووصلوا به إلى الخشبة وصلبوه عليها.

وقيل: إن اليهود لما دَلَّهم عليه الحواريُّ اتَّبَعوه وأخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه، فأظلمت الأرض وأرسل الله ملائكته فخالوا بينهم وبينه، وألقى شبه المسيح على الذي دَلَّهم عليه، فأخذوه ليصلبوه، فقال: أنا الذي دَلَّكم عليه، فلم يلتفتوا إليه فقتلوه وصلبوه عليها. ورفع الله المسيح إليه بعد أن توفاه ثلاث ساعات، وقيل: سبع ساعات كما ذكرنا، ثم أحياه ورفعاه، ثم قال له: انزل إلى مريم فلإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن أحد حزنها. فنزل عليها بعد سبعة أيام، فاشتعل الجبل حين هبط نوراً، وهي عند المصلوب تبكي ومعها امرأة كان أبرأها من الجنون، فقال ما شأنكما تبكيان؟ قالتا: عليك! قال: إني رفعتني الله إليه ولم يصبني إلا خير، وإن هذا شيء شُبِّهَ لهم، وأمرها فجمعت له الحواريين فبَشَّهم في الأرض رسلاً عن الله وأمرهم أن يبلغوا عنه ما أمره الله به، ثم رفعه الله إليه وكساه الريش وألبسه النور... وطار مع الملائكة.

وتفرَّق الحواريون حيث أمرهم، فتلك الليلة التي أهبطه الله فيها هي التي تدخن فيها النصارى.

وتعدَّى اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويشتمونهم، فسمع بذلك ملك الروم واسمه هيرودس فانتزع الحواريين من أيدي اليهود وسألهم عن دين عيسى فأخبروه وتابعهم على دينهم واستنزل المصلوب الذي شُبِّهَ لهم فغِيَّه وأخذ الخشبة

التي صُلب عليها فأكرمها وصانها وعدا على بني إسرائيل فقتل منهم قتلى كثيرة، فمن هناك كان أصل النصرانية في الروم . . .

(ابن الأثير ١: ٣١٣ وما بعدها)

* * *

صلب غيلان القَدري

هو غيلان بن مسلم الدمشقي، كاتب من البلغاء، تنسب إليه فرقة «الغيلانية» من القدرية، وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه، لم يسبقه سوى معبد الجهنني . قال الشهرستاني في الملل والنحل: كان غيلان يقول: بالقدر خيره وشره من العبد، وفي الإمامة، إنها تصلح في غير قریش، وكان من كان قائماً بالكتاب والسنة، فهو مستحق لها، ولا تثبت إلا بإجماع الأمة .

قيل: تاب عن القول بالقدر على يد عمر بن عبد العزيز، فلما مات عمر جاهر بمذهبه، فطلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته، فأفتى الأوزاعي بقتله، فُصلب على باب كيسان بدمشق .

(راجع الأعلام للزركلي ٥: ١٢٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٤٣)

* * *

صلب فَرُوة بن عمرو الجُذامي

في سنة عشر، أرسل فَرُوة بن عمرو الجُذامي، ثمَّ النُفائي رسولاً إلى رسول الله ﷺ، بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فَرُوة عاملاً للروم على مَنْ يليهم من العرب، وكان منزله مُعان في أرض الشام، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أسروه، فحبسوه، فقال في محبسه ذلك:

طرقتُ سُلَيْمى مَوْهنأ فشجاني	والرَّومُ بينَ البابِ والقربانِ
صدَّ الخيالُ وساءَ ما قد رآني	وهملتُ أن أغفي وقد أبكاني
لا تكحلنَّ العينَ بعدي إثمداً	سَلَمى ولا تَدْنينَّ للإنسانِ

فلما اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال لهم عَفْرى، بفلسطين، قال:

ألا هل أتى سلمى بأنّ خليلها على ماء عفرى فوق إحدى الرّواجل
على ناقةٍ لم يلقح الفحل أمّها مشدّبة أطرافها بالمناجل

وهذا من أبيات المعاني، فلما قدموه ليصلبوه، قال:

بلغ سرّاة المسلمين بأنني سلّم لربّي أعظمي ومقامي
ثمّ ضربوا عنقه وصلبوه.

(ابن الأثير ٢: ٢٩٧)

* * *

صلب قاضي ميافارقين وابن الطبري

ذكر صاحب تجارب الأمم (٣٩٠)، أنه في السنة ٣٦٨، حصر جيش عضد الدولة مدينة ميافارقين وفتحها بالأمان، واستثنى من الأمان قاضي البلدة وغلماً يُعرف بابن الطبري، كانا أثناء الحصار يسرفان في شتم عضد الدولة، فلما أخذوا، ضربت رقبتاهما وصلبا على البرج الذي كانا يظهران عليه ويشتمان.

* * *

صلب قواد الزنج

روى الطبري، قال:

في السنة ٢٧٢، كانت للزنج حركة بواسطة فصاحوا: أنكلاي، يا منصور، وأنكلاي هو ابن صاحب الزنج، وكان قد أودع الحبس بعد مقتل أبيه، ومعه جماعة من قواد الزنج، منهم: علي بن أبان المهلبّي وإبراهيم بن جعفر الهمداني، وسليمان بن جامع، والشعراني، وكانوا قد حبسوا في دار محمد بن عبد الله بن طاهر في دار السلام، وفي دار البطيخ، في يد غلام من غلمان الموفق، يقال له: فتح السعدي، فكتب الموفق إلى فتح، أن يوجّه إليه برؤوس هؤلاء الستة، فدخل إليهم، وجعل يخرج الأول فالأول منهم، فذبّحهم غلام له، وقلع رأس بالوعة في الدار، وطرحت أجسادهم فيها وسدّ رأسها، ووجّه برؤوسهم إلى الموفق.

ثم ورد كتاب الموفق على محمد بن عبد الله بن طاهر، أمير بغداد، أن يصلب جثث هؤلاء الستة، فأخرجوا من البالوعة وقد انتفخوا، وتغيّرت روائحهم، وتفسّر بعض جلودهم، فحملوا في المحامل، المحمل بين رجلين، وصلب ثلاثة منهم بالجانب الشرقي، وثلاثة بالجانب الغربي، وركب محمد، حتى صلبوا بحضرته.

وجاء في شرح نهج البلاغة، أنه لما قتل صاحب الزنج علي بن محمد الورزني، أمر أبو أحمد الموفق برفع رأس صاحب الزنج على قناة، وانصرف إلى الموفقية، ورأس صاحب الزنج منصوب بين يديه على قناة في شذاة، وسليمان بن جامع والهمذاني، من كبار قواد صاحب الزنج مصلوبين أحياء في شذاتين على جانبيه حتى وافى قصره بالموفقية.

(شرح نهج البلاغة ٨: ٢١٠)

* * *

صلب الكرمانيّ

في سنة ثمانٍ وعشرين ومائة، كان الكرمانيّ قد قتل الحارث بن سريج؛ ولما قتله خلصت له مرو وتنحى نصر بن سيار عنها، فأرسل نصر إليه سالم بن أحوز في رابطته وفرسانه، فوجد يحيى بن نعيم الشيباني واقفاً في ألف رجل من ربيعة، ومحمّد بن المثنى في سبعمائة من فرسان الأزد، وابن الحسن بن الشيخ في ألف من فتيانهم، والجزمي السعدي في ألف من أبناء اليمن. فقال سالم لمحمّد بن المثنى: يا محمّد، قل لهذا الملاح ليخرج إلينا؛ يعني الكرمانيّ. فقال محمّد: يا ابن الفاعلة، لأبي عليّ تقول هذا! واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم سالم بن أحوز وقتل من أصحابه زيادة على مائة، ومن أصحاب الكرمانيّ زيادة على عشرين.

فلما قدم أصحاب نصر عليه منهزمين، قال له عِصمة بن عبد الله الأسدي: يا نصر، شامت العرب! فأما إذ فعلت ما فعلت، فشمر عن ساق، فوجّه عِصمة في جمع، فوقف سالم فنادى: يا محمّد بن المثنى! لتعلمن أن السمك لا يأكل اللّخم؛ واللّخم دابة من دواب الماء تشبه السبع يأكل السمك. فقال له محمّد:

يا ابن الفاعلة، قف لنا إذا! وأمر محمد السعدي، فخرج إليه في أهل اليمن، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم عَصْمَة حتى أتى نصراً وقد قُتل من أصحابه أربعمئة.

ثم أرسل نصر مالك بن عمرو التميمي في أصحابه، فنأدى، يا ابن المشي، ابرز إلي! فبرز إليه، فضربه مالك على جبل عاتقه، فلم يصنع شيئاً، وضربه محمد بعمود، فشج رأسه، والتحم القتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم أصحاب نصر وقد قُتل منهم سبعمئة، ومن أصحاب الكرمانى ثلاثمئة، ولم يزل الشر بينهم حتى خرجوا إلى الخندقين، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

فلما استيقن أبو مسلم أن كلا الفريقين قد أثخن صاحبه وأنه لا مدد لهم، جعل يكتب إلى شيان ثم يقول للرسول: اجعل طريقك على مَضْر، فإنهم سيأخذون كتبك، فكانوا يأخذونها فيقرأون فيها: إني رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم، فلا تثقن بهم ولا تطمئنن إليهم، فإني أرجو أن يريك الله في اليمانية ما تحب، ولئن بقيت لا أدع لها شعراً ولا ظفراً. ويرسل رسولاً آخر بكتاب فيه ذكر مَضْر بمثل ذلك ويأمر الرسول أن يجعل طريقه على اليمانية، حتى صار هوى الفريقين معه، ثم جعل يكتب إلى نصر بن سيار وإلى الكرمانى: إن الإمام أوصاني بكم ولست أعدو رأيه فيكم. وكتب إلى الكور بإظهار الأمر؛ فكان أول من سوّد أسيد بن عبد الله الخزاعي بنسا، ومقاتل بن حكيم، وابن غزوان، ونادوا: يا محمد! يا منصور! وسوّد أهل أبيورد وأهل مرو الروذ وقرى مرو.

وأقبل أبو مسلم حتى نزل بين خندق الكرمانى وخندق نصر، وهابه الفريقان، وبعث إلى الكرمانى: إني معك. فقبل ذلك الكرمانى، فانضم أبو مسلم إليه، فاشتد ذلك على نصر بن سيار، فأرسل إلى الكرمانى: ويحك لا تغتر! فوالله إني لخائف عليك وعلى أصحابك منه، فأدخل مرو ونكتب كتاباً بيننا بالصلح. وهو يريد أن يفرق بينه وبين أبي مسلم، فدخل الكرمانى، فنزله وأقام أبو مسلم في العسكر، وخرج الكرمانى حتى وقف بالرحبة في مائة فارس وعليه قُرطوق، وأرسل إلى نصر: اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب، فأبصر نصر منه غيرة، فوجه إليه ابن الحارث بن سُرَيْج في نحو ثلاثمئة فارس في الرحبة، فالتقوا بها طويلاً، ثم إن الكرمانى طعن

في خاصرته، فخر عن دأبته وحماه أصحابه حتى جاءهم ما لا قبل لهم به، فقتل نصر بن سيار الكرمانى وصلبه وصلب معه سمكة.

(ابن الأثير ٥: ٣٦٣)

* * *

صلب كورصول ملك سمرقند

في سنة إحدى وعشرين ومائة، غزا نصر بن سيار إلى الشاش من مرو، فحال بينه وبين عبور نهر الشاش كورصول في خمسة عشر ألفاً، وكان معهم الحارث بن سريج، وعبر كورصول في أربعين رجلاً، فخرج عاصم بن عمير، وهو على جند سمرقند، فمرت به خيل الترك، فحمل على رجل في آخرهم فأسره، فإذا هو ملك من ملوكهم، صاحب أربعة آلاف قبة، فأتى به إلى نصر، فقال له نصر: من أنت؟ قال: كورصول. فقال نصر: الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله... فقتله وصلبه ثم أحرقت الترك أبنيته، وقطعوا آذانهم، وقصّوا شعورهم وأذنان خيلهم، فلما أراد نصر الرجوع أحرقه لئلا يحملوا عظامه، فكان ذلك أشدّ عليهم من قتله.

وكتب يوسف بن عمر إلى نصر: سرّ إلى هذا الخارز ذنبه في الشاش، يعني الحارث بن سريج، فإن أظفرك الله به وبأهل الشاش، فخرّب بلادهم واسبّ ذراريهم، وإيّاك وورطة المسلمين. فقرأ الكتاب على الناس واستشارهم، فقال يحيى بن الحُضَيْن: امض لأمر أمير المؤمنين، وأمر الأمير، فقال نصر: يا يحيى، تكلمت بكلمة أيام عاصم بلغت الخليفة، فحظيت بها وبلغت الدرجة الرفيعة، فقلت أقول مثلها، سرّ يا يحيى فقد وليتك مقدّمتي؛ فلامّ الناس يحيى، فسار إلى الشاش، فأتاهم الحارث، فنصب عليهم عرّادتين، وأغار الأخرم، وهو فارس الترك، على المسلمين، فقتلوه وألقوا رأسه إلى الترك، فصاحوا وانهزموا.

وسار نصر إلى الشاش، فتلقاه ملكها بالصلح والهدية والرهن، واشترط عليه نصر إخراج الحارث بن سريج عن بلده، فأخرجه إلى فاراب واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمر بن العاص.

(ابن الأثير ٥: ٢٣٦)

* * *

قصة صلب مازيار وآخرين

في سنة أربع وعشرين ومائتين، أظهر مازيار بن قارن بن ونداد هُرمُز الخلاف على المعتصم بطبرستان، وعصى وقاتل عساكره.

وكان سببه أن مازيار كان منافراً عبد الله بن طاهر لا يحمل إليه خراج، وكان المعتصم يأمره بحمله إلى عبد الله، فيقول: لا أحمله إلا إليك، وكان المعتصم ينفذ مَنْ يقبضه من أصحاب مازيار بهمدان، ويسلمه إلى وكيل عبد الله بن طاهر يرده إلى خراسان.

وعظم الشر بين مازيار وعبد الله، وكان عبد الله يكتب إلى المعتصم، حتى استوحش من مازيار، فلما ظفر الأفشين ببابك، وعظم محله عند المعتصم، طمع في ولاية خراسان، فكتب إلى مازيار يستميله، ويظهر له المؤدة، ويُعلمه أن المعتصم قد وعده ولاية خراسان، ورجا أنه إذا خالف مازيار سيره المعتصم إلى حرب، وولاه خراسان، فحمل ذلك مازيار على الخلاف، وترك الطاعة، ومنع جبال طبرستان، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربته، وكتب الأفشين إلى مازيار يأمره بمحاربة عبد الله، وأعلمه أنه يكون له عند المعتصم كما يحب، ولا يشك الأفشين أن مازيار يقوم في مقابلة ابن طاهر، وأن المعتصم يحتاج إلى إنفاذه وإنفاذ عساكر غيره.

فلما خالف، دعا الناس إلى البيعة، فبايعوه كرهاً، وأخذ الرهائن فحبسهم، وأمر أكرة الضياع بانتهاب أربابها. وكان مازيار أيضاً يكتب بابك، واهتم مازيار بجمع الأموال من تعجيل الخراج وغيره، فجبى في شهرين ما كان يؤخذ في سنة، ثم أمر قائداً له يقال له سرخاستان، فأخذ أهل آمل، وأهل سارية جميعهم، فنقلهم إلى جبل على النصف ما بين سارية وآمل، يقال له هُرمُزآباد، فحبسهم فيه، وكانت عدتهم عشرين ألفاً، فلما فعل ذلك تمكّن من أمره، وأمر بتخريب سور آمل، وسور سارية، وسور طميس، فخربت الأسوار.

وبنى سرخاستان سوراً من طميس إلى البحر، مقدار ثلاثة أميال، كانت الأكاسرة بتته لمنع الترك من الغارة على طبرستان، وجعل له خندقاً، ففزع أهل

جُرجان، وخافوا، فهرب بعضهم إلى نيسابور، فأنفذ عبد الله بن طاهر عمّه الحسن بن الحسين بن مصعب في جيش كثيف لحفظ جُرجان، وأمره أن ينزل على الخندق الذي عمله سرخاستان، فسار حتّى نزل، وصار بينه وبين سرخاستان صاحب الخندق، ووجّه أيضاً ابن طاهر حيّان بن جبلة في أربعة آلاف إلى قُومس، فعسكر على حدّ جبال شروين، ووجّه المعتصم من عنده محمّد بن إبراهيم بن مصعب أخا إسحاق بن إبراهيم، ومعه الحسن بن قارن الطبريّ، ومن كان عنده من الطبريّة، ووجّه المنصور بن الحسن صاحب دُنباوند إلى الريّ ليدخل طبرستان من ناحية الريّ، ووجّه أبا الساج إلى اللارز ودُنباوند.

فلما أحدثت الخيل بمازيار من كلّ جانب، كان أصحاب سرخاستان يتحدّثون مع أصحاب الحسن بن الحسين، حتّى استأنس بعضهم ببعض، فتوامر بعض أصحاب الحسن في دخول السور، فدخلوه إلى أصحاب سرخاستان على غفلة من الحسن، ونظر النَّاس بعضهم إلى بعض، فثاروا، وبلغ الخبر إلى الحسن، فجعل يصيح بالقوم، ويمنعهم خوفاً عليهم فلم يقفوا، ونصبوا علمه على معسكر سرخاستان؛ وانتهى الخبر إلى سرخاستان وهو بالحمام، فهرب في غلالة، وحيث رأى الحسن أنّ أصحابه قد دخلوا السور، قال: اللهمّ إنهم عصوني وأطاعوك، فانصرهم.

وتبعهم أصحابه حتّى دخلوا إلى الدرب من غير مانع، واستولوا على عسكر سرخاستان، وأسر أخوه شهریار، ورجع النَّاس عن الطلب لما أدركهم اللَّيْل، فقتل الحسن شهریار، وسار سرخاستان حافياً فجهدته العطش، فنزل عن دابّته وشدّها، فبصر به رجل من أصحابه، وغلّام اسمه جعفر، وقال سرخاستان: يا جعفر! اسقني ماء، فقد هلكْتُ عطشاً؛ فقال: ليس عندي ما أسقيك فيه.

قال: واجتمع إليّ عدّة من أصحابي، فقلتُ لهم: هذا الشيطان قد أهلكنا، فلمْ لا نتقرّب إلى السلطان به، ونأخذ لأنفسنا الأمان؟ فثارناه، وكتفناه، فقال لهم: خذوا مِنِّي مائة ألف درهم واركبوني، فإنّ العرب لا تُعطيكُم شيئاً؛ فقالوا: أحضرها! فقال: سيروا معي إلى المنزل لتقبضوها، وأعطيكُم الموائيق على الوفاء،

فلم يفعلوا، وساروا به نحو عسكر المعتصم، ولقيتهم خيل الحسن بن الحسين، فضربوهم، وأخذوه منهم، وأتوا به الحسن، فأمر به، فقتل.

ووجه الحسن برأس سرخاستان إلى عبد الله بن طاهر، وكان حيّان بن جبلة مولى عبد الله بن طاهر قد أقبل مع الحسن، كما ذكرنا، وهو بناحية طميس، وكاتب قارن بن شهریار، وهو ابن أخي مازيار، ورغبه في المملكة، وضمن له أن يملكه على جبال أبيه وجده، وكان قارن من قواد مازيار، وقد أنفذه مازيار مع أخيه عبد الله بن قارن، ومعه عدة من قواده، فلما استماله حيّان ضمن له قارن أن يسلم إليه الجبال ومدينة سارية إلى حدود جرجان، على هذا الشرط، وكتب بذلك حيّان إلى عبد الله بن طاهر، فأجابه إلى كل ما سأل، وأمر حيّان أن لا يوغل حتى يستدل على صدق قارن، لئلا يكون منه مكر؛ وكتب حيّان إلى قارن بإجابة عبد الله، فدعا قارن بعمه عبد الله بن قارن، وهو أخو مازيار، ودعا جميع قواده إلى طعامه، فلما وضعوا سلاحهم، واطمأنوا أحدق بهم أصحابه في السلاح، وكتفهم ووجه بهم إلى حيّان، فلما صاروا إليه استوثق منهم، وركب في أصحابه حتى دخل جبال قارن.

وبلغ الخبر مازيار، فاغتم لذلك، فقال له القوهيار: في حبسك عشرون ألفاً من بين حائك، وإسكاف، وحدّاد، وقد شغلت نفسك بهم، وإنما أتيت من مأمّنك وأهل بيتك، فما تصنع بهؤلاء المحبّسين عندك؟ قال: فأطلق مازيار جميع من في حبسه، ودعا جماعة من أعيان أصحابه، وقال لهم: إن بيوتكم في السهل، وأخاف أن يؤخذ حرّمكم وأموالكم، فانطلقوا وخذوا لأنفسكم أماناً، ففعلوا ذلك.

ولما بلغ أهل سارية أخذ سرخاستان ودخول حيّان جبل شروين، وثبوا على عامل مازيار بسارية، فهرب منهم، وفتح الناس السجن، وأخرجوا من فيه، وأتى حيّان إلى مدينة سارية، وبلغ قوهيار أخا مازيار الخبر، فأرسل إلى حيّان مع محمّد بن موسى بن حفص يطلب الأمان، وأن يملك على جبال أبيه وجده ويسلم إليه مازيار، فحضر عند حيّان ومعه أحمد بن الصقر، وأبلغاه الرسالة، فأجاب إلى ذلك.

فلما رجعا، رأى حيّان تحت أحمد فرساً حسناً، فأرسل إليه وأخذه منه،

فغضب أحمد من ذلك، وقال: هذا الحائك العبد يفعل بشيخ مثلي ما فعل! ثم كتب إلى قوهيار: ويحك! لم تغلظ في أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عم الأمير عبد الله بن طاهر، وتدخل في أمان هذا العبد الحائك، وتدفع إليه أخاك، وتضع قدرك، وتحقد عليك الحسن بترك إياه، وبميلك إلى عبد من عبده؟

فكتب إليه قوهيار: أراني قد غلظت في أول الأمر، ووعدت الرجل أن أصير إليه بعد غد، ولا آمن إن خالفته أن يناهضني ويستبيح دمي ومنزلي وأموالي، وإن قاتلته فقتلت من أصحابه، وجرت الدماء فسد كل ما عملناه، ووقعت الشحنة.

فكتب إليه أحمد: إذا كان يوم الميعاد، فابعث إليه رجلاً من أهلك، واكتب إليه أنه قد عرضت علّة منعني من الحركة، وأنت تتعالج ثلاثة أيام، فإن عوفيت، وإلا سرت إليك في محمل، وسنحمله نحن على قبول ذلك، فأجابه إليه، وكتب أحمد بن الصقر، ومحمد بن موسى بن حفص إلى الحسن بن الحسين، وهو بطميس: أن أقدم علينا لندفع إليك مازيار والخيل وإلا فاتك؛ ووجّها الكتاب إليه مع من يستحثه.

فلما وصل الكتاب، ركب من ساعته، وسار مسيرة ثلاثة أيام في ليلة، وانتهى إلى سارية، فلما أصبح تقدّم إلى خرّماباذ، وهو الموعد بين قوهيار وحيّان، وسمع حيّان طبول الحسن، فتلّقه على فرسخ، فقال له الحسن: ما تصنع ها هنا؟ ولم توجه إلى هذا الموضع؟ وقد فتحت جبال شروين وتركتها، فما يؤمنك أن يغدر أهلها، فينتقض جميع ما عملنا؟ ارجع إليهم حتّى لا يمكنهم الغدر إن همّوا به. فقال حيّان: أريد أن أحمل أثقالتي وأخذ أصحابي؛ فقال له الحسن: سِرْ أنت، فأنا باعث بأثقالك وأصحابك.

فخرج حيّان من فوره، كما أمره، وأتاه كتاب عبد الله بن طاهر أن يعسكر بكور، وهي من جبال ونداد هرمز وهي أحصنها، وكانت أموال مازيار بها، فأمر عبد الله بن طاهر أن لا يمنع قارن ممّا يريد من الأموال والجبال، فاحتمل قارن ممّا كان بها وبغيرها من أموال مازيار وسرخاستان، وانتقض على حيّان ما كان عمله بسبب شرهه إلى ذلك الفرس، وتوفي بعد ذلك حيّان، فوجّه عبد الله مكانه عمّه

محمّد بن الحسين بن مُصعب، وسار الحسن بن الحسين إلى خُرْماباذ، فأتاه
محمّد بن موسى بن حفص، وأحمد بن الصقر، فشكرهما وكتب إلى قوهيار، فأتاه،
فأحسن إليه الحسن، وأكرمه، وأجابه إلى جميع ما طلب إليه منه لنفسه وتواعدوا
يوماً يحضر مازيار عنده.

ورجع قوهيار إلى مازيار، فأعلمه أنّه قد أخذ له الأمان، واستوثق له. وركب
الحسن يوم الميعاد وقت الظهر، ومعه ثلاثة غلمان أتراك، وأخذ إبراهيم بن مهران
يدلّه على الطريق إلى أرم، فلمّا قاربها خاف إبراهيم، وقال: هذا موضع لا يسلكه
إلا ألف فارس، فصاح به: امض! قال: فمضيتُ وأنا طائش العقل، حتّى وافينا
أرم، فقال: أين طريق هُرْمزَاباذ؟ قلتُ: على هذا الجبل في هذا الطريق، فقال:
سِرْ إليها! فقلتُ: اللّهُ اللّهُ في نفسك وفينا، وفي هذا الخلق الذين معك، فصاح:
امض يا ابن اللخناء! فقلتُ: اضربْ عنقي أحبّ إليّ من أن يقبلني مازيار،
ويلزمني الأمير عبد الله الذئب، فانتهرني حتّى ظننتُ أنّه يبطش بي، فسرت وأنا
خائف، فأتينا هُرْمزَاباذ مع اصفرار الشمس، فنزل، فجلس ونحن صيام.

وكانت الخيل قد تقطّعت لأنّه ركب بغير علم الناس، فعلموا بعد مسيره.
قال: وصلينا المغرب، وأقبل الليل، وإذا بفرسان بين أيديهم الشمع مشتعلًا،
مقبلين من طريق لبورة، فقال الحسن: أين طريق لبورة؟ فقلتُ: أرى عليه فرساناً
ونيراناً، وأنا داهش، لا أقف على حقيقة الأمر، حتّى قربت النيران، فنظرتُ، فإذا
المازيار مع القوهيار، فنزلا، وتقدّم مازيار، فسلم على الحسن، فلم يردّ عليه
السلام، وقال لرجلين من أصحابه: خذاه إليكما، فأخذه، فلمّا كان السحر وجّه
الحسن مازيار معهما إلى سارية، وسار الحسن إلى هُرْمزَاباذ، فأحرق قصر مازيار،
وأذهب ماله وسار إلى خُرْماباذ، وأخذ إخوة مازيار، فحبسوا هنالك، ووكّلوا بهم،
وسار إلى مدينة سارية، فأقام بها، وحُبس مازيار.

ووصل محمّد بن إبراهيم بن مُصعب إلى الحسن بن الحسين، فسار لينظره
في معنى المال الذي لمازيار وأهله، فكتب إلى عبد الله بن طاهر، فأمر الحسن
بتسليم مازيار وأهله إلى محمّد بن إبراهيم ليسيّر بهم إلى المعتصم، وأمره أن

يستقصي على أموالهم ويحرزها، فأحضر مازيار وسأله عن أمواله، فذكر أنها عند خزانته، وضمن قوهيار ذلك، وأشهد على نفسه، وقال مازيار: اشهدوا عليّ أنّ جميع ما أخذت من أموالي ستّة وتسعون ألف دينار، وسبعة عشرة قطعة زمرّد، وستّ عشرة قطعة ياقوت، وثمانية أحمال من ألوان الثياب، وتاج، وسيف مذهب بجوهر، وخنجر من ذهب مُكَلَّل بالجوهر، وحقّ كبير مملوء جوهرًا، قيمته ثمانية عشر ألف درهم، وقد سلّمت ذلك إلى خازن عبد الله بن طاهر، وصاحب خبره على العسكر.

وكان مازيار قد استخلف هذا ليوصله إلى الحسن بن الحسين ليظهر للنّاس والمعتصم أنّه آمنه على نفسه، وماله، وولده، وأنّه جعل له جبال أبيه، فامتنع الحسن من قبوله، وكان أعفّ النّاس.

فلما كان الغد، أنفذ الحسن مازيار إلى المعتصم مع يعقوب بن المنصور، ثمّ أمر الحسن قوهيار أن يأخذ بغاله ليحمل عليها مال مازيار، فأخذها، وأراد الحسن أن ينفذ معه جيشًا، فقال: لا حاجة لي بهم.

وسار هو وغلماناه، فلما فتح الخزائن، وأخرج الأموال وعبأها ليحملها، وثب عليه مماليك المَرزُبان، وكانوا دياملة، وقالوا: غدرت بصاحبنا، وأسلمته إلى العرب، وجئت لتحمل أمواله! وكانوا ألفاً ومائتين، فأخذوه وقيدوه، فلما جنّهم الليل، قتلوه، وانتهبوا الأموال والبغال، فانتَهَى الخبر إلى الحسن بن الحسين، فوجّه جيشًا، ووجّه قارن جيشًا، فأخذ أصحاب قارن منهم عدّة منهم ابن عمّ مازيار يقال له: شهریار بن المضمغان، وكان هو يحرضهم، فوجّه قارن إلى عبد الله بن طاهر، فمات بقومس.

وعلم محمّد بن إبراهيم خبرهم، فأرسل في أثرهم، فأخذوا، وبعث بهم إلى مدينة سارية.

وقيل أنّ السبب في أخذ مازيار كان ابن عمّ له اسمه قوهيار، كان له جبال طبرستان، وكان لمزيار السهل؛ وجبال طبرستان ثلاثة أجبل: جبل وندادهرمز،

وجبل أخيه ونداسنجان، والثالث جبل شروين بن سرخاب، فقوي مازيار، وبعث إلى ابن عمه قوهيار، وقيل هو أخوه، فألزمه بابه، وولّى الجبل والياً من قبله يقال له درّي، فلما خالف مازيار واحتاج إلى الرجال دعا قوهيار، وقال له: أنت أعرف بجبلك من غيرك، وأظهره على أمر الأفشين، ومكاتبته، وأمره بالعود إلى جبله، وحفظه، وأمر الدرّي بالمجيء إليه، فاتاه، فضمّ إليه العساكر، ووجهه إلى محاربة الحسن بن الحسين، عمّ عبد الله بن طاهر.

وظنّ مازيار أنّه قد استوثق من الجبل بقوهيار، وتوثّق من المواضع المخوفة بدرّي وعساكره، واجتمعت العساكر عليه، كما تقدّم ذكره، وقربت منه.

وكان مازيار في مدينته، في نفر يسير، فدعا قوهيار الحقدّ الذي في قلبه على مازيار وما صنع به، إلى أن كاتب الحسن بن الحسين، وأعلمه جميع ما في عسكره ومكاتبه الأفشين، فأنفذ الحسن كتاب قوهيار إلى عبد الله بن طاهر، فأنفذه عبد الله إلى المعتصم، وكاتب عبد الله والحسن قوهيار، وضمّنا له جميع ما يريد، وأن يعيد إليه جبله، وما كان بيده لا ينازعه فيه أحد، فرضي بذلك، وواعدهم يوماً يسلم فيه الجبل.

فلما جاء الميعاد، تقدّم الحسن فحارب درّي، وأرسل عبد الله بن طاهر جيشاً كثيفاً، فوافوا قوهيار، فسلم إليهم الجبل، فدخلوه، ودرّي يحارب الحسن ومازيار في قصره، فلم يشعر مازيار إلّا والخيّل على باب قصره، فأخذوه أسيراً.

وقيل أنّ مازيار كان يتصيّد، فأخذوه وقصدوا به نحو درّي وهو يقاتل، فلم يشعر هو وأصحابه إلّا وعسكر عبد الله من ورائهم، ومعهم مازيار، فاندفع درّي وعسكره، وأتبعوه، وقتلوه، وأخذوا رأسه وحملوه إلى عبد الله بن طاهر، وحملوا إليه مازيار، فوعده عبد الله بن طاهر إن هو أظهره على كتب الأفشين أن يسأل فيه المعتصم ليصفح عنه، فأقرّ مازيار بذلك، وأظهر الكتب عند عبد الله بن طاهر، فسيرها إلى إسحاق بن إبراهيم، وسير مازيار، وأمره أن لا يسلمها إلّا من يده إلى يد المعتصم، ففعل إسحاق ذلك، فسأل المعتصم مازيار عن الكتب، فأنكرها،

فضربه حتى مات، وصلبه إلى جانب بابك.

(راجع ابن الأثير ٤٩٥: ٦ وما بعدها)

* * *

مدّعي النبوة بالأندلس

في سنة سبع وثلاثين ومائتين، قام رجل بالأندلس بناحية الثغور وأدّعى النبوة وتأول القرآن على غير تأويله، فتابعه قوم من الخوغاء، فكان من شرائعه أنه كان ينهى عن قص الشعر وتقليم الأظفار، فبعث إليه عامل ذلك البلد، فأُتي به، وكان أوّل ما خاطبه به أن دعاه إلى أتباعه، فأمره العامل بالتوبة، فامتنع فصلبه.

* * *

صلب محمد بن علي

في سنة ثمانين عشرة ومائة وجّه بُكَيْرُ بْنُ هَامَانَ عَمَّارَ بْنَ يَزِيدٍ إِلَى خُرَاسَانَ وَالْيَأَى عَلَى شِيعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ، فَتَزَلَّ مَرَوْ وَغَيَّرَ اسْمَهُ وَتَسَمَّى بِخِدَاشٍ، وَدَعَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، فَسَارَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَأَطَاعُوهُ، ثُمَّ غَيَّرَ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَتَكَذَّبَ، وَأَظْهَرَ دِينَ الْخُرَّمِيَّةِ وَدَعَا إِلَيْهِ، وَرَخَّصَ لِبَعْضِهِمْ فِي نِسَاءِ بَعْضٍ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ لَا صَوْمَ وَلَا صَلَاةَ وَلَا حِجَّ، وَإِنْ تَأَوَّلَ الصُّومَ أَنْ يَصَامَ عَنْ ذِكْرِ الْإِمَامِ فَلَا يَبَاحَ بِاسْمِهِ، وَالصَّلَاةَ الدَّعَاءَ لَهُ، وَالْحِجَّ الْقَصْدَ إِلَيْهِ، وَكَانَ يَتَأَوَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. وَكَانَ خِدَاشٌ نَصْرَانِيًّا بِالْكُوفَةِ، فَأَسْلَمَ وَلَحِقَ بِخُرَاسَانَ.

وَكَانَ مِمَّنْ اتَّبَعَهُ عَلَى مَقَالَتِهِ، مَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ وَالْحَرِيشُ بْنُ سُلَيْمٍ الْأَعْجَمِيُّ وَغَيْرُهُمَا، وَأَخْبَرَهُمَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ أَمَرَ بِذَلِكَ.

فَبَلَغَ خَبْرُهُ أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، فَظَفَرَهُ بِهِ، فَأَغْلَظَ الْقَوْلَ لِأَسَدٍ، فَقَطَعَ لِسَانَهُ وَسَمَلَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي انْتَقَمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ مِنْكَ! وَأَمَرَ يَحْيَى بْنَ نَعْتِمٍ الشَّيْبَانِيَّ، فَقَتَلَهُ وَصَلَبَهُ بِأَمَلٍ، وَأُتِيَ أَسَدٌ بِجَذُورٍ مَوْلَى الْمُهَاجِرِينَ دَارَةَ الضُّبَيْيَّ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ بِشَاطِئِ النَّهْرِ.

* * *

صلب محمود البواب

جاء في خلاصة الأثر (٤١:٢)، أنه في السنة ٩٨٨، مات بدمشق شخص اسمه محمود بن يونس بن شاهين الأعور، فتزوج أحد الأجناد الدمشقيين واسمه يوسف السقا بزوجة الأعور المتوفى وسافر إلى اصبطنبول، وتقدم إلى السلطان بشكوى خلاصتها أن الأعور مات عن تركة مقدارها ثلاثة وثلاثين ألف دينار، وليس له وارث، فهي من حق بيت المال، ولكن بعض القضاة وسماهم، اتفقوا مع الترجمان، واقتسموا التركة فيما بينهم، بعد أن نصبوا له بطريق التزوير وارثاً، فوجه السلطان أحد موظفي بلاطه واسمه محمود البواب للتحقيق في الموضوع، فلما وافى الشام ألقى القبض على القضاة، وفرّ أحدهم إلى طرابلس، فأحضره البواب وأدخله إلى دمشق وعلى رأسه قلنسوة نصراني، وفي رجله القيود وفي عنقه الغلّ. أما القضاة الباقون، فإن البواب وضع الزناجير في رقابهم واستولى على جميع ما يملكونه، وعاقبهم معاقبة بالغة، ثم صادر جميع أعيان دمشق ووجوهها، وأخذ منهم أموالاً عظيمة، فشكوه إلى السلطان، فخرج الأمر السلطاني بقتله، فأحضره الوزير حسن باشا، والي الشام، وعقد له مجلساً حضره القضاة ورجال الدولة، وأحضروا من كان في حبس البواب على صورتهم والقيود والأغلال في أعناقهم.

ولما أحضر البواب إلى المجلس، نزعته عنه كسوة السلطان، وألبس قلنسوة نصراني وأقيمت عليه البيّنة بتحقيق العلماء، وحكم عليه القاضي بالقتل، فأنزلوه. ولما تحقق البواب أنه مقتول، طلب إمهاله ليغتسل، فأمهّل حتى اغتسل، وصلى ركعتين، وُصلب في خشب الأرجوحة المنصوبة على باب دار الإمارة.

* * *

صلب مزدك وبعض الزنادقة

لما لبس كسرى أنوشروان بن قباد التاج، خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما ابتلوا به من فساد أمورهم ودينهم وأولادهم، وأعلمهم أنه يصلح ذلك، ثم أمر برؤوس المزدكية، فقتلوا وقسمت أموالهم في أهل الحاجة.

أبي ربيعة، فاعتذر بعهدته على خراسان، فوضع الحارث وأهل البصرة كتاباً إليه عن ابن الزبير يأمره بقتال الخوارج وأتوه بالكتاب، فلما قرأه، قال: والله لا أسير إليهم إلا أن تجعلوا لي ما غلبت عليه، وتقطعوني من بيت المال ما أقوي به من معي.

فأجابوه إلى ذلك وكتبوا له به كتاباً، وأرسلوا إلى ابن الزبير، فأمضاه، فاختار المهلب من أهل البصرة ممن يعرف نجدته وشجاعته اثني عشر ألفاً، منهم: محمد بن واسع وعبد الله بن رباح الأنصاري ومعاوية بن قرة المزي وأبو عمران الجوبي، وخرج المهلب إلى الخوارج وهم عند الجسر الأصفر، فارتفعوا إلى الجسر الأكبر، فسار إليهم في الخيل والرجال. فلما رأوه قد قاربهم ارتفعوا فوق ذلك. ولما بلغ حارثة بن بدر تأمير المهلب على قتال الأزارقة، قال لمن معه من

الناس:

كَرَّنبُوا وَدَوْلَبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ فَاذْهَبُوا

فأقبل بمن معه نحو البصرة، فرد الحارث بن أبي ربيعة إلى المهلب، وركب حارثة في سفينة في نهر دجيل يريد البصرة، فأتاه رجل من تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه، فصاح التميمي بحارثة يستغيث به ليحمله معه، فقرَّب السفينة إلى شاطئ النهر، وهو جرف، فوثب التميمي إليها، ففاضت بجميع من فيها، فغرقوا.

وأما المهلب، فإنه سار حتى نزل بالخوارج وهم بنهر تيرى وتنحوا عنه إلى الأهواز، وسير المهلب إلى عسكرهم الجواسيس تأتيه بأخبارهم، فلما أتاه خبرهم سار نحوهم، واستخلف أخاه المكارك بن صفرة، فجال أصحابه ثم عادوا.

فلما رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الأهواز إلى منازل، فسار يريدتهم، فلما قاربهم سير الخوارج جمعاً عليهم واقد مولى أبي صفرة إلى نهر تيرى وبها المعارك، فقتلوه وصلبوه، وبلغ الخبر إلى المهلب فسير ابنه المغيرة إلى نهر تيرى، فأنزل عمه المعارك ودفنه وسكن الناس، واستخلف بها جماعة وعاد إلى أبيه وقد نزل سولاف...

(ابن الأثير ٤: ١٩٥)

* * *

صلب المفضل بن المهلب وآخرين

ولما أتت هزيمة يزيد بن المهلب إلى واسط، أخرج ابنه معاوية اثنين وثلاثين أسيراً كانوا عنده فضرب أعناقهم، منهم: عدي بن أرطاة، ومحمد بن عدي بن أرطاة، ومالك وعبد الملك ابننا مسمع وغيرهم، ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن، وجاء المفضل بن المهلب، واجتمع أهل المهلب بالبصرة، فأعدوا السفن وتجهّزوا للركوب في البحر، وكان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الأزدي على قنديل أميراً، وقال له: إني سائر إلى هذا العدو ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتى يكون لي أولهم، فإن ظفرت أكرمتك، وإن كانت الأخرى، كنت بقنديل حتى يقدم عليك أهل بيتي فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً، وقد اخترتكم لهم من بين قومي، فكن عند أحسن ظني، وأخذ عليه العهد ليناصح أهل بيته إن هم لجأوا إليه.

فلما اجتمع كرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية، ثم لججوا في البحر حتى إذا كانوا بحيال كرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب، وكان المقدم عليهم المفضل بن المهلب، وكان بكرمان فلول كثيرة، فاجتمعوا إلى المفضل، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضب الكلب في طلبهم وفي أثر الفل، فأدرك مدرك المفضل ومعه الفلول في عقبة، فعطفوا عليه فقاتلوه، واشتد قتالهم إياه، فقتل من أصحاب المفضل النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي، ومحمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث، وأخذ ابن صول ملك قهستان أسيراً، وجرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث وهرب حتى انتهى إلى حلوان، فدل عليه، فقتل وحمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة. ورجع ناس من أصحاب ابن المهلب، فطلبوا الأمان فأومنوا، منهم: مالك بن إبراهيم بن الأشتر، والورد بن عبد الله بن حبيب السعدي التميمي.

ومضى آل المهلب ومن معهم إلى قنديل، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضب، فردّه وسير في أثرهم هلال بن أحوز التميمي، فلحقهم بقنديل، فأراد أهل المهلب دخولها فمنعهم وداع بن حميد، وكان هلال بن أحوز لم يباين آل المهلب،

فلَمَّا التقوا كان ودّاع على الميمنة وعبد الملك بن هلال على الميسرة، وكلاهما أزدّي، فرفع هلال بن أحوز راية أمان، فمال إليه ودّاع بن حميد وعبد الملك بن هلال وتفرّق الناس عن آل المهلب، فلَمَّا رأى ذلك مروان بن المهلب أراد أن ينصرف إلى النساء فيقتلهنّ، لئلا يصرن إلى أولئك، فنهاه المفضل عن ذلك، وقال: إنّنا لا نخاف عليهنّ من هؤلاء، فتركهنّ، وتقدّموا بأسيا فهم، فقاتلوا حتّى قُتلوا من عند آخرهم، وهم: المفضل، وعبد الملك، وزباد، ومروان بنو المهلب ومعاوية بن يزيد بن المهلب، والمنهال بن أبي عُيَيْنَةَ بن المهلب، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب، وحملت رؤوسهم، وفي أذن كلّ واحد رقعة فيها اسمه، إلّا أبا عُيَيْنَةَ بن المهلب، وعمر بن يزيد بن المهلب، وعثمان بن المفضل بن المهلب، فإنّهم لحقوا برُتيل. وبعث هلال بن أحوز بنسائهم ورؤوسهم والأسرى من آل المهلب إلى مسلمة بالحيرة، فبعثهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك، فسيّرهم يزيد إلى العباس بن الوليد وهو على حلب، فنصب الرؤوس، وأراد مسلمة أن يبيع الذرّة، فاشتراهم منه الجراح بن عبد الله الحكمي بمائة ألف وخلق سبيلهم، ولم يأخذ مسلمة من الجراح شيئاً.

ولما بلغ يزيد بن عبد الملك الخبرُ بقتل يزيد سرّه لانتصاره، ولما في نفسه منه قبل الخلافة. وكان سبب العداوة بينهما أنّ ابن المهلب، خرج من الحَمَام أيام سليمان بن عبد الملك وقد تضمّخ بالغالية، فاجتاز بيزيد بن عبد الملك، وهو إلى جانب عمر بن عبد العزيز، فقال: قَبَّحَ الله الدنيا، لوددت أنّ مثقال غالية بألف دينار، فلا ينالها إلّا كلّ شريف، فسمع ابنُ المهلب، فقال له: بل وددت أنّ الغالية كانت في جبهة الأسد، فلا ينالها إلّا مثلي. فقال له يزيد بن عبد الملك: والله لئن وليت يوماً لأقتلنك. فقال له ابن المهلب: والله لئن وليت هذا الأمر وأنا حيّ، لأضربن وجهك بخمسين ألف سيف.

(ابن الأثير ٥: ٨٥)

* * *

صلب رأس المقتدر

قتل المقتدر سنة ٣٢٠، وكان ذلك لما قصد مؤنس الخادم الملقب بالمظفر بغداد بجيشه، وخيَّم بباب الشماسية، وأراد المقتدر أن ينحدر إلى واسط، فردّه القائد محمد بن ياقوت، فبقي في بغداد وهو كاره. ثم أشار عليه بحضور المعركة، فخرج وهو كاره، وبين يديه الفقهاء والقراء معهم المصاحف مشهورة وعليه البردة، فوقف على تلٍّ بعيداً عن المعركة، فأرسل إليه قواده مراراً يسألونه أن يتقدّم، فلما ألحوا عليه، تقدّم، فانهزم أصحابه قبل وصوله إليهم، فلقبه بعض جنود مؤنس، فضربه أحدهم بالسيف على عاتقه، فسقط على الأرض، وذبحه بعضهم وكان المقتدر ثقیل البدن، عظیم الجثة، فلما قتلوه، قطعوا رأسه، ورفعوه على خشبة، وأخذوا ثيابه حتى سراويله، وتركوه مكشوف العورة.

* * *

صلب ملاح

في سنة إحدى وخمسين ومائتين، قُتل باغر التركي، قتله وصيف بُغا. وكان سبب ذلك أن باغراً، كان أحد قتلة المتوكّل، فزید في أرزاقه، فأقطع قطائع، فكان ممّا أقطع قُرى بسواد الكوفة، فتضمّنها رجل من أهل باروسما بألفي دينار، فوثب رجل من أهل تلك الناحية، يقال له ابن مارمة، بوكيل لباجر، وتناوله، فحبس ابن مارمة، وقُيد، ثمّ تخلّص، وسار إلى سامراً، فلقي دليل بن يعقوب النصراني، وهو يومئذٍ صاحب أمر بُغا الشرابي والحاكم في الدولة، وكان ابن مارمة صديقاً له، وكان باغر أحد قواد بُغا، فمنعه دليل من ظلم أحمد بن مارمة، فانتصف له منه، فغضب باغر وباين دليلاً.

وكان باغر شجاعاً يتقيّه بُغا وغيره، فحضر عند بُغا في ذي الحجة من سنة خمسين ومائتين وهو سكران، وبُغا في الحمام، فدخل إليه وقال: من قتل دليلاً يُقتل به؟ فقال له بُغا: لو أردت ولدي ما منعك منه، ولكن اصبر، فإن أمور الخلافة بيد دليل، وأقيم غيره، ثمّ افعل به ما تريد.

وأرسل بُغا إلى دليل يأمره ألا يركب، وعرفه الخبر، وأقام في كتابته غيره، وتوهم باغر أنه قد عزله، فسكن باغر، ثم أصلح بينهما بُغا، وباغر يتهدده، ولزم باغر خدمة المستعين، فقليل ذلك للمستعين.

فلما كان يوم نوبة بُغا في منزله، قال المستعين: أي شيء كان إلى إيتاخ من الخدمة؟ فأخبره وصيف، فقال: ينبغي أن تجعل هذه الأعمال إلى باغر. وسمع دليل ذلك، فركب إلى بُغا، فقال له: أنت في بيتك، وهم في تدير عزلك، فإذا عُرِلت قُلت.

فركب بُغا إلى دار الخليفة في يومه، وقال لوصيف: أردت أن تعزلني؟ فحلف أنه ما علم ما أراد الخليفة، فتعاقدا على تنحية باغر من الدار والحيلة عليه، فأرجفا له أنه يؤمر، ويُخلع عليه، ويكون موضع بُغا ووصيف؛ فأحس باغر ومن معه بالشر، فجمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل، ومعهم غيرهم، فجدد العهد عليهم في قتل المستعين وبُغا ووصيف، وقال: نبائع على ابن المعتصم، أو ابن الواثق، ويكون الأمر لنا كما هو لهذين، فأجابوه إلى ذلك.

وانتهى الخبر إلى المستعين، فبعث إلى بُغا ووصيف، وقال لهما: أنتما جعلتماني خليفة، ثم تريدان قتلي؟ فحلفا أنهما ما علما بذلك، فأعلمهما الخبر، فاتفق رأيهم على أخذ باغر ورجلين من الأتراك معه، وحبسهم، فأحضروا باغراً، فأقبل في عدة، فعدل به إلى حمام وحبس فيه.

وبلغ الخبر الأتراك، فوثبوا على إصطبل الخليفة، فانتهبوه وركبوا ما فيه، وحصروا الجوسق بالسلاح، فأمر بُغا ووصيف بقتل باغر فقتل.

فلما قُتل باغر وانتهى خبر قتله إلى الأتراك المشغبين أقاموا على ما هم عليه، فانحدر المستعين وبُغا ووصيف، وشاهك الخادم، وأحمد بن صالح بن شيرزاد ودليل إلى بغداد في حراقة؛ فركب جماعة من قواد الأتراك إلى هؤلاء المشغبين، فسألوهم الانصراف، فلم يفعلوا، فلما علموا بانحدر المستعين وبُغا ووصيف ندموا، ثم قصدوا دار دليل، ودور أهله وجيرانه، فنهبوها، حتى صاروا إلى أخذ

الخشب وعليق الدواب؛ فلما قدموا بغداد مرض ابن مارمة، فعاد دليل وقال له: ما سبب علّتك؟ قال: انتقض عقر القيد؛ فقال دليل: لئن عقرك القيد، لقد نقضت الخلافة، وبغيت الفتنة؛ ومات ابن مارمة في تلك الأيام.

ومنع الأتراك الناس من الانحدار إلى بغداد، وأخذوا ملاحاً قد أكرى سفينته، فضربوه، وصلبوه على دقلها، فامتنع أصحاب السفن من الانحدار إلا سراً.

وكان وصول المستعين إلى بغداد لخمس خلون من المحرم من هذه السنة، فنزل على محمد بن عبد الله بن طاهر في داره، ثم وافى بغداد القوّاد، وقدمها جلة الكُتاب والعمّال وبني هاشم، وجماعة من أصحاب بُغا ووصيف.

(ابن الأثير ٧: ١٣٧)

* * *

صلب مهذب الدولة

في تاريخ العراق للعزاوي، أنه في السنة ٦٩٠، قبض ببغداد على مهذب الدولة، أخي سعد الدولة الماشعيري وطُلب بالأموال، وضُرب، ثم طُعن بالسكاكين والسيوف، وكان في الديوان نجار، فضربه بفأس عدّة ضربات، ثم قطع إرباً إرباً وتنأهه العوام، وتعمّم نقاط بمصرانه، وطافوا به في شوارع بغداد ودروبها، ثم أحرق بباب جامع الخليفة، وسُلخ رأسه وحشيّ تبناً وطيف به في جانبيّ بغداد، وحمل إلى واسط، وصلب على جسرها.

* * *

قصة صلب نازوك

في سنة ست عشرة وثلاثمائة، وقعت الفتنة بين نازوك، صاحب الشرطة، وهارون بن غريب.

وسبب ذلك أنّ ساسة دوابّ هارون بن غريب وساسة نازوك تغايروا على غلام أمرد، وتضاربوا بالعصيّ، فحبس نازوك ساسة دوابّ هارون، بعد أن ضربهم، فسار أصحاب هارون إلى محبس الشرطة، ووثبوا على نائب نازوك به، وانتزعوا

أصحابهم من الحبس، فركب نازوك، وشكا إلى المقتدر، فقال: كلاكما عزيز عليّ، ولست أدخل بينكما؛ فعاد وجمع رجاله، وجمع هارون رجاله، وزحف أصحاب نازوك إلى دار هارون، فأغلق بابه، وبقي بعض أصحابه خارج الدار، فقتل منهم أصحاب نازوك، وجرحوا، ففتح هارون الباب، وخرج أصحابه، فوضعوا السلاح في أصحاب نازوك فقتلوا منهم، وجرحوا، واشتبكت الحرب بينهم، فكفّ نازوك أصحابه.

وأرسل الخليفة إليهما ينكر عليهما ذلك، فكفّا، وسكتت الفتنة، واستوحش نازوك، واستدلّ بذلك على تغيّر المقتدر، ثمّ ركب إليه هارون وصالحه، وخرج بأصحابه، ونزل البستان النجمي ليبعد عن نازوك، فأكثر الناس الأراجيف وقالوا: قد صار هارون أمير الأمراء؛ فعظم ذلك على أصحاب مؤنس، وكتبوا إليه بذلك، وهو بالرقة، فأسرع العود إلى بغداد، فنزل بالشّمسائيّة في أعلى بغداد، ولم يلتق المقتدر، فصعد إليه الأمير أبو العباس بن المقتدر والوزير ابن مقلّة، فأبلغاه سلام المقتدر واستيحاظه له، وعاد فاستشعر كلّ واحد من المقتدر ومؤنس من صاحبه، وأحضر المقتدر هارون بن غريب، وهو ابن خاله، فجعله معه في داره، فلمّا علم مؤنس بذلك ازداد نفوراً واستيحاظاً، وأقبل أبو الهيجاء بن حمدان من بلاد الجبل، فنزل عند مؤنس ومعه عسكر كبير، وصارت المراسلات بين الخليفة، ومؤنس تتردّد، والأمراء يخرجون إلى مؤنس، وانقضت السنة وهم على ذلك . . .

ثمّ كتب مؤنس إلى المقتدر رقة يذكر فيها، أنّ الجيش عاتب منكر للسرف فيما يُطلق باسم الخدم والحرم من الأموال والضياع، ولدخولهم في الرأي وتدبير المملكة، ويطالبون بإخراجهم من الدار، وأخذ ما في أيديهم، من الأموال والأموال، وإخراج هارون بن غريب من الدار.

فأجابه المقتدر أنّه يفعل من ذلك ما يمكنه فعله، ويقتصر على ما لا بدّ له منه، واستعطفهم، وذكرهم ببعته في أعناقهم مرّة بعد أخرى، وخوفهم عاقبة النكث، وأمر هارون بالخروج من بغداد، وأقطعه الثغور الشاميّة، والجزريّة، وخرج من بغداد تاسع المحرم من سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وراسلهم المقتدر وذكرهم

نعمه عليهم وإحسانه إليهم، وحذّرهم كفر إحسانه، والسعي في الشرّ والفتنة.

فلما أجابهم إلى ذلك، دخل مؤنس وابن حمدان ونازوك إلى بغداد، وأرجف للناس بأن مؤنساً ومن معه قد عزموا على خلع المقتدر وتولية غيره، فلما كان الثاني عشر من المحرم، خرج مؤنس والجيش إلى باب الشّمسية، فتشاؤروا ساعة، ثمّ رجعوا إلى دار الخليفة بأسرهم، فلما زحفوا إليها وقربوا منها، هرب المظفر بن ياقوت، وسائر الحجاب والخدم وغيرهم والفرّاشون، وكلّ من في الدار؛ وكان الوزير أبو عليّ بن مقلّة حاضراً، فهرب، ودخل مؤنس والجيش دارالخليفة، وأخرج المقتدر، ووالدته، وخالته، وخوّاص جواريه، وأولاده، من دار الخلافة، وحملوا إلى دار مؤنس، فاعتقلوا بها.

وبلغ الخبر هارون بن غريب، وهو بقطر بل، فدخل بغداد واستتر، ومضى ابن حمدان إلى دار ابن طاهر، فأحضر محمّد بن المعتضد، وبايعوه الخلافة، ولقّبوه القاهر بالله، وأحضروا القاضي أبا عمر عند المقتدر، ليشهد عليه بالخلع، وعنده مؤنس، ونازوك، وابن حمدان، وبنّي بن نفيس، فقال مؤنس للمقتدر ليخلع نفسه من الخلافة، فأشهد عليه القاضي بالخلع، فقام ابن حمدان، وقال للمقتدر: يا سيدي، يعزّ عليّ أن أراك على هذه الحال، وقد كنت أخافها عليك، وأحذرهما، وأنصح لك، وأحذرك عاقبة القبول من الخدم والنساء، فتؤثر أقوالهم على قولي، وكأنّي كنت أرى هذا، وبعد فنحن عبيدك وخدمك.

ودمعت عيناه وعينا المقتدر! وشهد الجماعة على المقتدر بالخلع، وأودعوا الكتاب بذلك عند القاضي أبي عمر، فكتبه ولم يُظهر عليه أحداً.

ولما استقرّ الأمر للقاهر، أخرج مؤنس المظفر عليّ بن عيسى من الحبس، ورثب أبا عليّ بن مقلّة في الوزارة، وأضاف إلى نازوك مع الشرطة حجة الخليفة، وكتب إلى البلاد بذلك، وأقطع ابن حمدان، مضافاً إلى ما بيده من أعمال طريق خراسان، حُلوان، وهَمَذان، وكَرْمان، وشاهان، وكنكور. . . ونُهبت دار الخليفة، ومضى بنّي بن نفيس إلى تربة لوالدة المقتدر، فأخرج من قبر فيها ستمائة ألف دينار، وحملها إلى دار الخليفة.

ولمّا تقلّد نازوك حجة الخليفة، أمر الرّجال المصافيّة بقلع خيامهم من دار الخليفة، وأمر رجاله وأصحابه أن يقيموا بمكان المصافيّة، فعظم ذلك عليهم، وتقدّم إلى خلفاء الحجاب أن لا يمكنوا أحداً من الدخول إلى دار الخليفة، إلّا من له مرتبة، فاضطربت الحجة من ذلك.

ولمّا كان يوم الإثنين سابع عشر المحرم، بكرّ الناس إلى دار الخليفة، لأنّه يوم موكب دولة جديدة، فامتلات الممرات، والمراحات، والرّحاب، وشاطىء دجلة من الناس، وحضر الرّجال المصافيّة في السلاح الشاك، يطالبون بحقّ البيعة، ورزق سنة، وهم حنقون بما فعل بهم نازوك، ولم يحضر مؤنس المظفر ذلك اليوم.

وارتفعت زعقات الرّجال، فسمع بها نازوك، فأشفق أن يجري بينهم وبين أصحابه فتنّة و قتال، فتقدّم إلى أصحابه، وأمرهم أن لا يعرضوا لهم، ولا يقاتلوهم، وزاد شغب الرّجال وهجموا يريدون الصحن التسعينيّ، فلم يمنعهم أصحاب نازوك، ودخل من كان على الشطّ بالسلاح، وقربت زعقاتهم من مجلس القاهر بالله، وعنده أبو عليّ بن مقلة الوزير، ونازوك، وأبو الهيجاء بن حمدان، فقال القاهر لنازوك: اخرج إليهم فسكنهم، وطيب قلوبهم! فخرج إليهم نازوك وهو مخمور، قد شرب طول ليلته، فلمّا رآه الرّجال تقدّموا إليه ليشكوا حالهم إليه في معنى أرزاقهم، فلمّا رآهم بأيديهم السيوف يقصدونه خافهم على نفسه فهرب، فطمعوا فيه، فتبعوه، فأنهى به الهرب إلى باب كان هو سدّه أمس، فأدركوه عنده، فقتلوه عند ذلك الباب، وقتلوا قبله خادمه عجيباً، وصاحوا: يا مقتدر، يا منصور! فهرب كلّ من كان في الدار من الوزير والحجاب، وسائر الطبقات وبقيت الدار فارغة، وصلبوا نازوك وعجيباً بحيث يراهما من على شاطىء دجلة.

ثمّ صار الرّجال إلى دار مؤنس يصيحون، ويطالبونه بالمقتدر، وبادر الخدم فأغلقوا أبواب دار الخليفة، وكانوا جميعهم خدام المقتدر، ومماليكه، وصنائعه، وأراد أبو الهيجاء بن حمدان أن يخرج من الدار، فتعلّق به القاهر وقال: أنا في ذمامك؛ فقال: والله لا أسلمك أبداً، وأخذ بيد القاهر، وقال: قم بنا نخرج جميعاً، وأدعو أصحابي وعشيرتي فيقاتلون معك ودونك.

فقاما ليخرجا، فوجدا الأبواب مغلقة، فتبعهما فائق وجه القصة يمشي معهما، فأشرف القاهر من سطح، فرأى كثرة الجمع، فنزل هو وابن حمدان وفائق، فقال ابن حمدان للقاهر: قف حتى أعود إليك؛ ونزع سواده وثيابه وأخذ جبة صوف لغلام هناك، فلبسها ومشى نحو باب النوبى، فرآه مغلقاً والناس من ورائه، فعاد إلى القاهر، وتأخر عنهما وجه القصة ومن معه من الخدم، فأمرهم وجه القصة بقتلها أخذاً بثأر المقتدر وما صنعا به، فعاد إليهما عشرة من الخدم بالسلاح، فعاد إليهم أبو الهيجاء وسيفه بيده، ونزع الجبة الصوف، وأخذها بيده الأخرى، وحمل عليهم، فأنجفلوا بين يديه، وغشيهم، فرموه بالنشاب ضرورة، فعاد عنهم، وانفرد عنه القاهر ومشى إلى آخر البستان، فاختفى فيه.

ودخل أبو الهيجاء إلى بيت من ساج، وتقدم الخدم إلى ذلك البيت، فخرج إليهم أبو الهيجاء، فولوا هاربين ودخل إليهم بعض أكابر الغلمان الحجرية، ومعه أسودان، فقصدوا أبا الهيجاء، فخرج إليهم فرمى بالسهم، فسقط، فقصد به بعضهم فضربه بالسيف، فقطع يده اليمنى، وأخذ رأسه فحمله بعضهم، ومشى وهو معه.

وأما الرجالة، فإنهم لما انتهوا إلى دار مؤنس وسمع زعقاتهم، قال: ما الذي تريدون؟ ف قيل له: نريد المقتدر؛ فأمر بتسليمه إليهم، فلما قيل للمقتدر ليخرج، خاف على نفسه أن تكون حيلة عليه، فامتنع، وحمل وأخرج إليهم، فحمله الرجالة على رقابهم حتى أدخلوه دار الخلافة، فلما حصل في الصحن التسعيني اطمأنَّ وقعد، فسأل عن أخيه القاهر، وعن ابن حمدان، ف قيل: هما حيَّان؟ فكتب لهما أماناً بخطه، وأمر خداماً بالسرعة بكتاب الأمان لئلا يحدث على أبي الهيجاء حادث، فمضى بالخط إليه، فلقيه الخادم الآخر ومعه رأسه، فعاد معه، فلما رآه المقتدر وأخبره بقتله، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! من قتله؟ فقال الخدم: ما نعرف قاتله؛ وعظم عليه قتله، وقال: ما كان يدخل عليّ ويسليني، ويذهب عني الغم هذه الأيام غيره.

ثم أخذ القاهر وأحضر عند المقتدر، فاستدناه، فأجلسه عنده وقبل جبينه، وقال له: يا أخي، قد علمت أنه لا ذنب لك، وأنتك قهرت، ولو لقبوك بالمقهور

لكان أولى من القاهر، والقاهر يبكي ويقول: يا أمير المؤمنين! نفسي، نفسي، اذكر
الرحم التي بيني وبينك! فقال له المقتدر: وحقّ رسول الله، لا جرى عليك سوء
منيّ أبداً، ولا وصل أحد إلى مكروهك وأنا حيّ! فسكن، وأخرج رأس نازوك،
ورأس أبي الهيجاء، وشُهرأ، ونودي عليهما: هذا جزاء من عصى مولاه.
ابن الأثير ٨: ٢٠٠)

* * *

صلب النسفي

روى ابن الأثير قال: في السنة ٣٣١ استقدم الأمير نوح الساماني، محمد بن
أحمد النسفي البردهمي، وكان قد طعن فيه عنده، فقتله وصلبه، فسرق من
الجدع، ولم يُعلم من سرقه.

* * *

صلب نصر بن ساوا

جاء في الجامع المختصر ص ٢١٩، أنه في السنة ٦٠٤ قتل أبو الغنائم
نصر بن ساوا النصراني، الناظر في أعمال دجيل، وقطعت أطرافه وصلب، ثم أنزل
وسُحبت جثته في محلات بغداد، ثم أُحرق.

* * *

صلب نصر بن عباس

روى ابن خلّكان، قال: في السنة ٥٤٩ قتل نصر بن عباس، الخليفة
الفاطمي، الظافر، فقصد الصالح بن رزيك والي منية بن خصيب، القاهرة، وفرّ
نصر وأبوه وأصحابه، وقصدوا طريق الشام، فخرج عليهم الإفرنج وقتلوا عباساً
وأسروا نصرأ، فجعلوه في قفص من حديد وأعادوه إلى القاهرة، فقطعوا يديه
وقرضوا جسمه بالمقاريض وصلبوه على باب زويلة. وبقي سنة ونصف السنة
مصلوباً.

(راجع وفيات الأعيان ٣: ٤٩٢، وشذرات الذهب ٤: ١٥٣)

* * *

صلب هارون بن غريب

في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة قُتل هارون بن غريب، وكان سبب قتله أنه كان قد استعمله القاهر على ماء الكوفة، وقصبتها الدَّيْنُور، وعلى ما سَبَدان وغيرها، فلَمَّا خُلِعَ القاهر واستُخلف الراضي رأى هارون أنه أحقَّ بالدولة من غيره لقربته من الراضي، حيث هو ابن خال المقتدر، فكاتب القَوَادَ ببغداد يَعهدهم الإحسان والزيادة في الأرزاق، ثمَّ سار من الدَّيْنُور إلى خانقين، فعظم ذلك على ابن مقله وابن ياقوت والحجرية والساجية، واجتمعوا، وشكوه إلى الراضي، فأعلمهم أنه كاره له، وأذن لهم في منعه، فراسلوه أوَّلًا، وبذلوا له في طريق خراسان زيادة على ما في يده، فلم يقنع به، وتقدَّم إلى النَّهروان، وشرع في جباية الأموال، وظلم الناس، وعسفهم، وقويت شوكته.

فخرج إليه محمَّد بن ياقوت في سائر جيوش بغداد، ونزل قريباً منه، ووقعت الطلائع بعضها على بعض، وهرب بعض أصحاب محمَّد بن ياقوت إلى هارون، وراسله محمَّد يستميله، ويذل له، فلم يجب إلى ذلك، وقال: لا بدَّ من دخول بغداد.

فلَمَّا كان يوم الثلاثاء لستَّ بقين من جمادي الآخرة تزاحف العسكران، واشتدَّ القتال، واستظهر أصحاب هارون لكثرتهم، وانهزم أكثر أصحاب ابن ياقوت ونُهَبَ أكثر سوادهم، وكثر فيهم الجراح والقتل، فسار محمَّد بن ياقوت حتَّى قطع قنطرة نهر بين، فبلغ ذلك هارون، فسار نحو القنطرة منفرداً عن أصحابه، طمعاً في قتل محمَّد بن ياقوت، أو أسره، فتقنطر به فرسه، فسقط عنه في ساقية، فلحقه غلام اسمه يَمَن، فضربه بالطَّبَرزِين حتَّى أثخنه، وكسَّر عظامه، ثمَّ نزل إليه فذبحه ثم رفع رأسه وكبَّر، فانهزم أصحابه وتفرَّقوا، ودخل بعضهم بغداد سرّاً، ونهب سواد هارون، وقتل جماعة من قَواده وأسر جماعة.

وسار محمَّد إلى موضع جثَّة هارون، فأمر بحملها إلى مضر به، وأمر بغسله وتكفينه، ثم صلَّى عليه ودفنه، وأنفذ إلى داره من يحفظها من النهب، ودخل بغداد

ورأس هارون بين يديه ورؤوس جماعة من قواده، فنصب ببغداد.
(ابن الأثير ٩: ٢٨٨)

* * *

صلب واضح بن عبد الله المنصوري

روى ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، قال: في السنة ١٦٩ بلغ الخليفة العباسي أن واضح بن عبد الله المنصوري الخصمي أمير مصر، أعان إدريس العلوي على النفوذ إلى المغرب، فأحضِرَ واضحاً إلى بغداد وقتل وصلب.
(راجع النجوم الزاهرة ٢: ٤١)

* * *

صلب ورنيس

في سنة ثمانى عشرة ومائة غزا مروان بن محمد بن مروان من أرمينية ودخل أرض ورنيس من ثلاثة أبواب، فهرب منه ورنيس إلى الخَزَر ونزل حصنه، فحصره مروان ونصب عليه المجانيق، فقتل ورنيس، قتله بعض مَنْ اجتاز به وأرسل رأسه إلى مروان، فنصبه لأهل حصنه، فنزلوا على حكمه، فقتل المقاتلة وسبى الذرية.
(ابن الأثير ٥: ١٩٨)

* * *

قصة صلب الوليد بن يزيد بن عبد الملك

في سنة ست وعشرين ومائة قُتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الذي يقال له الناقص، في جمادى الآخرة.

وكان سبب قتله ما عرف عنه من مجانة وخلاعة، فلما وليَ الخلافة لم يزد من الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ ومنادمة الفساق إلاّ تمادياً، فثقل ذلك على رعيته وجنده وكبرها أمره، وكان أعظمه ما جنى على نفسه إفساده بني عمِّه هشام والوليد، فإنه أخذ سليمان بن هشام فضربه مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغرَّبه إلى عَمَّان من أرض الشام فحبسه بها، فلم يزل محبوساً

حتى قُتل الوليد، فأخذ جاريةً كانت لآل الوليد، فكلمه عثمان بن الوليد في ردها، فقال: لا أردّها، فقال: إذن تكثر الصواهل حول عسكريك! وحبس الأفقم يزيد بن هشام وفرّق بين روح بن الوليد وبين امرأته، وحبس عدّة من ولد الوليد، فرماه بنو هاشم وبنو الوليد بالكفر وغشيان أمّهات أولاد أبيه وقالوا: قد اتّخذ مائة جامعة لبني أمية.

وكان أشدّهم فيه يزيد بن الوليد، وكان الناس إلى قوله أميل لأنّه كان يُظهر النُسك ويتواضع، وكان قد نهاه سعيد بن بيهس بن صُهَيْب عن البيعة لابنيه الحكم وعثمان لصغرهما، فحبسه حتى مات في الحبس.

وأراد خالد بن عبد الله القسريّ على البيعة لابنَيْه فأبى، فغضب عليه، ف قيل له: لا تخالف أمير المؤمنين. فقال: كيف أبايع مَنْ لا أصليّ خلفه ولا أقبل شهادته؟ قالوا: فتقبل شهادة الوليد مع فسقه! قال أمير المؤمنين غائب عني وإنّما هي أخبار الناس. ففسدت اليمانيّة عليه وفسدت عليه قُضاة، وهم واليمن أكثر جند أهل الشام، فأتى حُرَيْث وشبيب بن أبي مالك الغسانيّ ومنصور بن جمهور الكلبيّ وابن عمّه حبال بن عمرو ويعقوب بن عبد الرحمن وحُميد بن منصور اللخميّ والأصعب بن ذؤالة والطُفَيْل بن حارثة والسريّ زياد إلى خالد بن عبد الله القسريّ فدعوه إلى أمرهم، فلم يجبههم.

وأراد الوليد الحجّ فخاف خالد أن يقتلوه في الطريق فنهاه عن الحجّ، فقال: ولم؟ فأخبره فحبسه وأمر أن يُطالب بأموال العراق، ثمّ استقدم يوسف بن عمر من العراق وطلب منه أن يُحضر معه الأموال، وأراد عزله وتولية عبد الملك بن محمّد بن الحجاج بن يوسف. فقدم يوسف بأموال لم يُحمّل من العراق مثلها، فلقية حسان النبطيّ فأخبره أنّ الوليد يريد أن يوليّ عبد الملك بن محمّد، وأشار عليه أن يحمل الرّشى إلى وزرائه، ففرّق فيهم خمسمائة ألف، وقال له حسان: اكتب على لسان خليفتك بالعراق كتاباً: إني كتبت إليك ولا أملك إلاّ القصر، وادخل على الوليد والكتاب معك مختوم واشتر منه خالداً، ففعل؛ فأمره الوليد بالعود إلى العراق، واشترى منه خالداً القسريّ بخمسين ألف فدفعه إليه، فأخذه معه في محمل

بغير وطاء إلى العراق. فقال بعض أهل اليمن شعراً على لسان الوليد يحرض عليه
اليمانية، وقيل: إنها للوليد يوبخ اليمن على ترك نصر خالد:

وهذا خالدٌ فينا أسيرٌ ألا منعه إن كانوا رجالا
فلو كانت قبائل ذات عزٍّ لما ذهبَت صنائعه ضلّالا
ولا تركوه مسلوباً، أسيراً يُعالجُ من سلاسلنا الثقالا
ولكن الوقائع ضععتهم وجدّتهم وردّتهم شلالا
فما زالوا لنا أبداً عبيداً نسومهم المذلّة والسّفالا
فأصبحت الغداة عليّ تاجٌ لمُلكِ الناس ما يبغي انتقالا

فعظم ذلك عليهم وسعوا في قتله وازدادوا حنقاً، وقال حمزة بن بيز في
الوليد:

يا وليدَ الخنا تركتَ الطّريقا واضحاً واركتبتَ فجاً عميقا
وتماديتَ واعتديتَ وأسرف ستَ وأغريتَ وانبعثتَ فسوقا
أنت سكرانٌ ما تفيق فما تر تُق فتقاً وقد فتقتَ فتوقاً

فأتت اليمانية يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة، فشاور
عمرو بن يزيد الحكمي، فقال له: لا يبايعك الناس على هذا وشاور أخاك العباس
فإن بايعك لم يخالفك أحد، وإن أبى كان الناس له أطوع، فإن أبى إلا المضي
على رأيك فأظهر أن أخاك العباس قد بايعك. وكان الشام وبيّاً، فخرجوا إلى
البوادي، وكان العباس بالقسطل ويزيد بالبادية أيضاً بينهما أميال يسيرة، فأتى يزيد
أخاه العباس فاستشاره، فنهاه عن ذلك، فرجع وبايع الناس سرّاً وبثّ دُعاته، فدعوا
الناس، ثم عاود أخاه العباس فاستشاره ودعاه إلى نفسه، فزبره وقال: إن عدتَ
لمثل هذا لأشدنّك وثاقاً وأحملنك إلى أمير المؤمنين. فخرج من عنده. فقال
العباس: إنّي لأظنه أشأم مولود في بني مروان.

وبلغ الخبر مروان بن محمّد بأرمينية، فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن
مروان يأمره أن ينهى الناس ويكفّهم ويحذرهم الفتنة ويخوفهم خروج الأمر عنهم،
فأعظم سعيد ذلك وبعث بالكتاب إلى العباس بن الوليد، فاستدعى العباس يزيد

وتهدّده، فكتمه يزيد أمره، فصدّقه، وقال العباس لأخيه بشر بن الوليد: إنّي أظنّ أن الله قد أذن في هلاككم يا بني مروان.

فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبيد أقبل إلى دمشق، وبينه وبين دمشق أربع ليال، متنكراً في سبعة نفر على حمير، فنزلوا بجُرد على مرحلة من دمشق، ثمّ سار فدخل دمشق وقد بايع له أكثر أهلها سرّاً، وبايع أهل المِزّة، وكان على دمشق عبد الملك بن محمّد بن الحجاج، فخاف الوباء فخرج منها فنزل قطناً واستخلف ابنه على دمشق، وعلى شرطته أبو العجاج كثير بن عبد الله السلمي، فأجمع يزيد على الظهور، فقبل للعامل: إنّ يزيد خارج، فلم يصدّق. وراسل يزيد أصحابه بعد المغرب ليلة الجمعة، فكمّنوا عند باب الفراديس حتّى أذن العشاء فدخلوا فصلّوا وللمسجد حرس قد وُكّلوا بإخراج الناس منه بالليل، فلما صلى الناس أخرجهم الحرس، وتباطأ أصحاب يزيد حتّى لم يبق في المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد، فأخذوا الحرس، ومضى يزيد ابن عبّسة إلى يزيد بن الوليد فأعلمه وأخذه بيده فقال: قم يا أمير المؤمنين وأبشّر بنصر الله وعونه. فقام وأقبل في اثني عشر رجلاً، فلما كان عند سوق الحُمُر لقوا أربعين رجلاً من أصحابهم ولقيهم زهاء مائتي رجل، فمضوا إلى المسجد فدخلوه وأخذوا باب المقصورة فضربوه فقالوا: رسل الوليد، ففتح لهم الباب خادماً، فأخذه ودخلوا فأخذوا أبا العجاج وهو سكران، وأخذوا خُزّان بيت المال، وأرسل إلى كلّ من كان يحذره فأخذ، وقبض على محمّد بن عبيدة، وهو على بعلبك وأرسل بني عُذرة إلى محمد بن عبد الملك بن محمّد بن الحجاج فأخذه.

وكان بالمسجد سلاح كثير فأخذه، فلما أصبحوا جاء أهل المِزّة وتتابع الناس وجاءت السكاسك وأقبل أهل داريّا ويعقوب بن محمّد بن هانئ العيسى وأقبل عيسى بن شبيب التغلبي في أهل دومة وحَرَستا، وأقبل حُميد بن حبيب النخعي في أهل دِير مُرّان والأرزة وسطرا، وأقبل أهل جرش وأهل الحديثة ودير زكا، وأقبل ربّعي بن الهاشم الحارثي في الجماعة من بني عُذرة وسلامان، وأقبلت جُهينة ومَن والاهم. ثمّ وجّه يزيد بن الوليد بن عبد الملك عبد الرحمن بن مصاد في مائتي

فارس ليأخذوا عبد الملك ابن محمد بن الحجاج بن يوسف من قصره، فأخذوه بأمان، وأصاب عبد الرحمن خرجين في كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار، ف قيل له: خذ أحد هذين الخرجين. فقال: لا تتحدث العرب عني أني أول من خان في هذا الأمر.

ثم جهز يزيد جيشاً وسيّرهم إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وجعل عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

وكان يزيد لما ظهر بدمشق سار مولى للوليد إليه فأعلمه الخبر وهو بالأغدف من عمان، فضربه الوليد وحبسه وسيّر أبا محمد عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى دمشق، فسار بعض الطريق فأقام، فأرسل إليه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد، فسأله أبو محمد ثم بايع ليزيد بن الوليد.

ولما أتى الخبر إلى الوليد قال له يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية: سر حتى تنزل جملص فإنها حصينة، ووجه الخيول إلى يزيد فيقتل أو يؤسر. فقال عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاص ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قبل أن يقاتل، والله يؤيد أمير المؤمنين وينصره. فقال يزيد بن خالد: وما نخاف على حرمة، وإنما أتاه عبد العزيز وهو ابن عمه.

فأخذ بقول عنبسة وسار حتى أتى البخراء قصر النعمان بن بشير، وسار معه من ولد الضحاك بن قيس أربعون رجلاً فقالوا له: ليس لنا سلاح، فلو أمرت لنا بسلاح. فما أعطاهم شيئاً. ونال به عبد العزيز، وكتب العباس بن الوليد بن عبد الملك إلى الوليد: إني آتيك. فقال الوليد: أخرجوا سريراً، فأخرجوه، فجلس عليه وانتظر العباس. فقاتلهم عبد العزيز ومعه منصور ابن جمهور، فبعث إليهم عبد العزيز زياد بن حصين الكلبي يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فقتله أصحاب الوليد، واقتلوا قتلاً شديداً، وكان الوليد قد أخرج لواء مروان بن الحکم الذي كان عقده بالجابية. وبلغ عبد العزيز مسير العباس إلى الوليد، فأرسل منصور بن جمهور إلى طريقه فأخذه قهراً وأتى به عبد العزيز فقال له: بايع لأخيك يزيد. فبايع ووقف، ونصبوا راية وقالوا: هذه راية العباس قد بايع لأمر المؤمنين يزيد. فقال

العبّاس: إنّنا لله، خُذْعة من خُذَع الشيطان، هلك بنو مروان. فتفرّق النَّاسُ عن الوليد وأتوا العبّاس وعبد العزيز. وأرسل الوليد إلى عبد العزيز يبدّل له خمسين ألف دينار وولاية حمص ما بقي ويؤمّنه من كل حدث على أن ينصرف عن قتاله، فأبى ولم يجبه. فظاهر الوليد بين درعين، وأتوه بفرسيه السندي والراية فقاتلهم قتالاً شديداً، فناداهم رجل: اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط! ارجموه بالحجارة! فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق عليه الباب وقال:

دَعُوا لِي سَلْمِي وَالطَّلَاءَ وَقِينَةَ وكأساً ألا حسبي بذلك مالا
إذا ما صفنا عيشي برملة عالَج وعانقتُ سَلْمِي ما أريد بدالا
خذوا ملككم لا ثَبَّتَ اللَّهُ مَلَكُكُمْ ثباتاً يساوي ما حييت عقالا

فلما دخل القصر وأغلق الباب أحاط به عبد العزيز، فدنا الوليد من الباب وقال: أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه؟ قال يزيد بن عنبسة السكسكيّ كلّمني. قال: يا أخا السكاسك، ألم أزد في أعطياتكم؟ ألم أرفع المؤن عنكم؟ ألم أعط فقراءكم؟ ألم أخدم زمناكم؟ فقال: إنّنا ما ننقم عليك في أنفسنا إنّما ننقم عليك في انتهاك ما حرّم الله وشرب الخمر ونكاح أمّهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله! قال: حسبك يا أخا السكاسك، فلعمري لقد أكرّرت وأغرقت، وإنّ فيما أحلّ الله سعة عما ذكرت. ورجع إلى الدار وجلس وأخذ مصحفاً فنشره يقرأ فيه وقال: يوم كيوم عثمان.

فصعدوا على الحائط، وكان أوّل مَنْ علاه يزيد بن عنبسة، فنزل إليه فأخذ بيده وهو يريد أن يحبسه ويؤامر فيه، فنزل من الحائط عشرة، منهم منصور بن جُمهور، وعبد السلام اللّخميّ، فضربه عبد السلام على رأسه، وضربه السندي بن زياد بن أبي كُبشة في وجهه واحتزّ رأسه وسيّروه إلى يزيد.

فأتاه الرأس وهو يتغذّى، فسجد، وحكى له يزيد بن عنبسة ما قاله للوليد، قال آخر كلامه: الله لا يرتق فتقكم ولا يلّم شعثكم ولا تجتمع كلمتكم، فأمر يزيد بنصب رأسه. فقال له يزيد بن فروة مولى بني مرّة: إنّما تنصب رؤوس الخوارج وهذا ابن عمك وخليفة ولا آمن إن نصبتّه أن ترقّ له قلوب النَّاس ويغضب له أهل

بيته . فلم يسمع منه ونَصَبَه على رَمَحٍ فطاف به بدمشق ، ثم أمر به أن يُدْفَعَ إلى أخيه سليمان بن يزيد ، فلمَّا نظر إليه سليمان قال : بُعداً له ! أشهد أنه كان شَرُوباً للخمر ماجناً فاسقاً ، ولقد أردني في نفسي الفاسق ، وكان سليمان ممَّن سعى في أمره .

وكان قتله لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة ، سنة ست وعشرين ، وكانت مدَّة خلافته سنة وثلاثة أشهر ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة .

(ابن الأثير ٥ : ٢٨٠ وما بعدها)

* * *

صلب يحيى بن زيد بن علي بن الحسين

في سنة خمس وعشرين ومائة قُتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بخراسان .

وسبب قتله أنه سار بعد قتل أبيه إلى خُراسان ، فاتى بَلْخ فأقام بها عند الحَرِيش بن عمرو بن داود حتى هلك هشام وولي الوليد ابن يزيد . فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بمسير يحيى بن زيد وبمنزله عند الحَرِيش ، وقال له : خذْه أشدَّ الأخذ ، فأخذ نصر الحَرِيش ، فطالبه بيحيى ، فقال : لا علم لي به . فأمر به فُجِّلد ستمائة سوط . فقال الحَرِيش : والله لو أنه تحت قدمي ما رفعتهما عنه : فلمَّا رأى ذلك قريش بن الحَرِيش قال : لا تقتل أبي وأنا أدلك على يحيى ، فدلَّه عليه ، فأخذه : فنصر وكتب إلى الوليد يُخبره ، فكتب الوليد يأمره أن يؤمنه ويخلِّي سبيله وسبيل أصحابه . فأطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد وأمر له بألفي درهم ، فسار إلى سَرْخَس فأقام بها ، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس بن عُباد يأمره أن يسيرَ عنها ، فسيره عنها ، فسار حتَّى انتهى إلى بَيْهَق ، وخاف أن يغتاله يوسف بن عمر فعاد إلى نَيْسابور ، وبها عمرو بن زُرارة ، وكان مع يحيى سبعون رجلاً ، فرأى يحيى تجاراً ، فأخذ هو وأصحابه دوابهم وقالوا : علينا أثمانها ، فكتب عمرو بن زُرارة إلى نصر يُخبره ، فكتب نصر يأمره بمحاربتة ، فقاتله عمرو ، وهو في عشرة آلاف ويحيى في

سبعين رجلاً، فهزمهم يحيى وقتل عمراً وأصاب دواب كثيرة وسار حتى مرَّ بهراة، فلم يعرض لمن بها وسار عنها.

وسرح نصر بن سيار سالم بن أخوز في طلب يحيى، فلحقه بالجوزان فقاتله قتالاً شديداً، فرمى يحيى بسهم فأصاب جبهته، رماه رجل من عنزة يقال له عيسى، فقتل أصحاب يحيى من عند آخرهم وأخذوا رأس يحيى وسلبوه قميصه.

فلما بلغ الوليد قتل يحيى كتب إلى يوسف بن عمرو: خذ عجيل أهل العراق فأنزله من جذعه، يعني زيداً، وأحرقه بالنار ثم أنسفه باليمّ نسفاً، فأمر يوسف به فأحرق، ثم رضعه وحمله في سفينة ثم ذراه في الفرات.

وأما يحيى فإنه لما قتل صلب بالجوزان، فلم يزل مصلوباً حتى ظهر أبو مسلم الخراساني واستولى على خراسان فأنزله وصلى عليه ودفنه وأمر بالنيابة عليه في خراسان، وأخذ أبو مسلم ديوان بني أمية وعرف منه أسماء من حضر قتل يحيى، فمن كان حياً قتله ومن كان ميتاً خلفه في أهله بسوء، وكانت أم يحيى ريطة بنت أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية.

(ابن الأثير ٥: ٢٧١)

* * *

صلب يحيى بن عمر

في سنة خمسين ومائتين ظهر يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المكنى بأبي الحسين، عليه السلام، بالكوفة، وكانت أمه فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنهم.

وكان سبب ذلك أن أبا الحسين نالته ضيقة، ولزمه دين ضاق به ذرعاً، فلقي عمر بن فرج، وهو يتولّى أمر الطالبين، عند مقدمه من خراسان، أيام المتوكل، فكلّمه في صلته، فأغلظ له عمر القول، وحبسه، فلم يزل محبوساً حتى كفله أهله، فأطلق، فسار إلى بغداد، فأقام بها بحال سيئة، ثم رجع إلى سامراء، فلقي وصيفاً

في رزق يُجرى له، فأغْلَظَ له وصيف وقال: لأيّ شيء يُجرى على مثلك؟

فانصرف عنه إلى الكوفة، وبها أيّوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان الهاشمي، عامل محمد بن عبد الله بن طاهر، فجمع أبو الحسين جمعاً كثيراً من الأعراب وأهل الكوفة وأتى الفلوجة، فكتب صاحب البريد بخبره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، فكتب محمد إلى أيّوب وعبد الله بن محمود السرخسي، عامله على معاون السواد، يأمرهما بالاجتماع على محاربة يحيى بن عمر، فمضى يحيى بن عمر إلى بيت مال الكوفة يأخذ الذي فيه، وكان فيما قيل ألفي دينار وسبعين ألف درهم، وأظهر أمره بالكوفة، وفتح السجون وأخرج من فيها، وأخرج العُمّال عنها، فلقية عبد الله بن محمود السرخسي فيمن معه، فضربه يحيى بن عمر ضربة على وجهه أثخنه بها، فانهزم عبد الله، وأخذ أصحاب يحيى ما كان معهم من الدواب والمال.

وخرج يحيى إلى سواد الكوفة، وتبعه جماعة من الزيدية، وجماعة من أهل تلك النواحي إلى ظهر واسط، وأقام بالبستان، فكثر جمعه، فوجّه محمد بن عبد الله إلى محاربته الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسين بن مُصعب في جمع من أهل النجدة والقوة، فسار إليه، فنزل في وجهه لم يقدم عليه، فسار يحيى والحسين في أثره، حتى نزل الكوفة ولقيه عبد الرحمن ابن الخطّاب المعروف بوجه الفُلس، قبل دخولها، فقاتله، وانهزم عبد الرحمن إلى ناحية شاهي، ووافاه الحسين، فنزلا بشاهي.

واجتمعت الزيدية إلى يحيى بن عمر، ودعا بالكوفة إلى الرضى من آل محمد، فاجتمع الناس إليه، وأحبّوه، وتولّاه العامة من أهل بغداد، ولا يعلم أنّهم يولّون أحداً من بيته سواه، وبإيعه جماعة من أهل الكوفة ممن له تدبير وبصيرة في تشييعهم، ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم.

وأقام الحسين بن إسماعيل بشاهي، واستراح، وأتصلت بهم الأمداد، وأقام يحيى بالكوفة يُعدّ العُدَد، ويُصلّح السلاح، فأشار عليه جماعة من الزيدية، ممن لا علم لهم بالحرب، بمعاجلة الحسين بن إسماعيل، وألحوا عليه، فزحف إليه ليلة

الإثنين لثلاث عشرة خلت من رجب، ومعه الهيصم العجلي وغيره، ورجالة من أهل الكوفة ليست لهم علم ولا شجاعة، وأسروا ليلتهم، وصَبَّحُوا الحسين وهو مستريح، فثاروا بهم في الغلس، وحمل عليهم أصحاب الحسين فانهمزوا، ووضعوا فيهم السيف، وكان أول أسير الهيصم العجلي، وانهمز رجالة أهل الكوفة، وأكثرهم بغير سلاح، فداستهم الخيل.

وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر، وعليه جوشن، قد تقطَّرَ به فرسه، فوقف عليه ابن الخالد بن عمران، فقال له: خير، فلم يعرفه، وظنَّه رجلاً من أهل خراسان لما رأى عليه عليه الجوشن، فأمر رجلاً، فنزل إليه، فأخذ رأسه، وعرفه رجل كان معه، وسير الرأس إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، وأدعى قتله غير واحد، فسير محمد الرأس إلى المستعين، فنُصِبَ بسامراً لحظة، ثم حُطَّه، وردَّه إلى بغداد ليُنصَبَ بها، فلم يقدر محمد على ذلك لكثرة من اجتمع من الناس، فخاف أن يأخذوه فلم ينصبه، وجعله في صندوق في بيت السلاح. ووجه الحسين بن إسماعيل برؤوس من قتل، وبالأسرى، فحُبِسُوا ببغداد، وكتب محمد بن عبد الله يسأل العفو عنهم، فأمر بتخليتهم، وأن تُدْفَنَ الرؤوس ولا تُنصَبَ، ففعل ذلك.

ولما وصل الخبر بقتل يحيى جلس محمد بن عبد الله يُهنأ بذلك، فدخل عليه داود بن الهيثم أبو هاشم الجعفري، فقال: أيها الأمير! إنك لتُهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ، حياً لُعِزِّي به، فما ردُّ عليه محمد شيئاً، فخرج داود وهو يقول:

يا بني طاهر كُلُّوه وبيئاً إنَّ لحم النبيِّ غيرُ مَرِيٍّ
إنَّ وتراً يكون طالِبَه اللَّـهُ هُـ لو تَرُنْجَا حُه بالحرِّيِّ
(ابن الأثير ٧: ١٢٦)

* * *

صلب يزيد بن الوليد

في سنة سبع وعشرين ومائة ببيع بدمشق لمروان بالخلافة. فلما دخل دمشق

هرب إبراهيم بن الوليد وسليمان، وثار مَنْ بدمشق مِنْ موالِي الوليد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فقتلوه ونبشوا قبرَ يزيد بن الوليد فصلبوه على باب الجابية وأُتي مروان بالغلامَيْن الحَكَم وعثمان ابْنَي الوليد مقتولَيْن، وبِيوسف بن عمر، فدفعنهم، وأُتي بأبي محمَّد السفينانيّ في قيوده فسَلَّم عليه بالخلافة.
(ابن الأثير ٥: ٣٢٣)

* * *

صلب يوسف وعنبر

جاء في النجوم الزاهرة ٥: ٢٦٥: في السنة ٥٣٣ تأمر بعض أمراء دمشق مع خادمي الأمير محمود، صاحب دمشق، وهما يوسف والبقرش الأرمني، فوثبا على الأمير محمود فقتلاه، وأعانهما عنبر الخادم، فقبض على يوسف وعنبر فُصلبا.

* * *

صلب يوسف بن إبراهيم

في سنة ستين ومائة خرج يوسف بن إبراهيم، المعروف بالبرم، بخراسان مُنْكَراً هو وَمَنْ معه على المهديّ سيرته التي يسير بها، واجتمع معه بشر كثير، فتوجّه إليه يزيد بن مَزِيد الشَّيبانيّ، وهو ابن أخي معن بن زائدة، فلقيه، فاقتتلا، حتى صارا إلى المُعانقة، فأسره يزيد بن مَزِيد وبعث به إلى المهديّ، وبعث معه وجوه أصحابه، فلَمَّا بلغوا النُّهروان حُمِل يوسف على بعير، قد حُوِّل وجهه إلى ذنبه، وأصحابه مثله، فأدخلوهم الرِّصافة على تلك الحال، وقُطعت يدا يوسف ورجلاه، وقُتل هو وأصحابه وصُلبوا على الجسر.

(ابن الأثير ٦: ٤٣)

* * *

صلب بالجملة

جاء في كتاب المنتظم ٨: ١٥٤: أنه في السنة ٤٤٣ ظهر عيّار، يُعرف بالطقطي، من أهل درزيجان، حضر ديوان الخلافة، واستُئيب، وجرى منه في معاملة أهل الكرخ، وتبّعهم في المحال وقتلهم على الاتصال، ما عظمت به البلوى، فقُطع رجلين وصلبهما على حائط باب القلائين، وقتل قبلهما ثلاثة وقطع

رؤوسهم ورمى بها إلى أهل الكرخ، وقال: تغذّوا برؤوس باجة.

ومضى إلى درب الزعفراني وطالب أهله بمائة ألف دينار.

وفي السنة ٤٤٤ كبس الطقطقي طاق الحراني، وهو من محلات الكرخ، وقتل رجلين، وقطع رأسيهما وحملهما إلى القلائين فنصبهما على حائط المسجد المستجد.

* * *

تعليق أكفان مسلم بن عقبة

جاء في الإمامة والسياسة ٢: ٩: أنه لما استباح مسلم بن عقبة، قائد الجيش الأموي، المدينة وقتل رجالها، خرج منها يريد مكة، فمات في الطريق، ودُفن، فخرجت إليه زوجة أحد قتلاه، فنشئت قبره وأحرقت جثته ومزّقت أكفانها وعلّقتها على شجرة هناك، فكان كل من يمرّ بالأكفان يرميها بالحجارة.

* * *

سنة وثلاثون رجلاً يُقطعون ويُصلبون

في رحلة ابن بطوطة ١: ١٨: أنه في السنة ٧٢٧ وقعت بالإسكندرية مشاجرة بين تجّار من النصارى وأهل الإسكندرية وحسب الإسكندريون أن أمير المدينة، ويُلقّب بالكركي، أعان النصارى عليهم، فثاروا به وحصلوه في قصره، فاستغاث بالملك الناصر محمد بن قلاوون، فأعانه بجيش أعاد الأمن في البلاد، وقتل من أهل البلد ستة وثلاثين رجلاً قطع بدن كل واحد منهم إلى قطعتين وصلبهم صفيين.

* * *

أحد وجهاء حرّان يُصلب مع ابني أخيه

جاء في أعلام النبلاء ١: ٣٧٤: في السنة ٤٨٨ كاتب أهل حرّان جناح الدولة الحسين بن إيتكين، زوج أم السلطان رضوان بن تقش ليسلّموا إليه مدينة حرّان، فبلغ ذلك الأمير قరాچه صاحب حرّان فاتّهم ابن المفتي أحد وجهاء حرّان فأخذه وأخذ معه ابني أخيه وصلبهم.

* * *

صلب ولد جمال الدين

جاء في الجامع المختصر ص ٤٣ : أنه في السنة ٥٩٦ صلب الأمير جمال الدين قشتمر الناصري بالحلّة ابن أمير خفاجة، وقتل والده زياد بن عبيد، وسبب قتلها أن زياداً خلع عليه في ديوان الخلافة، وسلّمت إليه حماية البلاد الفراتية، فمضى مخلوعاً عليه، ودخل على الأمير جمال الدين بالحلّة شامخاً عليه، فقتله وصلب ولده، فأنكرت الحال عليه، وألزم بأداء ألفي دينار سلّمت إلى ورثة المقتول.

* * *

ميرزا يصلب زوجة أبيه

جاء في تاريخ العراق للعزاوي : أنه لما قتل جهان شاه، خلفه ولده حسن علي ميرزا في السنة ٨٧٢، فحاصر زوجة أبيه وقبض عليها وصلبها معلقة بشديّها فظلت ثلاثة أيام حتى ماتت.

* * *

القاهر يعلّق امرأة أبيه

جاء في كتاب نشوار المحاضرة : أن القاهر عندما استخلف عدّب امرأة أبيه السيّدة أمّ المقتدر وضربها بيده مائة مقرعة وعلّقها بشديّها، ثم علّقها وهي منكّسة، فكان بولها يجري على وجهها.

* * *

صلب القاتل وجدع أنف المغنية

جاء في الجامع الصغير : أنه في السنة ٥٩٨ اجتمع مملوكان تركيان في دار يشربان خمرًا وعندهما مغنيّة، فسكر أحدهما، فراود المغنية عن نفسها، فغار الآخر منه وضربه بسكين فقتله، فتقدّم بصلب القاتل، فصلب على رأس درب الباهقي ببغداد، وجدع أنف المغنيّة.

(راجع الجامع المختصر ص ٨٢)

* * *

الفصل الثاني
في أخبار المعتدين

مروان الجعدي يقطع لسان كاتبه

في سنة ١٢٨ ، كان مروان الجعدي يحارب الخوارج، وبعث إليهم كاتبه محمد بن سعيد رسولاً، فمالأهم وانحاز إليهم، ثم جيء به إلى مروان أسيراً، ففقطعه يده ورجله ولسانه.

(وفيات الأعيان ٣: ٣٥٣؛ الطبري ٧: ٣٤٧)

* * *

المتوكل يأمر بسلّ لسان ابن السكّيت

كان يعقوب بن السكّيت النحوي اللغوي يؤدّب أولاد المتوكل، فقال له المتوكل يوماً: أيّما أحبّ إليك، ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فأجاب بجواب لم يرضه المتوكل، فأمر الأتراك فداسوا بطنه وسلّوا لسانه، فقتلوه.

* * *

المأمون يأمر بسلّ لسان العكوك الشاعر

غضب المأمون على أبي الحسن الشاعر المعروف بالعكوك، فأمر باعتقاله وأحضر أمامه، فقال له: يا ابن اللخناء، أنت القاتل للقاسم بن عيسى (أبي دلف):

كلّ من في الأرض من عرب بين يديه إلى حضرة
مستعير منك مكرمة يرتديها يوم مفتخرة

جعلتنا ممّن يستعير منه المكارم، فقال: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم، وإنما عنيت بقولي أقراناً وأشكالاً لأبي دلف، فقال له المأمون: أنا أستحلّ دمك بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين:

أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حالٍ إلى حالٍ وما مددت مدى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضيت بأرزاقٍ وآجالٍ ذاك هو الله عزَّ وجلَّ، فجعلت بشعرك مع الله شريكاً، ثم أمر به فسلَّ لسانه من قفاه، فمات.

* * *

الجاموس والمحوجب يوتان مسمرين

جاء في «سيرة الملك المنصور»، أنه في السنة ٦٧٩، ظهر بالقاهرة شخص يعرف بالجاموس، ادَّعى الشطارة والدعارة، وصار منفرداً يحمل سيفاً وينفرد بمن يصادفه بظاهر القاهرة، فيسلبه ما يحمله.

ونزل على جماعة من الناس في بيوتهم فهابوه، وأعطوه ما أراد، وقتل جماعة، ثم ظهر معه شخص آخر يُعرف بالمحوجب، وأقاما مدة، فأحضر الملك المنصور والي مصر والي القاهرة وتهدَّدهما أن يحضرا الجاموس والمحوجب، فقبضا عليهما، فأمر السلطان بتسميرهما وصلبهما، فسمَّرا وصلبا على باب زويلة أحد أبواب القاهرة، فأقاما أياماً وماتا.

* * *

أبو جعفر الكرخي يسمَّر ويُصلب

كان أبو القاسم البريدي رجلاً قاسياً لا يرحم، فقد عذَّب أبا جعفر الكرخي، المعروف بالجرو، بألوان من العذاب. منها، أنه سمَّر يديه في حائط وهو قائم على كرسي، ثم نحى الكرسي من تحته، فبقي مصلوباً معلقاً من يديه. (راجع نشوار المحاضرة للتونخي)

* * *

ابن السلَّار يعذَّب الموفق

كان أبو الحسن علي بن السلَّار، الملقَّب بالملك العادل وزير الظافر

الفاطمي، كان قبل الوزارة من آحاد الأجناد، فدخل يوماً إلى الموفق أبي الكرم التنيسي، وكان يتولّى الديوان، فشكا إليه من غرامة ألزم بها، فقال له الموفق: إن كلامك هذا ما يدخل في أذني، فحقده عليه.

ولما استوزر، طلبه حتى ظفر به، فأمر بإحضار لوح خشب ومسمار طويل، وأمر به فألقي على جنبه، وطرح اللوح تحت أذنه، ثم ضرب المسمار في الأذن الأخرى، وصار كلما صرخ، يقول له: دخل كلامي في أذنك أم لا؟ حتى مات.

* * *

ذبح مؤنس ويلبق وولده علي

روى ابن الأثير، قال:

في السنة ٣٢١، احتال القاهر على القواد مؤنس ويلبق وولده علي فاعتقلهم، ثم دخل علي بن يلبق وأمر به، فذبح أمامه واحتز رأسه، فوضعه في طشت، ومضى القاهر والطشت يحمل بين يديه حتى دخل علي يلبق، فوضع الطشت بين يديه، وفيه رأس ولده، فلما رآه بكى، فأمر به القاهر فذبح أيضاً، وجعل رأسه في الطشت، وحمل بين يدي القاهر.

ومضى حتى دخل علي مؤنس، فوضع الطشت بين يديه، فلما رأى الرأسين استرجع وتشهد. فقال القاهر: جرّوا برجل الكلب الملعون، فجرّوه وذبحوه ووضعوا رأسه في الطشت، وطيف بالرؤوس في بغداد.

* * *

ذبح محمد بن أبي خالد والطواف برأسه

روى الطبري، قال:

في السنة ٢٠١، قتل محمد بن أبي خالد، في معركة بينه وبين جيش المأمون، وكان زهير بن المسيب أحد قواد المأمون محبوساً عند جعفر بن محمد بن أبي خالد، فأخرج زهير من الحبس، وذبح، وطيف برأسه، ثم أخذ جسده وربط

في رجله بحبل وطيف به في بغداد، ومروا به على دوره ودور أهل بيته عند باب الكوفة، وطيف به في الكرخ، ثم طرحوه في دجلة ليلاً.

* * *

المنصور يخنق عمه عبد الله بن علي

قتل المنصور عمه عبد الله بن علي، وكان أرسل إليه أبا الأزهر، فدخل عليه ومعه جارية له، فبدأ بعبد الله، فخنقه حتى مات، ثم مدّه على الفراش، ثم أخذ الجارية ليخنقها، فقالت: يا عبد الله، قتلة غير هذه القتلة، فكان أبو الأزهر يقول: ما رحمت أحداً قتلته غيرها، فصرفت وجهي عنها، وأمرت بها، فخنقت ووضعته معه على الفراش، وأدخلت يدها تحت جنبه، ويده تحت جنبها كالمعتنقين، ثم أمرت بالبيت فهدم عليهما.

ثم أحضرنا القاضي ابن علاثة وغيره، فنظروا إلى عبد الله والجارية معتنقين على تلك الحال، ثم أمر به، فدفن.

* * *

خنق ابن الحواري

لما وزر ابن الفرات للمقتدر وزارته الثالثة سنة ٣١١، قبض على أبي القاسم بن الحواري، وصادره على سبعمائة ألف دينار مصادرة خاصة من دون كتابه وأسبابه، ثم تسلّمه المحسن بن الفرات، فصفعه صفعاً عظيماً على دفعات، وضربه بالمقارع ثم أحدره إلى الأهواز، وأنفذ معه الحبشي المستخرج، فلما وصلوا البصرة وتوجهوا منها إلى الأهواز، طرح الحبشي ابن الحواري في الماء منكساً وشدّ رجله، وعندما بلغ موضعاً في أسفل الأبلّة أخرجه وقد بقي فيه أدنى رمل، فخنقه غلمان كانوا معه ودفنوه.

* * *

مروان يُخنق خنقاً

جاء في الأغاني ومروج الذهب، أن مروان كان قد أخذ البيعة لنفسه، ثم

لخالد بن يزيد، ثم لعمر بن سعيد بن العاص. فلما استقرَّ في موضعه بدا له، فجعلها لابنه عبد الملك، ثم لابنه عبد العزيز.

فدخل عليه خالد بن يزيد، فكلمه، وأغلظ له، فغضب مروان، وقال له: أتكلمني يا ابن الرطبة، يعيره بأمه، وكان قد تزوجها ليضع منه.

فدخل خالد إلى أمه، فحدثها بما قال مروان، فقالت: لا يعيبك بعدها، ثم إنه لما دخل عندها وضعت على متنفسه وسادة وقعدت هي وجواربها فوقها حتى اختنق ومات.

* * *

الصالح يخنق أخاه العادل

في سنة ٦٤٦، جهَّز الملك الصالح أخاه العادل، وكان معتقلاً عنده بمصر لينفيه إلى الشوبك، فدخل عليه محسن الخادم ليكلّمه في السفر، فغضب منه ورماه بدواة كانت عنده، فخرج وأخبر الصالح، فقال له الصالح: دبر أمره، فأخذ معه ثلاثة أشخاص ودخلوا عليه، وخنقوه بشاش وعلّقوه به، وأظهروا أنه شنق نفسه.

(مروج الذهب ٢: ٢٤١؛ الوزراء للصابي ٤٧؛ النجوم الزاهرة ٦: ٣١٢)

* * *

المعتمد يموت في خابية

روى صاحب العيون والحدائق خبراً طريفاً عن موت المعتمد، فذكر أن المعتضد دسّ إلى جوارى عمّه المعتمد بقتله، فوضعن سمكاً صغاراً في خابية كبيرة وقلن للمعتمد - وكان سليم القلب - انظر إلى هذا السمك، فأشرف عليه، وأدخل رأسه في الخابية، فرفعن رجله ورمينه في الخابية، فاخنق ومات.

* * *

التعذيب بالمساهرة

مارسه المعتضد مع أحد اللصوص المتهمين بسرقة من بيت المال، فقد أمر

المعتضد بإحضار ثلاثين أسود، وأمرهم بأن يتناوبوا في ملازمته بحيث لا يمكن من الاتكاء ولا الاستناد ولا الاستلقاء ولا النوم، فإذا خفق خفقة ضرب فكّه وقمع رأسه، فظلّوا على ذلك أياماً حتى قارب الرجل التلف. (مروج الذهب ٢: ٥٠٧).

وفي تجارب الأمم (٦: ٥٣٩)، أن المتوكل قبض سنة ٢٣٤، على وزيره محمد بن عبد الملك الزيات، وعذّب أول الأمر بأن سُهر ومُنِع من النوم، وكلّما أغفى نخس بمسلة، وكان قد اتخذ تنوراً من خشب فيه مسامير حديد قيام، وكان عذّب به ابن أسباط المصري، ثم ابتلي هو به، فعذّب فيه حتى مات. وكان من جملة العذاب الذي عذّب به بكر الصوباشي ببغداد سنة ١٠٣٢، أنه سُهر أياماً كوي خلالها بالنار، ثم أحرق هو وأخوه.

* * *

عبد الملك يعذّب سعيد بن المسيّب

أورد الغزالي في «إحياء علوم الدين»، أن عبد الملك بن مروان خطب ابنة التابعي سعيد بن المسيّب، وكانت مشهورة بجمالها لابنه الوليد، فرفض سعيد لورعه ومعارضته لسياسة الأمويين، فأمر عبد الملك بتأديبه، فُضرب مئة سوط في يوم بارد وأُلبس جبّة صوف، ثم صبّت عليه جرّة ماء بارد.

* * *

عمر بن عبد العزيز يعذّب حُبيب

ارتكب عمر بن عبد العزيز إجراءً مماثلاً لما ارتكبه عبد الملك بحق سعيد بن المسيّب، وذلك أن عمرأ صب الماء البارد على حُبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر من الوليد بن عبد الملك، حين كان عمر والياً على المدينة. ولعل هذا هو السبب في حدة شعور عمر اللاحق بالجريمة كما تقول الروايات، حيث أعلن الندم والتوبة وحاول التخلص من الولاية.

(راجع نسب قريش)

* * *

المتوكل سليمان بن وهب في الكنيف

لما قبض المتوكل على إيتاخ (وكان عظيماً في دولة المعتصم والواثق)، قبض على كاتبه سليمان بن وهب، وسلّمه إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي، وقال له: هذا عدوّي، ففصّل لحمه عن عظمه، وإن إسحاق أخذه فقيده بقيدٍ ثقيل، وألبسه جبّة صوف، وحبسه في كنيف، وأغلق عليه خمسة أبواب، فكان لا يعرف الليل من النهار، وأقام على ذلك عشرين يوماً، لا يفتح عليه الباب إلّا دفعة واحدة في كل يوم وليلة، يدفع إليه فيها خبز وملح جريش، وماء حار، فكان يأنس بالخنافس وبنات وردان، ويتمنى الموت من شدّة ما هو فيه.

(الأغاني؛ الفرج بعد الشدة، القصة رقم ٧٣)

* * *

المأمون يعذب جاريته «عريب» في الكنيف

كانت عريب المأمونية تتعشّق محمد بن حامد، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت، فلما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد، أمر بإلباسها جبّة صوف، وختم زيقها وحبسها في كنيف مظلم شهراً لا ترى الضوء، يدخل إليها خبز وملح وماء من تحت الباب في كل يوم، ثم ذكرها، فرقّها لها، وأمر بإخراجها، وظلّت على محبة محمد بن حامد، فزوّجه المأمون بها.

* * *

إبراهيم الموصليّ يعذب في الحبس

حبس المهدي المغني إبراهيم الموصليّ، فحذق الموصليّ في الحبس القراءة والكتابة، وكان قد منعه من الدخول على ولديه موسى وهارون، ثم بلغه أنه دخل عليهما وشرب معهما، وكانا مستهترين بالنبيذ، فأحضره، وأمر به فجرّد وضرب ثلاث مائة وستين سوطاً، ثم ضربه بيده بالسيف في جفنه فشجّه، ثم أمر به فأعيد ضربه، ثم أمر عبد الله بن مالك بأن يصيّر في حبسٍ شبيه بالقبر، فأخذه عبد الله وأمر بكبش فذبح وسلخ، وألبس جلده ليسكن ألم الضرب، ثم دفعه إلى خادم له، فصيّره في ذلك القبر وبالقوّ، فدخّن عليه بالفحم، فكاد أن يموت

اختناقاً، وكان معه في القبر حيتان تخرجان ثم تعودان إلى حجريهما، ومكث في ذلك القبر حيناً ثم أخرج.

* * *

المنصور يعذب عبد الله بن الحسن في سرداب

جاء في النجوم الزاهرة (٢: ٤)، أن المنصور حبس عبد الله بن الحسن وأقاربه من بني الحسن في سرداب تحت الأرض، لا يعرفون ليلاً ولا نهاراً، والسرداب عند قنطرة الكوفة، ولم يكن عندهم بثر للماء ولا سقاية، فكانوا يبولون ويتغوطون في موضعهم، وإذا مات منهم ميت، لم يدفن بل يبلى وهم ينظرون إليه، فاشتدت عليهم رائحة البول والغائط، فكان الورم يبدو في أقدامهم، ثم يترقى إلى قلوبهم، فيموتون.

ويقال: إن أبا جعفر ردم عليهم السرداب، فماتوا، وكان يسمع أنينهم أياماً.

* * *

حبس في المطبق حتى مات

غضب أحمد بن طولون على أحمد بن إسماعيل بن عمار، أحد أتباعه، فحبسه في المطبق حتى مات، وسبب ذلك أن أحمد بن إسماعيل كان عظيم الإخلاص لأحمد، وأشار عليه مشورة، فلم يعمل بها، فبسط لسانه بانتقاده على جهة الإشفاق عليه، فقال عنه:

إنه لم يتمرن في الرئاسة، وفيه لعاج لا يؤمن عليه منه، فبلغ ذلك أحمد بن طولون، فحبسه في المطبق حتى مات.

* * *

المعتصم يعذب أحمد بن الخليل في بثر

روى الطبري (٩: ٨٧)، قال:

في سنة ٢٢٣، تأمر بعض القواد على المعتصم، ومنهم أحمد بن الخليل،

فأمر المعتصم به أن يحمل على بغل يكاف بلا وطاء، وأن يطرح في الشمس إذا نزل، ويطعم في كل يوم رغيفاً واحداً، ثم أمر أشناس، فدفعه إلى محمد بن سعيد السعدي، فحفر له بئراً في الجزيرة بسامراء وأنزله فيها وأطبّقها عليه، وفتح له كوة يرمي إليه منها بالخبز والماء، فسأل عنه المعتصم، فأخبر بالمكان الذي هو فيه، فقال:

أحسب إنه قد سمن على هذه الحال، فأخبر أشناس محمد بن سعيد بذلك، فصبّ عليه ماءً في البئر ليمتلىء ويغرق فلم يمتلىء البئر، فسلمه أشناس إلى غطريف الجندي، فمكث عنده أياماً ومات.

* * *

المهدي يحبس يعقوب بن داود في بئر

روى المؤرخون، أن المهدي حبس يعقوب بن داود في بئر بنيت عليها قبة، فمكث في حبسه خمس عشرة سنة، يدلى له في كل يوم رغيف وكوز ماء ويؤذن بأوقات الصلاة، إذ أن نور النهار لا ينفذ إلى موضعه، فلم يكن يفرّق بين الليل والنهار، وإن هارون الرشيد أطلقه، أمر أن دلى إليه حبلاً وطلب منه أن يشدّ به وسطه، ففعل فأخرجوه، فلما تأمل الضوء غشي على بصره.

(وفيات الأعيان ٧: ٢٥)

* * *

صاحب الزنج يسلق الأسرى

وصف ابن المعتز في أرجوزة له ألوان العذاب التي كان يمارسها صاحب الزنج على أسراه، فقال:

المهلك المخرب المدائن	ولم يزل بالعلوي الخائن
وصاحب الفجّار والمراق	والبائع الأحرار في الأسواق
وناهب الأرواح والأموال	وقاتل الشيوخ والأطفال
ورأس كل بدعة وقائد	فخرّب القصور والمساجد

قد خرب الأهواز والأبلة وترك البصرة من رماد وأطعم الزوج أطفال الناس فواحد يشدخ بالعمود وبعضهم مسمط مربوط وجعل الأسرى مكتفيننا وبعضهم يحرق بالنيران وبعضهم يصلب قبل الموت

وواسطاً قد حل فيها حلة سوداء لا توقن بالمعاد مكيدة منه فأعظم من باس وواحد يدخل بالسفود وبعضهم في مرجل مسموط أغراض نبل ومعلقينا وبعضهم يلقي من الحيطان وبعضهم يثن تحت البيت

* * *

أحد قتلة الحسين يموت حرقاً

روى الطبري وابن الأثير أن زيدا بن رقاد الجنبى - وهو أحد قتلة الحسين - عليه السلام - أحرق بالنار، وهو الذي كان يقول: رميت فتى من آل الحسين بسهم، وإنه لواضع كفه على جبهته يتقي النبل فأثبت كفه في جبهته فما استطاع أن يزيل كفه، ثم رميته بسهم آخر فقتلته، ثم جئت إليه ميتاً فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه، أما السهم الذي في جبهته، فلم أزل أنضضه حتى نزعته، وبقي النصل مثبتاً في جبهته، ما قدرت على نزعه، وهذا الفتى القليل عبد الله بن مسلم بن عقيل.

فلما استولى المختار الثقفي على الكوفة بعث قائده عبد الله بن كامل الشاكري فأحاط بدار زيد، وأمر رجاله فاقتحموها عليه، فخرج عليهم مصلتاً سيفه، فقال ابن كامل: لا تضربوه بسيف، ولا تطعنوه برمح، ولكن ارموه بالنبل وارجموه بالحجارة، ففعلوا به ذلك فسقط وأخرجوه وبه رمق فدعا بنار فأحرقه بها وهو حي لم تخرج روحه.

* * *

المعتضد يشوي شيلمة

روى التنوخي في نشوار المحاضرة، والطبري وابن الأثير أن المعتضد قبض

في سنة ٢٨٠ على محمد بن الحسن بن سهل، الملقب: شيلمة، وكان قد اتهم بأنه يسعى لبيعة خليفة من أولاد الواثق فصدقه عن المؤامرة ولكنه لم يُبح باسم من أرادوا بيعته، فاجتهد به وألحَّ فقال له: والله لو جعلتني (شاورما) لم أخبرك باسمه. فقال المعتضد للفراسين: هاتوا أعمدة الخيم الكبار الثقال، وأمر أن يشدَّ عليها شدًّا وثيقاً، وأحضر فحمًا كثيرًا وأججوا ناراً وجعل الفراشون يقبّون شيلمة على النار وهو مشدود على الأعمدة، حتى انشوى ومات.

* * *

معز الدولة يسمّل عينيّ المستكفي

في سنة ٣٣٤ اتهم معز الدولة، المستكفي، بأنه يكاتب خصومه الحمدانيين، فانحدر إلى دار الخلافة، فسلم على الخليفة المستكفي، وقبّل الأرض، وقبّل يد الخليفة، وطرح له كرسي فجلس، ثم تقدّم رجلان من الديلم فمدا أيديهما إلى المستكفي، فظنّ أنهما يريدان تقبيل يده، فناولهما يده، فجذّباه فنكسّاه عن السرير ووضعاه عمّامته في عنقه، وجراه وحمل راجلاً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها وخلع من الخلافة وسمّلت عيناه.

* * *

السلار يسمّل عينيّ الكردي

في سنة ٣٣٤ استعان أبو سالم ديسم بن إبراهيم الكردي بسيف الدولة الحمداني فأعانه، فقصد مدينة سلماس وملكها، وخطب بها لسيف الدولة، وكان السلار المرزبان بن محمد غائباً بناحية باب الأبواب، مشغولاً بقم خرجوا عليه هناك، فلما عاد وأصلح أمره، قصد ديسماً فاستأمن رجال ديسم إلى سلار، وفرّ ديسم فالتجأ إلى ابن المرزباني صاحب أرمينية مستجيراً به، فقبله، ثم غدر به، وقبض عليه وقيّده وحمله إلى السلار فسمّل عينيه ثم قتله.

(انظر تاريخ الصابي ٨: ٤٤٤)

(انظر تجارب الأمم ٢: ١٦١)

* * *

سمل عيني الحيري ونبش قبره

في سنة ٣٩٢ تأمر أبو عبد الله الحيري، كاتب الحسن بن المسيّب، وهو من شرار الخلق، على أبي الحسين بن شهرويه، كاتب قرواش، وأبي عبد الله المستخرج وكيل قرواش، فقتلهم، وقتل كثيراً من الناس غيرهما، وسمّ سيّده الحسن، فأغروا به مرج، أخا الحسن بن المسيّب، الذي خلفه في ضمان الموصل، فقبض عليه وسمل عينيه فمات.

فلما دُفن، نبش أهل الموصل قبره وأحرقوه لسوء معاملته لهم وما قدّمه من القبيح إليهم.

* * *

الراضي يسمل عيني القاهر

جاء في مروج الذهب: أن القاهر، محمد بن المعتضد كان من أعظم الناس شراً وأقساهم قلباً، وكان يعامل الراضي معاملة سيّئة، فلما قبض عليه في سنة ٣٢٢، وكان يُعرف ماله عند الراضي، فعذب عذاباً شديداً وخُلع، وأشار القائد سيما بسمله، فاستحضر الراضي بختيشوع بن يحيى الطيب، وسأله عمّن يحسن أن يسمل، فذكر له رجلاً، فأحضر، وكحل القاهر بمسماز محمّي دفعتين فسمل عينيه حتى سالتا جميعاً على خديّه.

* * *

ابن حسان يُحرق حيّاً

جاء في الجامع المختصر ص ٢٢٧: أنه في السنة ٦٠٤ قتل رجلان من رجال البدرية الشريفة في دار الخلافة ببغداد، اسم أحدهما براهما، والآخر عليك، أحد النقباء بباب الشحنة ويُعرف بابن حسان، إذ لقيه في محلة المأمونية وهو على فرس، فنكّسه أحدهما وطعنه الثاني بسكين، ففرّ من يديهما ودخل داراً وأغلق بابها وصعد إلى سطحها، فتسوّر عليه جماعة من العوام وألقوه من السطح على رأسه وشدّوا في رجله حبلاً وسحبوه وهو حيّ وحملوه إلى دجلة وألقوه فيها ثم أخرجوه وأحرقوه.

* * *

المعتصم يدفن عمرو الفرغاني حيّاً

روى الطبري وابن خلدون أن بعض قواد المعتصم تأمروا عليه سنة ٢٢٣، وبايعوا العباس بن المأمون، وكان منهم عمرو الفرغاني، فلما نزل المعتصم بنصيبين في بستان، دعا صاحب البستان وأمره فحفر بئراً بقدر قامة، ثم دعا بعمرو وقال: جرّده، فجُرّد، وضربوه بالسياط والبئر تُحفّر، حتى إذا فرغ من حفرها أمر المعتصم فضرب وجه عمرو وجسده بالخشب، فلم يزل يضرب حتى سقط ثم قال: جرّوه إلى البئر فاطرحوه فيها، فطرح في البئر وطُمّت عليه.
(انظر ابن خلدون ٣: ٢٦٥) (انظر الطبري ٩: ٧٧)

* * *

الوليد بن عبد الملك يدفن وضاح اليمن حيّاً

جاء في الأغاني: أنه بلغ الوليد بن عبد الملك تشيب وضاح اليمن بزوجه أم البنين، فهُمّ بقتله، فسأله عبد العزيز ابنه من أم البنين أن لا يقتله، وقال له: إن قتلته حققت قوله، وتوهم الناس أن بينه وبين أمي ريبة، فأمسك عنه على غيظ وحنق حتى بلغ الوليد أنه قد تعدّى أم البنين إلى أخته فاطمة زوجة عمر بن عبد العزيز فشيب بها، فاشتد غيظه وقال:
أما لهذا الكلب مزدجر عن ذكر نساتنا وأخواتنا ولا له عناً مذهب. ثم دعا به فأحضر، وأمر ببئر فُحِفِرَتْ ودفنه فيها حيّاً..
(راجع أخبار النساء في كتاب الأغاني)

* * *

المنصور يبيّن على محمد بن الحسن وهو حيّ

جاء في الفخري ١٦٤: أنه لما اعتقل المنصور بني الحسن في سنة ١٤٤، نظر إلى محمد بن إبراهيم بن الحسن، وكان من أجمل الناس صورة، فقال له: أنت الديباج الأصفر؟
قال: نعم.

قال: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك، ثم أمر بأسطوانة مبنية ففرقت ثم أدخل فيها، فبني عليه وهو حيّ.

* * *

المقطوع الذكر

روى ابن تغري بردى في النجوم الزاهرة ٥: ٢٢: أن بدر الجمالي لما قدم إلى القاهرة سنة ٢٦٦ فرأى ابن أخيه المدبر، وهو عبد الله بن يحيى بن المدبر في زيّ المكذّبين، وكان متزوجاً بإحدى بنات نزار بن الخليفة المستنصر، فاعتقل وقطع ذكره ووضع في فيه ثم قُتل.

* * *

غلام يقطع ذكر العسكري

روى الجبرتي ٣: ٥١٦: قال: في سنة ١٢٣١ تعلّق في القاهرة شخص عسكري بغلام من أولاد البلد، وأراد أن يرتكب منه الفاحشة في الطريق، فخادعه الغلام وقال له: إن كان ولا بدّ فادخل بنا إلى مكان لا يرانا فيه أحد، فدخل معه إلى درب حلب، حيث دور الأمراء التي أصبحت خرائب، وحلّ العسكري سراويله فقال له الغلام: أرني «بتاعك» فلعلّه يكون عظيماً لا أتحمّله جميعه، وقبض عليه، وكان بيده موسىّ مخفية في يده الأخرى، فقطع ذكره بتلك الموس سريعاً، وسقط العسكري مغشياً عليه وتركه الغلام وذهب في طريق، وحضر رفقاء العسكري وحملوه وأحضروا له سليماً الجرائحي فقطع ما بقي من مذاكيره.

* * *

قطعوا ذكره ووضعوه في فمه

ذكر ابن الأثير: أنه في السنة ٥٤٢ توفي صاحب قابس، فاستولى على البلد مولى له اسمه يوسف، وكاتب رجار الصقلي وأطاعه وسيّر له رجار خلعة وعهداً، فحاصر صاحب إفريقية قابس، وثار أهل البلدة بيوسف، وتسلم الحسن البلد وأخذ يوسف أسيراً فعذب أنواع العذاب وقطعوا ذكره وجعلوه في فمه.

* * *

الصاحب شمس الدين بن موسى يعذب عصرًا

جاء في النجوم الزاهرة: أن الصاحب شمس الدين بن موسى توفي سنة ٧٧١، وكان قد عُصِرَ وعُذِّبَ بأنواع العذاب، وضربه والي القاهرة أول مرة مائتي سوط وسعطه بالماء والملح والخل والجير، وعقد له المقرعة، حتى كانت إذا نزلت على جنبه أحدثت فيه ثقباً، وكان بعد المعاقبة يرمى عرياناً في الشتاء على البلاط، فيتمرغ عليه وهو لا يعي، ثم عصروه في كعبه وأصداعه، وقيل إنه أحصى مقدار ما ضرب فكان ستة عشر ألف سوط.

وقد ضرب مرة فسقط من ظهره قطعة لحم بقدر الرغبة، ومن أعجب العجب أن هذا الرجل، كان قبل العذاب مريضاً ضعيف البنية، نحيف البدن، قليل الأكل، مصاباً بالربو وضيق النفس، وكانت الحمى تلازمه، يلبس الفراء صيفاً وشتاءً، فلما عُذِّبَ هذا العذاب وأُطلق تعافى من جميع أمراضه وصار صحيح البدن.

* * *

المهتدي العباسي يُقتل بعصر خصيته

روى ابن الأثير: أن النزاع اشتد بين المهتدي وبين الأتراك، وحاول المهتدي أن يتقرب إلى قلوب العامة، فبنى قبة للمظالم وجلس فيها للخاص والعام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحرم الشراب، ونهى عن القيان وأظهر العدل، وكان يخطب بالناس ويؤمهم في أيام الجمع. فشغب عليه الأتراك فخرج إليهم بالسلاح معلقاً في عنقه مصحفاً واستنفر العامة وأباحهم دماء الأتراك وأموالهم ونهب منازلهم، فحاربه الأتراك وانتصروا عليه.

وقبضوا عليه فداؤوا خصيته وضعفوه حتى مات، وأشهدوا على موته أنه سليم البنية ليس به أثر.

* * *

هشام بن عبد الملك يقلع أضراس عمارة الكلبي

أقيمت وليمة قرشية حضرها هشام بن عبد الملك حين كان أميراً، ووجه يدعى عمارة الكلبي. واقتضى ترتيب الوليمة أن يجلس عمارة فوق هشام، فاستكثرها منه وآلى على نفسه أن يعاقبه متى أفضت إليه الخلافة.

فلما استخلف أمر أن يؤتى به وتُقلع أضراسه وأظفار يديه، ففعلوا به ذلك.

وكان يقول فيما يندب نفسه:

عذبوني بعذاب	قلعوا جوهر راسي
ثم زادوني عذاباً	نزعوا مني طساسي
بالمدي حزز لحمي	وبأطراف المواسي

(راجع أمالي القاضي)

* * *

قائد المماليك يأمر بقلع أضراس الأجدر

في سنة ١٢١٧ حصلت معركة بين المماليك الذين في الصعيد، وجماعة من الجيش العثماني، وكانت الدائرة على الجيش العثماني، فقتل أكثر الجماعة، وأسر رئيسها واسمه الأجدر، وكان موصوفاً بالشجاعة والإقدام، فأحضر أمام الأمير الألفي، رأس المماليك، فقال له: لأي شيء سموك الأجدر؟

فقال: الأجدر معناه الأفعى العظيمة.

فقال له: يحتاج إلى تطريمك وإخراج سُمك. وأمر به فقلعت أسنانه ثم

قتلوه.

* * *

المطيع يجذع أنف محمد بن عبد الله

روى ابن الأثير ٨: ٥٨٤: أنه في السنة ٣٥٧ ظهر ببغداد رجل يأمر بالمعروف

وينهى عن المنكر، ويجدد ما عفا من أمور الدين، فبايعه قوم وسمي نفسه محمد بن

عبد الله . يدّعي تارةً إنه علوي ، وتارةً إنه عبّاسي ، فأخذ ومعه أخ له ، فأسلمهما
بختيار إلى الخليفة المطيع ، فجدع أنفه ثم قتله .

أما في الوافي بالوفيات ٣: ٣١٣ ، فجاء : في السنة ٣٥٧ قبض عزّ الدولة
بختيار على أبي الحسين محمد بن الخليفة عبد الله المستكفي بن علي المكتفي
العباسي ، وأنفذه إلى دار الخلافة ، فجدع أنفه وقطعت شفّتيه العليا وشحمتا أذنيه ،
وحُبس في دار الخلافة ، وكان معه أخوه علي ، وكان أبو الحسن هذا قد هرب من
بغداد لما خلع أبوه المستكفي وسملت عيناه ثم عاد في السنة ٣٥٧ إلى بغداد سرّاً
وطلب الخلافة ، وادّعى أن أباه كان قد نصّبه وليّاً لعهد فبايعه جماعة من الديلم
وخلق من أهل بغداد ، منهم أبو القاسم إسماعيل بن محمد المعروف بزنجي ،
وترتّب له وزيراً ، وتلقب المستجير بالله ، فأخذه بختيار وأنفذه إلى دار الخليفة حيث
جدع أنفه وقطعت شفّته وشحمتا أذنيه .

* * *

فخر الدولة يجدع أنف وزيره

جاء في وفيات الأعيان ٥: ١١١ : أن فخر الدولة بن ركن الدولة البويهّي قبض
على وزيره أبي الفتح بن العميد ، واجتاح ماله وسمل عينه الواحدة وقطع أنفه وجزّ
لحيته وقطع يديه ، وما زال يعرضه على ألوان العذاب حتى تلف .

* * *

قلع عينيه وأسنانه وجدع أنفه

في سنة ١٢٠٢ قتل حمزة كاشف ، المعروف بالدوديدار ، رجلاً نصرانياً رومياً
صائغاً ، اتّهمه مع زوجته ، فقبض عليه ، وعذّبه أياماً ، ومن جملة ما عذّبه به ، أن
قلع عينيه وأسنانه وجدع أنفه وقطع شفّتيه وأطرافه حتى مات .

(انظر معجم الأدباء ٧: ٣٠١ ، انظر الجبرتي ٢: ٥٣٨ ، انظر الجبرتي ٢: ٥٢)

* * *

نتف لحية يوسف بن عمر

روى الطبري (٢٧٤:٧)، قال:

لما قتل الوليد بن يزيد، وتولى يزيد بن الوليد، ولّى منصور بن جمهور العراق، ففرّ يوسف بن عمر إلى الشام، واستتر، فقبض عليه وقد لبس لبسة النساء وجلس بين نسائه وبناته، فجرّوا برجله، وנתفوا قسماً من لحيته، وكان من أعظم الناس لحية، وأقصرهم قامة، وحبس في السجن مع الحكم وعثمان بن الوليد، فلما مات يزيد وولي إبراهيم وانتقض أمره، دخل يزيد بن خالد القسري السجن، فأخرج يوسف بن عمر وقتله.

* * *

مسلم بن عقبة يأمر بتنف لحية عمرو بن عثمان

روى الطبري وابن الأثير، أنه لما استباح يزيد بن معاوية المدينة في وقعة الحرّة، وقتل ونهب وسبى وانتهك الحرمات، أحضر قائد الجيش وهو مسلم بن عقبة المرمي، عمرو بن عثمان بن عفّان، وقال: يا أهل الشام، هل تعرفون هذا؟ هذا الخبيث بن الطيّب، هيه يا عمرو... إذا ظهر أهل المدينة قلت: أنا رجل منكم.

وإن ظهر أهل الشام، قلت: أنا ابن أمير المؤمنين عثمان. ثم أمر به فنتفت لحيته حتى ما تركت فيها شعرة.

* * *

بعض من عُذّب بالتدخين ومات

● منهم الأفيشر الشاعر، فإنه هجا قيس بن محمد بن الأشعث الكندي، فأمسك به موالي قيس ودخنوا عليه حتى مات.

(راجع أسماء المغتالين ٢٤٩)

● ومنهم العالم النيسابوري علي بن الحسن الهلالي، فقد قتله عامل نيسابور

سنة ٢٦٧، فأدخله بيتاً وأوقد فيه النار في التبن، فمات من الدخان.

(المنتظم ٥: ٦٠)

● وفي سنة ٥٧٣، قتل الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين زنكي، كمشتكين الخادم، بأن علّقه منكساً، ودُخِّن تحت أنفه حتى مات.

(النجوم الزاهرة ٦: ٨١)

● ومنهم محمد بن غالب الأصبهاني المعداني الكاتب، فقد قتله القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي، لأنه ترشَّح للوزارة، فقد ذكر الصفدي أن القاسم أخرجه إلى أصبهان وكتب إلى المسمعي بإهلاكه، فأحضره مائدته وأطعمه سمكاً مالحاً، ثم أدخله بيتاً وأغلقه، فهلك بالجوع والتدخين.

(الوافي بالوفيات ٤: ٣٠٨)

* * *

مجد الملك اليزدي يُسلخ ويؤكل

في تاريخ العراق للغزالي، أنه في السنة ٦٨١، قَتَلَ الصاحبُ علاء الدين الجويني صاحب الديوان بالعراق مجد الملك اليزدي، تولَّى قتله شرف الدين هارون بن شمس الدين أخي علاء الدين، وحُملت أطرافه إلى البلاد وسلخ رأسه وحُمل إلى بغداد، وشوى الخربندية لحمه وأكلوه وشربوا الخمر في قحف رأسه.

* * *

الحسن بن نصر يُسلخ وتأكله عبيد المنصور

قال ابن الأثير:

بعث العزيز الفاطمي بمصر إلى كتامة بالمغرب داعياً يقال له: أبو الفهم الحسن بن نصر، يدعوهم إلى طاعته، ويطلب أن تميل كتامة إليه، وترسل إليه جنداً يقاتلون المنصور الصنهاجي المستولي على أفريقية، فدعاهم أبو الفهم وكثر من تبعه منهم، فعزم المنصور على قصده، فكتب العزيز إلى المنصور يحذره من ذلك، فلم يستمع المنصور، وتجهَّز لحرب كتامة وقتلهم، فهزم، وهرب أبو الفهم

إلى جبل وعر، والتجأ إلى قوم من كتامة يقال لهم: بنو إبراهيم، فأرسل إليهم المنصور يهددهم، فقالوا:

لا نسلّم ضيفنا، فأرسل، فأخذه قسراً، وضربه ضرباً شديداً، ثم قتله وسلخه وأكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه.

* * *

سلخ جلد أبي نخيلة الراجز

من ألوان العذاب، سلخ الجلد، وممن سلخ جلده أبو نخيلة الراجز، فقد دسّ إليه المنصور العباسي، أن ينظم شعراً في تقديم المهدي لولاية عهده، وتنحية عيسى بن موسى، فنظم رجزاً، ودخل على المنصور وعيسى بن موسى حاضراً، فأنشده:

دونك عبد الله أهل ذاكا	خلافة الله التي أعطاك
إنّا تنظرنا لها أباك	ثم انتظرنا بعده إياك
أسند إلى محمد عصاك	فابنك ما استرعيتك كفاك

ثم أنشده رجزاً آخر منه:

ليس ولي عهدها بالأسعد	عيسى فزحلقتها إلى محمد
فقد رضينا بالهمام الأمرد	فردّه منك رداء يرتدي
وبادر البيعة وردّ الحشد	حتى تؤدّي من يد إلى يد

فلما أنشدها المنصور، سرّ وفرح، وكتب لأبي نخيلة بمائة ألف درهم على الرّي، فخرج إلى الرّي لأخذها، فوجّه إليه عيسى بن موسى مولى له اسمه قطري، فظفر به بسامرة، ودخل عليه وهو في بيت خمار وقد ثمل، وقال له: وقد أضجعه ليذبّه: يا ابن المومسة، هذا أوان ضرب الجندب، ثم ذبحه وسلخ وجهه، وهرب غلمان به بماله ودوابه.

* * *

الخليفة الحافظ الفاطمي يسمّر يديّ كاتبه

كان في القاهرة موضع يعرف بالسقيفة، يقف عنده المتظلمون ويصيحون: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عليّ ولي الله، فيسمعه الخليفة ويأمر بإحضاره أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضي.

وحدث أن وقف تحت السقيفة صاحب معديّة في إحدى النواحي، وشكا إلى الخليفة أحد الكتّاب زور عليه خراجاً لعداوة بينهما. وتأيدت شكوى المتظلم، فأمر الخليفة الحافظ الفاطمي بالكاتب، فسمّر يديه في مركب وأقام له من يطعمه ويسقيه وأن يطاف به سائر الأعمال وينادى عليه ففعل ذلك.

(راجع خطط المقرئ ٤٠٥:١)

* * *

تعذيب خالد القسري بالمضرسّة

المضرسّة آلة تعذيب فيها نتوءات تشبه الأضراس. وقد قتل يوسف بن عمر، خالد بن عبد الله القسري، بأن نقله من الشام إلى العراق، لابساً عباءة على محمل ليس تحته وطاء، ثم وضع المضرسّة على صدره فقتله، وكان ذلك في السنة ١٢٦، فإن الوليد بن يزيد لما استخلف أمر بحمل خالد إليه وكان لا يطيق المشي، وإنما يحمل في كرسي، فلما حمل إليه، أمره بالكشف عن موضع ولده يزيد وتهنّده، فغضب خالد وقال له: إنه لو كان تحت قدمي ما رفعتهما، فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه، بأن يسط عليه العذاب وقال له: أسمعني صوته، فعذّبه غيلان بالسلاسل ثم حبسه عنده حتى قدم يوسف بن عمر من العراق، وكان يحقق على خالد، فاشتراه من الوليد بخمسين ألف درهم، فدفعه إلى يوسف، فنزع يوسف عنه ثيابه، ودرّعه عباءة وألحفه بأخرى، وحمله على محمل بغير وطاء، وزميله أبو قحافة المريّ ابن أخي الوليد بن تليد، وكان عاملاً لهشام على الموصل، وبدأ يوسف يعذّب خالداً وهو في طريقه إلى العراق، ولما قدم يوسف الحيرة، بسط العذاب على خالد، بأن أمر بعود، فوضع على قدميه، ثم قامت عليه الرجال

حتى كسرت قدماه، ثم على ساقيه حتى كسرتا، ثم على حقويه، ثم وضع
المضرسة على صدره، فقتله.

(الطبري ٢٥٩:٧)

* * *

حبس محمد بن عبد الملك الزيات في تنور

في سنة ٢٣٣، حبس المتوكل وزيره محمد بن عبد الملك الزيات في تنور،
وكان يحقد عليه تصرفات عامله بها قبل الخلافة، فلما استخلف أقره على الوزارة
حيناً، ثم أصدر أمره باعتقاله سراً إلى إيتاخ، فلما بعث إليه إيتاخ ظن أن الخليفة
دعا به، فركب بعد غدائه مبادراً، فلما حاذى منزل إيتاخ، قيل له: أعدل إلى منزل
أبي منصور، فعدل وأوجس في نفسه خيفة، فلما جاء إلى الموضع الذي ينزل منه
إلى إيتاخ، عدل به يمنة، فأحس بالشر، ثم أدخل حجرة وأخذ سيفه ومنطقته
وقلنسوته ودراعه، فدفعت إلى غلمانهم وقيل لهم انصرفوا، فانصرفوا، لا يشكون أنه
مقيم عند إيتاخ ليشرب النبيذ، وفي ذلك اليوم صودر ما في بيته وضبطت أمواله
وأملكه، ثم أمر إيتاخ بتقييده، فقيّد، وامتنع من الطعام، وكان لا يذوق شيئاً، وكان
شديد الجزع في حبسه كثير البكاء، قليل الكلام كثير التفكر.

ثمكث أياماً، ثم سُهر ومُنِع من النوم، ثم ترك يوماً وليلة، فنام وانتبه،
فاشتهى فاكهة وعنباً، فأكل ثم أعيد إلى المساهرة. ثم أمر بتنور من خشب فيه
مسامير من حديد قيام، كان هو قد أمر بعمله، وعذّب به ابن أسباط المصري،
فابتلي هو وعذّب به.

وذكر الموكل بعذابه، قال: كنت أخرج وأقفل الباب عليه، فيمدُّ يديه إلى
السماء جميعاً، حتى يديق موضع كتفه ثم يدخل التنور، فيجلس والتنور فيه مسامير
حديد، وفي وسطه خشبة معترضة، يجلس عليها المعذّب إذا أراد أن يستريح،
فيجلس على الخشبة ساعة، ثم يجيء الموكل به، فإذا هو سمع صوت الباب
يفتح، قام قائماً كما كان، قال المعذّب: ثم خاتلته يوماً وأريته أنني أقفلت الباب
ولم أقفله إنما أغلقته بالغلق، ثم مكث قليلاً ودفع الباب على غفلة، فإذا هو

قاعد في التنور على الخشبة، فقلت له: أراك تعمل هنا العمل كلَّما خرجت، فكنت إذا خرجتُ بعد ذلك، شددتُ خناقَه، فكان لا يقدر على القعود، واستللت الخشبة حتى كانت تكون بين رجليه، فما مكث بعد ذلك إلَّا أياماً، ثم مات.

* * *

عبد الله بن المقفَّع تقطع أوصاله

أمر سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب، عامل البصرة للمنصور العباسي، أمر بابن المقفَّع، فقطَّعت أوصاله عضواً عضواً وألقاها في تنور وهو ينظر حتى أتى على جميع جسده، وكان أمره بذلك المنصور العباسي، والسبب أنه كتب كتاب الأمان لعبد الله بن علي، عمَّ المنصور، لما لجأ عبد الله إلى أخويه عيسى وسليمان بالبصرة، وكان ابن المقفَّع يكتب لهما، فكان من جملة ما أثبتته في الأمان:

ومتى غدر أمير المؤمنين بعَمِّه عبد الله، أو أبطن غير ما أظهر، أو تأوَّل في شيء من شروط هذا الأمان، فنساؤه طوالق، ودوابه حبس، وعبيده وإماؤه أحرار والمسلمون في حلٍّ من بيعته.

فاشتدَّ ذلك على المنصور، لمَّا وقف عليه وسأل: من الذي كتب الأمان؟

ف قيل له: عبد الله بن المقفَّع كاتب عمِّيك عيسى وسليمان، فكتب المنصور إلى عامله بالبصرة سفيان بن عيينة يأمره بقتله، وكان سفيان واجداً على ابن المقفَّع، لأنه كان يعبث به، ويضحك منه دائماً، معتمداً، على صلته بعَمِّي الخليفة.

وكان ابن المقفَّع قد عبث به مرَّة، فغضب منه وافترى عليه، فردَّ عليه ابن المقفَّع رداً فاحشاً، وقال له: يا ابن المغتلمة، فلم يتمكن منه سفيان، لأنه كان ممتنعاً بعيسى وسليمان ولديَّ علي العباسيين، عمِّي المنصور.

فلما كاتبه المنصور في أمره، عزم على قتله واستأذن عليه جماعة من أهل البصرة، فأذن لابن المقفَّع قبلهم، وعدل به إلى حجرة في دهليزه، وجلس غلامه بدايته ينتظره على باب سفيان، فأدخل ابن المقفَّع الحجرة، وسفيان ينتظره فيها، وعنده غلمانُه، وتنور نار يسجر، فقال له سفيان: أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتلة

لم يقتلها أحد. ثم قطع أعضائه عضواً عضواً وألقاها في النار وهو ينظر إليها، حتى أتى على جميع جسده وأطبق التنور عليه وخرج إلى الناس، فلما فرغ مجلس سفيان ولم يخرج ابن المقفّع مضى غلامه وأخبر عيسى وأخاه سليمان بحال سيّده، فخاصما سفيان، فوجد دخوله إليه وشكياه إلى المنصور، فتراخى في مسألته وضاع دمه.

* * *

أخو رافع بن الليث يقطع أشلاء

كان رافع بن الليث بن نصر بن سيّار قد خرج على الرشيد ولبس البياض وتغلّب على بلاد ما وراء النهر، وذلك في سنة ١٩٠ هـ. وحاربه عامل خراسان علي بن عيسى بن ماهان، فكان الظفر لرافع، فخرج إليه الرشيد في سنة ١٩٣ هـ، فلما بلغ طوس اشتدّ به المرض، وأدخل عليه أخو رافع أسيراً ومعه آخر من قرابته، فدعا الرشيد بقصّاب، وقال له: لا تشحذ مديتك، وفصّله عضواً عضواً، وعجل لثلاً يحضرني أجلي وعضو من أعضائه في جسده.

ففصّله ثم جعله أشلاء، فقال له: عدّ ما فصّلت منه، فإذا هو أربعة عشر عضواً.

* * *

خمار يقطع إرباً

جاء في تجارب الأمم، أنه في السنة ٣٦١، اجتمع عوام بغداد على صاحب شرطة بختيار، واسمه خمار، فحملوا عليه وقتلوه خفّفاً بالسيوف، وفصّلوا جثته إرباً حتى أخذ كبده بعض السفهاء، وقلبه آخر، وكل جراحة منه، وجدت في يد سفيه، ثم أحرقوا باقي جثته بالنار.

* * *

إخراج الروح من طريق آخر

عقيدة خروج الروح من الفم عند الموت أوحى للمعتضد بأشكال من القتل، أراد بها إخراج روح المقتول من غير طريق الفم.

قال المسعودي في مروج الذهب: إن المعتضد كان شديد الرغبة في أن يمثل بمن قتله، وذكر من وسائل ذلك:

أنه إذا غضب على القائد النبيل أو الذي يختصه من غلمان، أمر أن تحفر له حفيرة، ثم يدلى رأسه فيها ويطرح التراب عليه، ويبقى نصفه الأسفل ظاهراً فوق التراب. ثم يداس التراب بالأرجل حتى تخرج روحه من دبره، بعد أن تكون قد سدَّت كل المنافذ التي يمكن أن تخرج بواسطتها من فمه.

أو أن يأخذ الرجل، ويؤخذ القطن فيحشى في أذنيه وخيشومه وفمه. ثم توضع منافخ في دبره حتى ينتفخ ويتضخم جسده، ثم يسدّ الدبر بشيء من القطن. ويعدها يُفصد من العرمتين فوق حاجبيه، ثم تخرج الروح من ذلك الموضع.

* * *

شدة الجوع حملها على أكل الصبي

جاء في المنتظم (٦: ٣٤٤)، أنه في السنة ٣٣٤، قبض على امرأة قبضت على صبي وشوته في التنور وهو حي، وأكلت بعضه، وأقرت بذلك. وذكرت أن شدة الجوع حملها على ذلك فحبست، ثم أخرجت وضربت عنقها،

ووجدت امرأة أخرى قد أخذت صبيّة، فشقتها نصفين، وطبخت نصفها سكباجاً، والنصف الآخر بماء وملح. فدخل الديلم وذبحوها.

ثم وجدت ثلاثة قد شوت صبيّاً وأكلت بعضه، فقتلت.

* * *

روح إسماعيل بن بليل تخرج بالضراط

ذكر التنوخي في كتابه نشوار المحاضرة (١: ١٥١)، أن المعتضد عذب وزيره إسماعيل بن بليل، بأن اتخذ له تغاراً كبيراً وملئ إسفيداجاً حياً وبله، ثم جعل بالعجل رأس إسماعيل فيه إلى آخر عنقه، وشيء من صدره، وأمسك حتى جمد الإسفيداج، فلم تزل روحه تخرج بالضراط حتى مات.

● وذكر المسعودي في مروج الذهب (٢: ٥٠٧)، أن المعتضد أمر برجل، فسُدَّ أنفه بالقطن سداً محكماً، وكذلك فمه، وعينه، وأذنيه، وذكره، ومنخره، وسوءته، ثم كَتَفَ، فلم يزل ينتفخ ويزيد إلى أن طار قحف رأسه، ومات.

* * *

جارية الأمين تُطرح للسباع

ذكر السيوطي في كتابه نزهة المجالس ص ١٢٢، أن الأمين أمر بجارية من جواريه فطُرحت للسباع، ففُصِّلَت عضواً عضواً، وخلاصة القصة أن إبراهيم بن المهدي اشترى جارية بارعة الحسن، كاملة الصفات، بعشرة آلاف دينار، وحملها إلى زبيدة، فعوضته عنها ثلاثين ألف دينار، وبلغ الأمين خبرها، فأمر بإحضارها واختبرها، فأعجب بها، وبسطها فانبسطت، وكادت بحري الخادم، وكان أثيراً عند الأمين، ففُصِّلَها عضواً عضواً.

* * *

اشترى لنفسه القتل بعشرة آلاف درهم

كان بلال بن أبي بردة سجيناً في سجن يوسف بن عمر الثقفي، وكان كل من مات في السجن رفع السجن خبره إلى يوسف، فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله. فقال بلال للسجان: خذ مني عشرة آلاف درهم، واخرج اسمي في الموتى، فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض، فلم يعرف أحد خبري. فأخذ السجان المال ورفع اسمه في الموتى، فقال يوسف: مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه، هاته. فعاد إلى بلال، فقال: أعهد. قال: وما الخبر؟

قال: إن الأمير قال كيت وكيت، فإن لم أحضره إليه ميتاً قتلني، ولا بد من قتلك خنقاً. فبكى بلال وسأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق. فأوصى

وصلّى، فأخذه السجّان وخنقه وأخرجه إلى الأمير ميتاً. فلما رآه، أمر بأن تسلّم جثته إلى أهله، فأخذوه، وهكذا اشترى لنفسه القتل بعشرة آلاف درهم.
(المكافأة ١١٥؛ نشوار المحاضرة)

* * *

فيروز بن حصين يعذب بالقصب

كان فيروز بن حصين من قادة انتفاضة ابن الأشعث ضد الحجاج في العراق. وقد أُسر بعد فشل الانتفاضة، وكان تحت يديه أموال طائلة يعود بعضها للحركة. ولاستحصال الأموال منه أمر الحجاج بتعذيبه، فعزّي من ملابسه ولّفوه بقصب مشقوق، ثم أخذوا يجرون القصب فوق جسده.

ولزيادة إيلاّمه كانوا يذرون الملح ويصبّون الخلّ على الجروح التي يسببها القصب. وبعد أن يش الحجاج من اعترافه بالأموال قطع رأسه.

* * *

كيف كان تيمورلنك يعذب الناس؟

كان من جملة ألوان العذاب التي عذب بها زبانية تيمورلنك الناس في دمشق، أنهم كانوا يشدّون يدي الرجل إلى ظهره، ثم يربطون في عنقه حبلاً، ويلوونه لياً عنيماً، ثم يُلقي على ظهره ويغمّ بخرقه فيها رماد سخن، أو بخرقه فيها تراب ناعم، فكلّما تنفّس المعذب تخلّل التراب خياشيمه حتى إذا كادت نفسه أن تزهد، خلّي عنه حتى يستريح، ثم يُعاد تعذيبه.

(راجع النجوم الزاهرة ١٢: ٢٤٤)

* * *

خالد بن عبد الله القسري يُعصر عصراً

روى ابن خلّكان، قال:

ممنّ عذب بالعصر، خالد بن عبد الله القسري أمير العراقيين، عذب به خلفه

يوسف بن عمر الثقفي ، فقد وضع قدميه بين خشبتين وعصرهما حتى انقصفا ، ثم رفع الخشبة إلى ساقيه وعصرهما حتى انقصفا ، ثم إلى وركيه ، ثم إلى صلبه ، فلما انقصف صلبه مات .

(راجع وفيات الأعيان ٢ : ٢٢٩)

* * *

الأمير أقوش الأفرم يبيع دماء أهالي كسروان

جاء في خطط الشام ، أنه في سنة ٧٠٦ ، حصل الأمير أقوش الأفرم نائب دمشق على فتوى من بعض الفقهاء ، بإباحة دماء وأموال أهالي كسروان من لبنان ، وجند لهم خمسين ألفاً ، وواقعهم عند صوفر ، فهرب أمراؤهم بحرهم وأولادهم ، ونحو ثلاث مائة نفس من رجالهم ، واجتمعوا في غار تية فوق انطلياس ، فلم يتمكن منهم أحد وهم داخل الغار ، وبذل لهم الأمان فلم يخرجوا ، فأمر نائب دمشق فبني على باب الغاز سدً من الحجر والكلس والكلس وهالوا عليه تلاً من التراب ، وجعلوا الأمير قطلوبك حارساً عليهم مدة أربعين يوماً حتى هلكوا داخل الغار .

الفصل الثالث

في أخبار المقطعي الرؤوس

(من الكامل في التاريخ لابن الأثير)

إبراهيم بن الأشتر

عندما قُتل عمرو بن سعيد بن العاص، وضعَّ عبدُ الملك بن مروان السيف، فقتل مَنْ خالفه، فصفا له الشام. فلَمَّا لم يبقَ له مخالف فيه أجمع المسير إلى مصعب بن الزبير بالعراق، فاستشار أصحابه في ذلك، فقال بعضهم: إن العام جَدب، وقد غزوت سنتين فلم تظفر، فأقم عامك هذا. فقال عبد الملك: الشام بلدٌ قليل المال ولا آمن نفاذه، وقد كتب كثير من أشراف العراق يدعونني إليهم. وقال أخوه محمد بن مروان: الرأي أن تطلب حقك وتسير إلى العراق، فإني أرجو أن الله ينصرك. وقال بعضهم: الرأي أن تقيم وتبعث بعض أهلك، وتمدَّه بالجنود. فقال عبد الملك: إنَّه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشيٌّ له رأي، ولعلي أبعث من له شجاعة ولا رأي له، وإني بصير بالحرب شجاع بالسيف إن احتجت إليه، ومصعب شجاع من بيت شجاعة، ولكنه لا علم له بالحرب، ومعه من يخالفه، ومعني مَنْ ينصح لي.

وسار عبدُ الملك إلى العراق، فلما بلغ مصعباً مسيره وهو بالبصرة، توجه إلى الكوفة ومعه الأحنف، فتوفي بالكوفة، وأحضر مصعب إبراهيم بن الأشتر، وكان على الموصل والجزيرة، فلما حضر عنده جعله على مقدَّمته، وسار حتى نزل بأجميرى.

وسار عبد الملك على مقدَّمته أخوه محمد بن مروان، فنزل ومن معه بمسكين قريباً من عسكر مصعب، بين العسكرين ثلاثة فراسخ، وكتب عبد الملك إلى أهل العراق مَنْ كاتبه ومن لم يكاتبه، وبذل لجميعهم أصبهان طعمةً، وقيل: إن كلَّ مَنْ كاتبه طلب منه إمرة أصبهان، فقال: أي شيء هذه أصبهان حتى كلَّهم يطلبها!

فكلُّ منهم أخفى كتابه إلّا إبراهيم بن الأشتر، فإنه أحضر كتابه عند مصعب مختوماً، فقرأه مصعب، فإذا هو يدعو إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق، فقال له مصعب: أتدري ما فيه؟ قال: لا قال: يعرض عليك كذا وكذا، وأن هذا لما يُرغب فيه. فقال إبراهيم: ما كنت لأتقلّد الغدر والخيانة، والله ما عند عبد الملك من أحد من الناس بأياأس منه مني، ولقد كتب إلى أصحابك كلّهم مثل الذي كتبت إليّ، فأطعني واضرب أعناقهم. قال: إذا لا يناصرني عشائريهم. قال: فأوقرهم حديداً وابعث بهم إلى أبيض كسرى، واحبسهم هناك، ووكل بهم من إن غلبت وتفرقت عشائريهم عنك ضرب رقابهم، وإن ظهرت مننت على عشائريهم بإطلاقهم. فقال: إنني لفي شغل عن ذلك، فرحم الله أبا بحر، يعني الأحنف بن قيس، إن كان ليحذرنى غدر أهل العراق، ويقول: كالمومسة تريد كلّ يوم بعلاً، وهم يريدون كل يوم أميراً.

فلما رأى قيسُ بن الهيثم ما عزم أهل العراق عليه من الغدر لمصعب، قال لهم: ويحكم! لا تدخلوا أهل الشام عليكم! فوالله لئن يطعموا بعيشكم ليضيّقن عليكم منازلكم، والله لقد رأيتُ سيّد أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة، ولقد رأيتنا في الصوائف، وإن زاد أحدنا على عدّة أجمال، وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه.

فلم يسمعوا منه، فلما تدانى العسكران أرسل عبدُ الملك إلى مصعب رجلاً من كلب، وقال له: أقرىء ابن أختك السلام، وكانت أم مصعب كلبية، وقل له يدع دعاءه إلى أخيه وأدع دعائي إلى نفسي، ويجعل الأمر شوري. فقال له مصعب: قل له السيف بيننا.

فقدّم عبد الملك أخاه محمداً، وقدّم مصعب إبراهيم بن الأشتر، فالتقيا، فتناوش الفريقان، فقتل صاحب لواء محمّد، وجعل مصعب يمدّ إبراهيم، فأزال محمداً عن موقفه، فوجّه عبد الملك عبد الله بن يزيد إلى أخيه محمّد، فاشتدّ القتال، فقتل مسلم بن عمرو الباهلي والدقتية، وهو من أصحاب مصعب، وأمدّ مصعبُ إبراهيم بعتاب بن ورقاء، فساء ذلك إبراهيم، وقال: قد قلت له، لا تمدّني

بعثاب وضربائه، وإنا لله وإنا إليه راجعون! فانهزم عتاب بالناس، وكان قد كاتب عبد الملك وبايعه، فلما انهزم صبر ابن الأشتر فقتل، قتله عبيد بن مسرة، مولى بني عذرة، وحمل رأسه إلى عبد الملك.

* * *

إبراهيم بن عبد الله بن الحسن

في سنة خمس وأربعين ومائة، كان ظهور إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو أخو محمد، وكان قبل ظهوره قد طلب أشد الطلب، فحكّت جارية له أنه لم تقرهم أرض خمس سنين، مرة بفارس، ومرة بكرمان، ومرة بالجبل، ومرة بالحجاز، ومرة باليمن، ومرة بالشام، ثم إنه قدم الموصل وقدمها المنصور في طلبه، فحكى إبراهيم، قال: اضطرني الطلب بالموصل حتى جلست على مائدة المنصور، ثم خرجت وقد كفّ الطلب؛ وكان قوم من أهل العسكر يتشيّعون، فكتبوا إلى إبراهيم يسألونه القدوم إليهم ليشبوا بالمنصور، فقدم عسكر أبي جعفر وهو ببغداد وقد خطّها، وكانت له امرأة ينظر فيها، فيرى عدوّه من صديقه، فنظر فيها، فقال: يا مسيّب قد رأيت إبراهيم في عسكري، وما في الأرض أعدى لي منه، فانظر أي رجل يكون. ثم إن إبراهيم قدم البصرة، فقبل: قدمها سنة خمس وأربعين، بعد ظهور أخيه محمّد بالمدينة، وقيل قدمها سنة ثلاث وأربعين ومائة، وكان الذي أقدمه وتولّى كراه، في قول بعضهم، يحيى بن زياد بن حيّان النبطي، وأنزله في داره في بني ليث، وقيل: نزل في دار أبي فروة، ودعا الناس إلى بيعة أخيه؛ وكان أول من بايعه نُميلة بن مرة العبّسي، وعفو الله بن سفيان، وعبد الواحد بن زياد، وعمرو بن سلمة الهجيمي، وعبد الله بن يحيى بن حصّين الرقاشي، وندبوا الناس، فأجابهم المغيرة بن الفرع وأشباهه، وأجابه أيضاً عيسى بن يونس، ومُعاذ بن مُعاذ، وعَبّاد بن العوّام، وإسحاق بن يوسف الأزرق، ومعاوية بن هشيم بن بشير، وجماعة كثيرة من الفقهاء وأهل العلم، حتى أحصى ديوانه أربعة آلاف، وشهر أمره، فقالوا له: لو تحوّلت إلى وسط البصرة، أذاك الناس وهم مستريحون. فتحول، فنزل في دار أبي مروان مولى بني سُليم في مقبرة

بني يشكر، وكان سفيان بن معاوية قد مالاً على أمره.

ولما ظهر أخوه محمد، كتب إليه يأمره بالظهور، فوجم لذلك واغتم، فجعل بعض أصحابه يسهّل عليه ذلك، وقال له: قد اجتمع لك أمرك فتخرج إلى السجن فترة من الليل، وقد اجتمع لك عالم من الناس. وطابت نفسه، وكان المنصور بظاهر الكوفة، في قلّة من العساكر، وقد أرسل ثلاثة من القوّاد إلى سفيان بن معاوية بالبصرة مدداً له ليكونوا عوناً له على إبراهيم إن ظهر.

فلما أراد إبراهيم الظهور، أرسل إلى سفيان فأعلمه، فجمع القوّاد عنده، وظهر إبراهيم أوّل شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة، فغنم دوابّ أولئك الجند، وصلى بالناس الصبح في الجامع، وقصد دار الإمارة وبها سفيان متحصّناً في جماعة فحصره، وطلب سفيان منه الأمان، فأمنه إبراهيم ودخل الدار، ففرشوا له حصيراً، فهبّت الرياح، فقلّبت قبل أن يجلس، فتطير الناس بذلك، فقال إبراهيم: إنّنا لا نتطير. وجلس عليه مقلوباً، وحبس القوّاد، وحبس أيضاً سفيان بن معاوية في القصر، وقيد بغير خفيّ ليعلم المنصور أنّه محبوس.

وبلغ جعفرًا ومحمدًا ابني سليمان بن عليّ ظهور إبراهيم، فأتيا في ستّائة رجل، فأرسل إليهما إبراهيم المضاء بن القاسم الجزريّ في خمسين رجلاً، فهزمهما، ونادى منادي إبراهيم: لا يتبع مهزوم ولا يُدْفَق على جريح.

ومضى إبراهيم بنفسه إلى باب زينب بنت سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس، وإليها يُنسب الزينبيّون من العبّاسيّين، فنادى بالأمان وأن لا يعرض لهم أحد، فصفت له البصرة، ووجد في بيت مالها ألفي ألف درهم، فقوي بذلك وفرض لأصحابه لكلّ رجل خمسين خمسين.

فلما استقرّت له البصرة أرسل المغيرة إلى الأهواز، فبلغها في مائتي رجل، وكان بها محمد بن الحُصين عاملاً للمنصور، فخرج إليه في أربعة آلاف فالتقوا، فانهزم ابن الحُصين، ودخل المغيرة الأهواز، وقيل: إنّما وجّه المغيرة بعد مسيره إلى باخمرى، وسير إبراهيم إلى فارس عمرو بن شدّاد، فقدمها وبها إسماعيل

وعبد الصمد ابنا عليّ بن عبد الله بن عباس، فبلغهما دُنُو عمرو وهما باصطخر، فقصدا دار بجرد، فتحصّنا بها، فصارت فارس في يد عمرو، وأرسل إبراهيم مروان بن سعيد العجّليّ في سبعة عشر ألفاً إلى واسط، وبها هارون بن حميد الإياديّ من قبل المنصور، فملكها العجّليّ، وأرسل المنصور لحربه عامر بن إسماعيل المُسليّ في خمسة آلاف، وقيل: في عشرين ألفاً، فكانت بينهم وقعات ثم تهادنوا على ترك الحرب حتى ينظروا ما يكون من إبراهيم والمنصور. فلما قُتل إبراهيم هرب مروان بن سعيد عنهما، فاختلفى حتى مات.

فلم يزل إبراهيم بالبصرة يفرّق العمّال والجيش حتّى أتاه نعي أخيه قبل عيد الفطر بثلاثة أيّام، فخرج بالناس يوم العيد وفيه الانكسار، فصلى بهم وأخبرهم بقتل محمّد، فازدادوا في قتال المنصور بصيرةً وأصبح من الغد، فعسكر واستخلف على البصرة نُميلة، وخلف ابنه حسناً معه.

ثمّ إن إبراهيم عزم على المسير، فأشار أصحابه البصريّون أن «تقيم وترسل الجنود، فيكون إذا انهزم لك جند أمددتهم بغيرهم، فخيف مكانك واتّقاءك عدوك وجبيت الأموال وثبتّ وطأتك». فقال من عنده من أهل الكوفة: إن بالكوفة أقواماً لورأوك ماتوا دونك، وإن لم يروك قعدت بهم أسباب شتى. فسارعن البصرة إلى الكوفة.

وكان المنصور لمّا بلغه ظهور إبراهيم في قلّة من العسكر، قال: والله ما أدري كيف أصنع! ما في عسكري إلّا ألفا رجل، فرقت جندي: مع المهديّ بالريّ ثلاثون ألفاً، ومع محمّد بن الأشعث بإفريقية أربعون ألفاً، والباقون مع عيسى بن موسى، والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكري ثلاثون ألفاً. ثمّ كتب إلى عيسى بن موسى يأمره بالعود مسرعاً، فاتاه الكتاب وقد أحرم بعمره، فتركها وعاد. وكتب إلى سلّم بن قتيبة، فقدم عليه من الريّ، فقال له المنصور: اعمد إلى إبراهيم ولا يروعنك جمعه، فوالله إنهما جملا بني هاشم المقتولان! فتق بما أقول، وضمّ إليه غيره من القوّاد. وكتب إلى المهديّ يأمره بإفناذ خزيمة بن خازم إلى الأهواز، فسيره في أربعة آلاف فارس، فوصلها وقاتل المغيرة، فرجع المغيرة إلى البصرة، واستباح خزيمة الأهواز ثلاثاً.

وتوالت على المنصور الفتوق من البصرة والأهواز وفارس وواسط والمدائن والسواد، وإلى جانبه أهل الكوفة في مائة ألف مقاتل ينتظرون به صيحة، فلما توالت الأخبار عليه بذلك أنشد:

وجعلت نفسي للرماح دريئةً إن الرئيس لمثل ذاك فعول
ثم وجه المنصور إلى إبراهيم عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفاً، وعلى مقدمته حميد بن قحطبة في ثلاثة آلاف، وقال له لما ودَّعه: إن هؤلاء الخبثاء، يعني المنجمين، يزعمون أنك إذا لاقيت إبراهيم يجول أصحابك جولة حتى تلقاه، ثم يرجعون إليك وتكون العاقبة لك.

وسار إبراهيم عن البصرة، وكان ديوانه قد أحصى مائة ألف، وقيل: كان معه في طريقه عشرة آلاف، وقيل له: في طريقه ليأخذ غير الوجه الذي فيه عيسى ويقصد الكوفة، فإن المنصور لا يقوم له وينضاف أهل الكوفة إليه ولا يبقى للمنصور مرجع دون حُلوان... وسار إبراهيم حتى نزل باخمرى، وهي من الكوفة على ستة عشر فرسخاً، مقابل عيسى بن موسى، فأرسل إليه سلم بن قتيبة: إنك قد أصحرت ومثلك أنفس به عن الموت، فخذق على نفسك حتى لا توتي إلا من مأتي واحد، فإن أنت لم تفعل، فقد أغرى أبوجعفر عسكره، فتخفف في طائفة حتى تأتيه، فتأخذ بعصاه. فدعا إبراهيم أصحابه وعرض عليهم ذلك، فقالوا: نخذق على أنفسنا ونحن الظاهرون عليهم! لا والله لا نفعل. قال: فنأتي أبا جعفر. قالوا: ولم هو في أيدينا متى أردناه؟ فقال إبراهيم للرسول: أسمع؟ فارجع راشداً.

ثم إنهم تصافوا، فصفت إبراهيم أصحابه صفاً واحداً، فاقتتل الناس قتالاً شديداً، وانهزم حميد بن قحطبة، وانهزم الناس معه، فعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة، فلا يلوون عليه. فأقبل حميد منهزماً، فقال له عيسى: الله الله والطاعة! فقال: لا طاعة في الهزيمة! ومر الناس، فلم يبق مع عيسى إلا نفر يسير، فقيل له: لو تنحيت عن مكانك حتى تؤوب إليك الناس فتكرهم. فقال: لا أزول عن مكاني هذا أبداً حتى أقتل أو يفتح الله على يدي، والله لا ينظر أهل بيتي إلى وجهي أبداً وقد انهزمت عن عدوهم! وجعل يقول لمن يمر به: أقرىء أهل بيتي السلام، وقل لهم لم أجد فداً أفديكم به أعز من نفسي وقد بذلتها دونكم!

فبينما هم على ذلك لا يلوي أحدٌ على أحد، إذ أتى جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي من ظهور أصحاب إبراهيم، ولا يشعر باقي أصحابه الذين يتبعون المنهزمين حتى نظر بعضهم، فرأى القتال من ورائهم فعطفوا نحوه، ورجع أصحاب المنصور يتبعونهم، فكانت الهزيمة على أصحاب إبراهيم، فلولا جعفر ومحمد لمتت الهزيمة، وكان من صنع الله للمنصور أن أصحابه لقيهم نهر في طريقهم، فلم يقدروا على الوثوب ولم يجدوا مخاضة، فعادوا بأجمعهم، وكان أصحاب إبراهيم قد مخروا الماء ليكون قتالهم من وجه واحد، فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار، وثبت إبراهيم في نفر من أصحابه يبلغون ستمائة، وقيل أربعمائة، وقتلهم حميد وجعل يرسل بالرؤوس إلى عيسى، وجاء إبراهيم سهمٌ عائر، فوقع في حلقة فنحره، فتنحى عن موقفه، وقال: أنزلوني، فأنزلوه عن مركبه وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾، أردنا أمراً وأراد الله غيره.

واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه، فقال حميد بن قحطبة لأصحابه: شدوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم، وتعلموا ما اجتمعوا عليه؛ فشدوا عليهم، فقاتلوهم أشد قتال حتى أخرجوهم عن إبراهيم، وخلصوا إليه، وحزوا رأسه فأتوا به عيسى، فأراه ابن أبي الكرام الجعفري، فقال: نعم هذا رأسه، فنزل عيسى إلى الأرض، فسجد وبعث برأسه إلى المنصور.

وكان قتله سنة خمس وأربعين ومائة، وكان عمره ثمانياً وأربعين سنة، ومكث منذ خرج إلى أن قُتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام.

وحُمل رأس إبراهيم إلى المنصور، فوُضع بين يديه، فلما رآه بكى حتى خرجت دموعه على خد إبراهيم، ثم قال: أما والله! إنني كنت لهذا كارهاً! ولكنك ابتليت وابتليت بك! ثم جلس مجلساً عاماً وأذن للناس... حتى دخل جعفر بن حنظلة الدارمي، فوقف، فسلم ثم قال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك، وغفر له ما فرط فيه من حَقِّك! فأسفر لون المنصور، وأقبل عليه، وقال: يا أبا خالد مرحباً وأهلاً ها هنا! فعلم الناس أن ذلك يرضيه، فقالوا مثل قوله.

* * *

ابن أرمانيوس ، بطريق البحر

كان هرقل أول ملك من ملوك الروم في الطبقة الثالثة بعد الهجرة، ثم ملك بعده ابنه قسطنطين، وهكذا. . حتى ملك أليون بن بسيل أيام المعتمد والمعتضد والمكتفي وبداية أيام المقتدر، فملك أخوه الإسكندروس، ثم ملك بعده قسطنطين بن أليون، وكان صبيّاً، فتولّى الأمر له بطريق البحر، واسمه أرمانيوس، وشرط على نفسه شروطاً، منها أنه لا يطلب الملك ولا يلبس التاج لا هو ولا أحد من أولاده. فلم يمض غير ستين حتى خوطب هو وأولاده بالملوك وجلس مع قسطنطين على السرير، وكان له ثلاثة من الولد، فخصى أحدهم وجعله بطرقاً ليأمن المنازعة، فإنَّ البطرق يحكم على الملك، فبقي على حاله إلى سنة ثلاثمائة وثلاثين من الهجرة، فاتفق ابناه مع قسطنطين الملك على إزالة أبيهما، فدخلوا عليه وقبضاه، وسيراه إلى دير له في جزيرة بالقرب من القسطنطينية، وأقام ولداه مع قسطنطين نحو أربعين يوماً وأراد الفتك به، فسبقهما إلى ذلك وقبض عليهما، وسيرهما إلى جزيرتين في البحر، فوثب أحدهما بالموكل به، فقتله، وأخذاه أهل تلك الجزيرة، فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى قسطنطين الملك، فجزع لقتله.

وأما أرمانيوس، فإنه مات بعد أربع سنين من ترهّبه، ودام ملك قسطنطين بقية أيام المقتدر، والقاهر، والراضي، والمستكفي وبعض أيام المطيع.

* * *

ابن الجارود

بعد أن وصل الحجاج إلى رُسْتَقْبَاز قاصداً قتال الخوارج، وقف خطيباً في أهلها وقال: يا أهل المصرين! هذا المكان والله مكانكم شهراً بعد شهر وسنة بعد سنة حتى يُهلك الله عدوكم هؤلاء الخوارج المطلين عليكم. . . ثم إنه خطب يوماً، فقال: إن الزيادة التي زادكم إياها ابن الزبير إنما هي زيادة مخسرة باطلة من ملحد فاسق منافق ولسنا نُجيزها! وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة. فقال عبد الله بن الجارود: إنها ليست بزيادة ابن الزبير، إنما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذهما وأجازها على يد أخيه بشر. فقال له الحجاج: ما أنت

والكلام! لتحسنن حمل رأسك أو لأسلبنك إياه! فقال: ولم؟ إني لك لناصح، وإن هذا القول من ورائي.

فنزل الحجاج، ومكث أشهراً لا يذكر الزيادة، ثم أعاد القول فيها، فردّ عليه ابن الجارود مثل ردّه الأول. فقام مصقلة بن كُرب العبدى وأبورقبة بن مصقلة المحدث عنه، فقال له عبد الله بن الجارود: يا ابن الجرملانية! ما أنت وهذا! ومتى كان مثلك يتكلم وينطق في مثل هذا؟

وأتى الوجوه عبد الله بن الجارود، فصوّبوا رأيه وقوله، وقال الهذيل بن عِمْران البرجمي وعبد الله بن حكيم بن زياد المجاشعي وغيرهما: نحن معك وأعوانك، إن هذا الرجل غير كافٍ حتى ينقصنا هذه الزيادة، فهل نبائعك على إخراجك من العراق، ثم نكتب إلى عبد الملك نسأله أن يولي علينا غيره، فإن أبى خلعه، فإنه هائب لنا ما دامت الخوارج، فبايعه الناس سرّاً وأعطوه المواثيق على الوفاء، وأخذ بعضهم على بعضهم العهود...

واجتمع الناس لابن الجارود، فأقبل بهم زحفاً نحو الحجاج، وكان رأيهم أن يُخرجوه عنهم ولا يقاتلوه، فلما صاروا إليه نهبوه في فسطاطه، وأخذوا ما قدروا عليه من متاعه ودوابّه، وجاء أهل اليمن، فأخذوا امرأته ابنة النعمان بن بشير، وجاءت مَضْر، فأخذوا امرأته الأخرى أم سَلِمة بنت عبد الرحمن بن عمرو أخي سهيل بن عمرو، فخافه السفهاء، ثم إنَّ القوم انصرفوا عن الحجاج وتركوه، فأتاه قومٌ من أهل البصرة، فصاروا معه خائفين محاربة الخليفة.

فجعل الغضبان بن القَبْعَثري الشيباني يقول لابن الجارود: تعش بالجدي قبل أن يتغذى بك، أما ترى من قد أتاه منكم؟ ولئن أصبح ليكثرن ناصره ولتضعفن مُتَّكُم! فقال: قد قرب المساء ولكننا نعاجله بالغداة.

وكان مع الحجاج عثمان بن قَطن وزياد بن عمرو العتكي، وكان زياد على شُرطة البصرة، فقال لهما: ما تريان؟ فقال زياد: أن آخذ لك من القوم أماناً وتخرج حتى تلحق بسامير المؤمنين، فقد ارفض أكثر الناس عنك، ولا أرى لك أن تقاتل

بمن معك . فقال عثمان بن قَطن الحارثي : لكنني لا أرى ذلك ، إن أمير المؤمنين قد شركك في أمرِكَ وخلطك بنفسه واستنصحك وسلطك ، فسرتَ إلى ابن الزبير ، وهو أعظم الناس خطراً ، فقتلته ، فولَّك الله شرف ذلك وسناه ، وولَّك أمير المؤمنين الحجاز ، ثم رفعتَ فولَّك العراقيين ، فحيث جريتَ إلى المدى ، وأصبَت الغرض الأقصى تخرج على قَعود إلى الشام ، والله لئن فعلتَ لا نلتَ من عبد الملك مثل الذي أنت فيه من سلطان أبداً وليتضعنَّ شأنك ، ولكني أرى أن نمشي بسيوفنا معك ، فنقاتل حتى نلقى ظَفَراً أو نموت كراماً . فقال له الحجاج : الرأي ما رأيته . وحفظ هذا لعثمان وحققها على زياد بن عمرو .

فلما اجتمع إلى الحجاج جمعٌ يُمنع بملتهم ، خرج فعبأ أصحابه وتلاحق الناسُ به ، فلما أصبح إذا حوله نحو ستة آلاف . فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : ما الرأي ؟ قال : تركت الرأي أمس حين قال لك الغضبان تعشَّى بالجدي قبل أن يتغذى بك ، وقد ذهب الرأي وبقي الصبرُ .

فدعا ابن الجارود بدرع ، فلبسها مقلوبة ، فتطيرَ وحرَّض الحجاج أصحابه ، وقال : لا يهولنكم ما ترون من كثرتهم . وتزاحف القوم وعلى ميمنة ابن الجارود الهذيل بن عمران ، وعلى ميسرته عبد الله بن زياد بن ظبيان ، وعلى ميمنة الحجاج قتيبة بن مسلم ، ويقال عباد بن الحُصَيْن ، وعلى ميسرته سعيد بن أسلم ، فحمل ابن الجارود في أصحابه حتى جاز أصحاب الحجاج ، فعطف الحجاج عليه ، ثم اقتتلوا ساعةً وكاد ابن الجارود يظفر ، فأتاه سهم غَرَب ، فأصابه فوق مِيتاً . وحُمِل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأساً من وجوه أصحابه إلى المهلب ، فنُصبت ليرأها الخوارج ، ويأسوا من الاختلاف .

* * *

ابن زياد

سار إبراهيم بن الأشتر من الكوفة مسرعاً للقاء ابن زياد ، قبل أن يدخل أرض العراق ، وكان ابن زياد قد سار في عسكر عظيم من الشام ، فبلغ الموصل ، فسار إبراهيم وخلف أرض العراق ، وأوغل في أرض الموصل وعبأ أصحابه وقدم عليهم الطفيل بن لقيط النخعي ، وأرسله على السلاطع حتى يبلغ نهر الخازر من بلد

الموصل، فنزل بقرية بارشيا. وأقبل ابن زياد إليه حتى نزل قريباً منهم على شاطئ الخازر.

وأرسل عُميرُ بن الحُباب السُّلَميَّ، وهو من أصحاب ابن زياد إلى ابن الأشر أن القني، وكانت قيس كلها مضطغنة على ابن مروان وقعة مرج راهط، وجند عبد الملك يومئذٍ كلب. فاجتمع عمير وابن الأشر، فأخبره عُمير أنه على مسيرة ابن زياد، وواعده أن ينهزم بالناس، فقال له ابن الأشر: ما رأيك؟ أأخندق عليّ وأتوقّف يومين أو ثلاثة؟ فقال عُمير: لا تفعل، وهل يريدون إلّا هذا؟ فإن المطاولة خير لهم، هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة، ولكن ناجز القوم، فإنهم قد ملّثوا منكم رعباً، وإن هم شاقوا أصحابك وقتلوهم يوماً بعد يوم ومرة بعد مرة، أنسوا بهم واجترأوا عليهم. فقال إبراهيم: الآن علمت أنك لي مناصح، وبهذا أوصاني صاحبي.

قال عُمير: أطعته، فإنّ الشيخ قد ضرّسته الحرب، وقاسى منها ما لم يُقاسيه أحد، وإذا أصبحت، فناهضهم.

وعاد عُمير إلى أصحابه وأذكى ابن الأشر حرسه، ولم يدخل عينه غمض حتى إذا كان السحر الأول عباً أصحابه وكتب كتابه وأمر أمراءه. فلما انفجر الفجر صلى الصبح بغلس، ثم خرج، فصف أصحابه وألحق كلّ أمير بمكانه، ونزل إبراهيم يمشي ويعرض الناس ويمنيهم الظفر، ويذكر لهم فعل ابن زياد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من السبي والقتل ومنع الماء، وحرّضهم على قتله.

وتقدّم ابنُ زياد وقومه إليه، فلما تدانّى الصفّان حمل الحُصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على مسيرة إبراهيم، فثبت له عليّ بن مالك الجشمي فقتل، ثم أخذ رايته قرة بن علي، فقتل في رجال من أهل البأس وانهزمت الميسرة، فأخذ الراية عبد الله بن ورقاء بن جُنادة السُّلوليُّ ابنُ أخي حُبشي بن جنادة صاحب رسول الله ﷺ، فاستقبل المنهزمين، فقال: إليّ يا شرطة الله، فأقبل إليه أكثرهم. فقال: هذا أميركم يُقاتل ابن زياد، ارجعوا بنا إليه. فرجعوا، وإذا إبراهيم كاشف رأسه ينادي: إليّ شرطة الله، أنا ابن الأشر، إن خير فراركم كُراركم، ليس مسيئاً

من أعتَبَ. فرجع إليه أصحابه، وحملت ميمنة إبراهيم علي ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عُمر بن الحُبَاب، كما زعم، فقاتلهم عُمر قتالاً شديداً وأنف من الفرار. فلما رأى ذلك إبراهيم قال لأصحابه: اقصدوا هذا السواد الأعظم، فوالله لو هزمناه لا نجفل من ترون يمناً ويسرةً انجفال طير زعرتها.

فمشى أصحابه إليهم، فتطاعنوا ثم صاروا إلى السيوف والعمد، فاضطربوا بها ملياً، وكان صوت الضرب بالحديد كصوت القصارين، وكان إبراهيم يشدُّ بسيفه، فلا يضرب به رجلاً إلا صرعه، وكرد إبراهيم الرِّجالة من بين يديه، كأنهم الحملان، وحمل أصحابه حملة رجل واحد واشتدَّ القتال، فانهزم ابن زياد، وقتل من الفريقين قتلى كثيرة.

وقيل: إن عُمر بن الحُبَاب أوَّل من انهزم، وإنما كان قتاله أولاً تعذيراً. فلما انهزموا قال إبراهيم: إنِّي قد قتلتُ رجلاً تحت راية منفردة على شاطئ نهر الخازر، فالتمسوه، فإني شممت رائحة المسك، شرَّقت يداه وغرَّبت رجلاه. فالتمسوه، فإذا هو ابن زياد قتيلاً بضربة إبراهيم فقد قدَّته بنصفين وسقط، فأخذ رأسه وأحرقت جثته.

* * *

ابن طالوت القرشيّ

في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وفي شهر ربيع الأوَّل، توفي المهديُّ أبو محمَّد عبيد الله العلويُّ بالمهدية، وأخفى ولده أبو القاسم موته سنة لتدبير كان له، وكان يخاف أن يختلف الناس عليه إذا علموا بموته، وكان عمر المهديِّ لما توفي ثلاثاً وستين سنة، وكانت ولايته منذ دخل رقادة، ودُعي له بالإمامة إلى أن توفي أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً.

ولما توفي ملك بعده ابنه أبو القاسم محمَّد، وكان أبوه قد عهد إليه، ولما أظهر وفاة والده كان قد تمكَّن وفرغ من جميع ما أراده، وأتبع سنة أبيه، وثار عليه جماعة، فتمكَّن منهم؛ وكان من أشدَّهم رجل يقال له ابن طالوت القرشيّ في ناحية

طرابلس، ويزعم أنه ولد المهديّ، فقاموا معه، وزحف إلى مدينة طرابلس، فقاتله أهلها، ثم تبين للبربر كذبه، وحملوا رأسه إلى القائم.

* * *

ابن الفرات

كثر الإرجاف على ابن الفرات، فكتب إلى المقتدر يعرفه ذلك، وأنّ الناس إنّما عادوه لنصحته وشفقته، وأخذ حقوقه منهم، فأنفذ المقتدر إليه يسكّنه، ويطيّب قلبه، فركب هو وولده إلى المقتدر فأدخلهما إليه، فطيّب قلوبهما، فخرجا من عنده، فمنعهما نصر الحاجب من الخروج ووكل بهما، فدخل مُفلح على المقتدر، وأشار عليه بتأخير عزله، فأمر بإطلاقهما، فخرج هو وابنه المحسن. فأما المحسن فإنه اختفى، وكان عند حماته حزّانة، وهي والدّة الفضل بن جعفر بن الفرات، وكانت تأخذه كلّ يوم إلى المقبرة، وتعود به إلى المنازل التي يثق بأهلها عشاء وهو في زيّ امرأة، فمضت يوماً إلى مقابر قريش، وأدركها الليل، فبعد عليها الطريق، فأشارت عليها امرأة معها أن تقصد امرأة صالحة تعرفها بالخير، تختفي عندها، فأخذت المحسن وقصّدت تلك المرأة، وقالت لها: معنا صبية بكر نريد بيتاً نكون فيه؛ فأمرتهم بالدخول إلى دارها، وسلّمت إليهم قبة في الدار، فأدخلن المحسن إليها، وجلست النساء اللّائتي معه في صفة بين يديّ باب القبة، فجاءت جارية سوداء، فرأت المحسن في القبة، فعادت إلى مولاتها، فأخبرتها أنّ في الدار رجلاً، فجاءت صاحبته، فلمّا رآته عرفته.

وكان المحسن قد أخذ زوجها ليصادره، فلمّا رأى الناس في داره يجلدون، ويشقّصون، ويعذبون، مات فجأة، فلمّا رأت المرأة المحسن وعرفته ركبت في سفينة، وقصّدت دار الخليفة، وصاحت: معي نصيحة لأمر المؤمنين! فأحضرها نصر الحاجب، فأخبرته بخبر المحسن، فأنتهى ذلك إلى المقتدر، فأمر نازوك، صاحب الشرطة، أن يسير معها ويحضره، فأخذها معه إلى منزلها، ودخل المنزل، وأخذ المحسن وعاد به إلى المقتدر، فردّه إلى دار الوزير، فعُذّب بأنواع العذاب ليحبس إلى مصادرة يذلّها، فلم يجبهم إلى دينار واحد، وقال: لا أجمع لكم بين

نفسى ومالى؛ واشتدَّ العذاب عليه بحيث امتنع عن الطعام. فلما علم ذلك المقتدر أمر بحمله مع أبيه إلى دار الخلافة، فقال الوزير أبو القاسم لمؤنس، وهارون بن غريب الخال، ونصر الحاجب: إن يُنقل ابن الفرات إلى دار الخلافة بذل أمواله، وأطعم المقتدر في أموالنا، وضمننا منه، وتسلمنا فأهلكنا؛ فوضعوا القواد والجند، حتى قالوا للخليفة: إنه لا بدَّ من قتل ابن الفرات وولده، فإننا لا نأمن على أنفسنا ما داموا في الحياة.

وتردَّدت الرسائل في ذلك، وأشار مؤنس، وهارون بن غريب، ونصر الحاجب بموافقتهم وإجابتهم إلى ما طلبوا، فأمر نازوك بقتلهم، فذبحهما كما يذبح الغنم.

وكان ابن الفرات قد أصبح يوم الأحد صائماً، فأُتي بطعام فلم يأكله، فأُتي أيضاً ليُفطر عليه، فلم يفطر، وقال: رأيتُ أخي العباس في النوم يقول لي: أنت وولدك عندنا يوم الإثنين؛ ولا شكَّ أننا نُقتل؛ فقتل ابنه المحسن يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر، وحمل رأسه إلى أبيه، فارتاع لذلك شديداً، ثم عُرض أبوه على السيف فقال: ليس إلا السيف، راجعوا في أمري، فإن عندي أموالاً جمّة، وجواهر كثيرة، فقليل له: جلَّ الأمر عن ذلك! وقُتل وكان عمره إحدى وسبعين سنة، وعمر ولده المحسن ثلاثاً وثلاثين سنة، فلما قُتلَا حُمِلَ رأساهما إلى المقتدر بالله، فأمر بتفريقهما. وكان ذلك في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.

* * *

ابن نصر بن سيّار

في سنة إحدى وثلاثين ومائة، وبعد مقتل ابن ضُبارة، كتب قحطبة إلى ابنه الحسن وهو يحاصر نهاوند، فلما أتاه الكتابُ كَبُرَ هو وجنده ونادوا بقتله، فقال عاصم بن عُمَيْر السعدي: ما نادى هؤلاء بقتله إلا وهو حقٌّ! فاخرجوا إلى الحسن بن قحطبة فإنكم لا تقومون له فتذهبون حيث شئتم قبل أن يأتيه أبوه أو مدد من عنده.

فقالَت الرّجالة: تخرجون وأنتم فرسان على خيول وتتركونا؟ وقال له مالك بن أذهم الباهلي: لا أبرح حتى يقدم علي قحطبة.

وأقام قحطبة على أصبهان عشرين يوماً، ثم سار فقدم على ابنه بنهائونده فحصرهم ثلاثة أشهر: شعبان ورمضان وشوّال، ووضع عليهم المجانيق، وأرسل إلى مَنْ بنهائونده من أهل خراسان يدعوهم إليه وأعطاهم الأمان، فأبوا ذلك.

ثم أرسل إلى أهل الشام بمثل ذلك، فأجابوه وقبلوا أمانه، وبعثوا إليه يسألونه أن يَشْغَل عنهم أهل المدينة بالقتال ليفتحوا له الباب الذي يليهم، ففعل ذلك قحطبة وقتلهم، ففتح أهل الشام الباب، فخرجوا، فلمّا رأى أهل خُراسان ذلك سألوهم عن خروجهم، فقالوا: أخذنا الأمان لنا ولكم. فخرج رؤساء أهل خُراسان فدفع قحطبة كل رجل منهم إلى قائد من قوّاده ثم أمر فنودي: مَنْ كان بيده أسير ممّن خرج إلينا فليضرب عنقه وليأتنا برأسه! ففعلوا ذلك؟ فلم يبقَ أحد ممّن كان قد هرب من أبي مسلم إلا قُتل إلا أهل الشام، فإنّهم وفي لهم وخلى سبيلهم وأخذ عليهم أن لا يمالئوا عليه عدوّاً، ولم يقتل منهم أحداً.

وكان ممّن قُتل من أهل خراسان: أبو كامل، وحاتم بن الحارث بن سُريّج، وابن نصر بن سيّار، وعاصم بن عُمير، وعلي بن عَقيّل، وبيّهس.

* * *

أبو تغلب بن حمدان

في سنة تسع وستين وثلاثمائة، في صفر، قُتل أبو تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان.

وكان سبب قتله أنّه سار إلى الشام، ووصل إلى دمشق، وبها قسّام قد تغلّب عليها، فلم يَمكُن أبا تغلب من دخولها، فنزل بظاهر البلد، وأرسل رسولاً إلى العزيز بمصر يستنجد له دمشق، فوقع بين أصحابه وأصحاب قسّام فتنة، فرحل إلى نوى، وهي من أعمال دمشق، فأثابه كتاب رسوله من مصر يذكر أن العزيز يريد أن يحضر هو عنده بمصر ليسير معه العساكر، فامتنع، وتردّدت الرسل، ورحل إلى بحيرة طَبْرِية، وسير العزيز عسكراً إلى دمشق مع قائد اسمه الفضل، فاجتمع بأبي تغلب عند طَبْرِية، ووعدّه، عن العزيز، بكلّ ما أحب، وأراد أبو تغلب المسير

معه إلى دمشق، فمنعه بسبب الفتنة التي جرت بين أصحابه وأصحاب قسّام، لئلاً يستوحش قسّام، وأراد أخذ البلد منه سلماً، ورحل الفضل إلى دمشق فلم يفتحها.

وكان بالرملة دغفل بن المفرج بن الجراح الطائي قد استولى على هذه الناحية، وأظهر طاعة العزيز من غير أن يتصرّف بأحكامه، وكثر جمعه، وسار إلى أحياء عقيل المقيمة بالشام ليخرجها من الشام، فاجتمعت عقيل إلى أبي تغلب وسألته نصرتها، وكتب إليه دغفل يسأله أن لا يفعل، فتوسّط أبو تغلب الحال، فرضوا بما يحكم به العزيز.

ورحل أبو تغلب، فنزل في جوار عقيل، فخافه دغفل، والفضل صاحب العزيز، وظناً أنه يريد أخذ تلك الأعمال.

ثم إن أبا تغلب سار إلى الرملة في المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة، فلم يشك ابن الجراح والفضل أنه يريد حربهما، وكانا بالرملة، فجمع الفضل العساكر من السواحل، وكذلك جمع دغفل من أمكنه جمعه، وتضاف الناس للحرب، فلما رأت عقيل كثرة الجمع انهزمت، ولم يبق مع أبي تغلب إلا نحو سبعمائة رجل من غلمانه وغلمان أبيه، فانهزم ولحقه الطلب، فوقف يحمي نفسه وأصحابه، فضرب على رأسه فسقط، وأخذ أسيراً، وحُمِلَ إلى دغفل فأسره وكتّفه.

وأراد الفضل أخذه وحمله إلى العزيز بمصر، فخاف دغفل أن يصطنعه العزيز، كما فعل بالفتكين، ويجعله عنده، فقتله، فلامه الفضل على قتله، وأخذ رأسه وحمله إلى مصر، وكان معه أخته جميلة بنت ناصر الدولة وزوجته، وهي بنت عمّه سيف الدولة، فلما قُتل حملهما بنو عقيل إلى حلب إلى سعد الدولة بن سيف الدولة، فأخذ أخته، وسير جميلة إلى الموصل، فسُلّمت إلى أبي الوفاء نائب عضد الدولة، فأرسلها إلى بغداد، فاعتقلت في حُجرة في دار عضد الدولة.

* * *

أبوزاكي

في سنة ثمان وتسعين ومائتين قُتل أبو عبد الله الشيعي، قتله المهديّ عبيد الله.

وسبب ذلك أنَّ المهديَّ لمَّا استقامت له البلاد، ودانت له العباد، وباشر الأمور بنفسه، وكفَّ يد أبي عبد الله، ويد أخيه العباس، داخل أبا العباس الحسد، وعظَّم عليه الفطام عن الأمر والنهي، والأخذ والعطاء، فأقبل يُذري على المهديَّ في مجلس أخيه، ويتكلَّم فيه، وأخوه ينهاه، ولا يرضى فعله، فلا يزيده ذلك إلَّا لجاجاً.

ثمَّ إنَّه أظهر أبا عبد الله على ما في نفسه، وقال له: ملكت أمراً، فجئت بمن أزالك عنه، وكان الواجب عليه أن لا يسقط حقُّك.

ولم يزل حتى أثَّر في قلب أخيه، فقال يوماً للمهديَّ: لو كنت تجلس في قصرِك، وتتركني مع كُتامة أمرهم وأنهارهم، لأنِّي عارفٌ بعاداتهم، لكان أهيب لك في أعين الناس.

وكان المهديُّ سمع شيئاً ممَّا يجري بين أبي عبد الله وأخيه، ففتحَّق ذلك، غير أنَّه ردَّ رداً لطيفاً، فصار أبو العباس يشير إلى المقدَّمين بشيء من ذلك، فمن رأى منه قبولاً كشف له ما في نفسه، وقال: ما جازاكم على ما فعلتم، وذكر لهم الأموال التي أخذها المهديُّ من إنكجان، وقال: هلاً قسمها فيكم!

وكلُّ ذلك يتَّصل بالمهدي، وهو يتغافل، وأبو عبد الله يداري، ثمَّ صار أبو العباس يقول: إنَّ هذا ليس الذي كنَّا نعتقد طاعته، وندعو إليه لأنَّ المهدي يختم بالحجَّة، ويأتي بالآيات الباهرة، فأخذ قوله بقلوب كثير من الناس، منهم إنسان من كُتامة يقال له شيخ المشايخ، فواجه المهديَّ بذلك، وقال: إن كنت المهديَّ فأظهر لنا آيةً، فقد شككنا فيك؛ فقتله المهديُّ، فخافه أبو عبد الله، وعلم أن المهديَّ قد تغيَّر عليه، فاتَّفَق هو وأخوه ومن معهما على الاجتماع عند أبي زكي، وعزموا على قتل المهدي واجتمع معهم قبائل كُتامة إلَّا قليلاً منهم.

وكان معهم رجل يُظهر أنَّه منهم، وينقل ما يجري إلى المهدي، ودخلوا عليه مراراً فلم يجسروا على قتله، فاتَّفَق أنَّهم اجتمعوا ليلة عند أبي زكي، فلمَّا أصبحوا لبس أبو عبد الله ثوباً مقلوباً، ودخل على المهديَّ، فرأى ثوبه، فلم يعرفه به، ثمَّ دخل عليه ثلاثة أيَّام والقميص بحاله، فقال له المهديُّ: ما هذا الأمر الذي أذهلك

عن إصلاح ثوبك، فهو مقلوب منذ ثلاثة أيام فعلمتُ أنك ما نزعته؛ فقال: ما علمت بذلك إلا ساعتى هذه؟ قال: أين كنت البارحة والليالي قبلها؟ فسكت أبو عبد الله! فقال: أليس بتّ في دار أبي زكي؟ قال: بلى. قال: وما الذي أخرجك من دارك؟ قال: خفتُ. قال: وهل يخاف الإنسان إلا من عدوّه؟ فعلم أن أمره ظهر للمهديّ، فخرج وأخبر أصحابه، وخافوا، وتخلّفوا عن الحضور.

فذكر ذلك للمهديّ، وعنده رجل يُقال له ابن القديم، كان من جملة القوم، عنده أموال كثيرة، من أموال زيادة الله، فقال: يا مولاي إن شئت أتيتك بهم، مضى فجاءهم، فعلم المهديّ صحّة ما قيل عنه، فلاطفهم وفرّقهم في البلاد، يجعل أبا زكي والياً على طرابلس، وكتب إلى عاملها أن يقتله عند وصوله، فلمّا وصل قتله عاملها، وأرسل رأسه إلى المهديّ، فهرب ابن القديم، فأخذ، فأمر المهديّ بقتله فقتل.

وأمر المهديّ عُرُوبة ورجالاً معه أن يرصدوا أبا عبد الله وأخاه العباس، ويقتلوهما، فلمّا وصلا إلى قرب القصر، حمل عروبة على أبي عبد الله، فقال: لا تفعل يا بني! الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك؛ فقتل هو وأخوه، وكان قتلها في اليوم الذي قُتل فيه أبو زكي. ف قيل: إنّ المهديّ صلّى على أبي عبد الله، وقال: رحمك الله، أبا عبد الله، وجزاك خيراً بجميل سعيك.

* * *

أبو السّرايا السّريّ بن منصور

في سنة تسع وتسعين ومائة ظهر أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، لعشر خلون من جمادي الآخرة، بالكوفة، يدعو إلى الرضى من آل محمّد ﷺ، والعمل بالكتاب والسنة، وهو الذي يُعرف بابن طباطبا، وكان القيّم بأمره في الحرب أبو السّرايا السّريّ بن منصور، وكان يذكر أنه من ولد هانىء بن مسعود الشيبانيّ.

وكان سبب خروجه أن المأمون لما صرف طاهراً عمّا كان إليه من الأعمال التي افتتحها، ووجّه الحسن بن سهل إليها، تحدّث الناس بالعراق أن الفضل ابن سهل قد غلب على المأمون، وأنه أنزله قصرًا حجب به عن أهل بيته وقوّاده،

وأنه يستبد بالامر دونه، فغضب لذلك بنو هاشم ووجوه الناس، واجترأوا على الحسن بن سهل، وهاجت الفتن في الأمصار، فكان أول من ظهر ابن طباطبا بالكوفة.

وقيل كان سبب اجتماع ابن طباطبا بأبي السرايا أن أبا السرايا كان يكرى الحمير، ثم قوي حاله، فجمع نفراً، فقتل رجلاً من بني تميم بالجزيرة، وأخذ ما معه، فطلب، فاخفى، وعبر الفرات إلى الجانب الشامي، فكان يقطع الطريق في تلك النواحي، ثم لحق بيزيد بن مزيّد الشيباني بأرمينية، ومعه ثلاثون فارساً، ففوّده، فجعل يقاتل معه الحرّميّة، وأثر فيهم وقتك وأخذ منهم غلامه أبا الشواك. فلما عزل أسد عن أرمينية صار أبو السرايا إلى أحمد بن مزيّد، فوجهه أحمد طليعة إلى عسكر هرّثمة في فتنه الأمين والمأمون، وكانت شجاعته قد اشتهرت، فراسله هرّثمة يستميله، فمال إليه، فانتقل إلى عسكره، وقصده العرب من الجزيرة، واستخرج لهم الأرزاق من هرّثمة، فصار معه نحو ألفي فارس وراجل، فصار يخاطب بالأمير.

فلما قُتل الأمين نقصه هرّثمة من أرزاقه وأرزاق أصحابه، فاستأذنه في الحج، فأذن له، وأعطاه عشرين ألف درهم، ففرّقها في أصحابه ومضى، وقال لهم: اتبعوني متفرّقين، ففعلوا، فاجتمع معه نحو من مائتي فارس، فسار بهم إلى عين التمر، وحصر عاملها، وأخذ ما معه من المال وفرّقه في أصحابه.

وسار، فلقي عاملًا آخر ومعه مال على ثلاثة بغال، فأخذها وسار، فلحقه عسكر كان قد سيّره هرّثمة خلفه فعاد إليهم، وقتلهم، فهزّمهم، ودخل البريّة، وقسم المال بين أصحابه، وانتشر جنده، فلحق به من تخلف عنه من أصحابه وغيرهم، فكثّر جمعه، فسار نحو دقوقا، وعليها أبو ضيرغامة العجلي، في سبع مائة فارس، فخرج إليه، فلقيه، فاقتتلوا، فانهزم أبو ضيرغامة، ودخل قصر دقوقا، فحصره أبو السرايا، وأخرجه من القصر بالأمان وأخذ ما عنده من الأموال.

وسار إلى الأنبار، وعليها إبراهيم الشروي، مولى المنصور، فقتله أبو السرايا، وأخذ ما فيها وسار عنها؛ ثم سار إليها بعد إدراك الفلال، فاحتوى عليها، ثم ضجر من طول السرى في البلاد، فقصد الرقة، فمرّ بطوق بن مالك

التغلبى، وهو يحارب القيسيّة، فأعانه عليهم وأقام معه أربعة أشهر يقاتل على غير طمع إلاّ للعصبيّة للرّبعيّة على المضريّة، فظفر طوق وانقادت له قيس.

وسار أبو السّرايا إلى الرّقّة، فلمّا وصلها لقيه محمد بن إبراهيم المعروف بابن طباطبا، فبايعه، وقال له: انحدر أنت في الماء وأسير أنا على البرّ، حتى نوافي الكوفة؛ فدخلها، وابتدأ أبو السّرايا بقصر العباس ابن موسى بن عيسى فأخذ ما فيه من الأموال والجواهر، وكان عظيماً لا يُحصى، وبايعهم أهل الكوفة.

وقيل كان سبب خروجه أنّ أبا السّرايا كان من رجال هُرثمة، فمطله بأرزاقه، فغضب، ومضى إلى الكوفة، فبايع ابن طباطبا فبايع ابن طباطبا، وأخذ الكوفة، واستوسق له أهلها، وأتاه الناس من نواحي الكوفة والأعراب فبايعوه، وكان العامل عليها للحسن بن سهل سليمان المنصور، فلامه الحسن، ووجّه زهير بن المسيّب الضبي إلى الكوفة في عشرة آلاف فارس، وراجل، فخرج إليه ابن طباطبا وأبو السّرايا، فواقعه في قرية شاهی، فهزموه، واستباحوا عسكره، وكانت الوقعة سلخ جمادي الآخرة.

فلما كان الغد، مستهل رجب، مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجأة، سمّه أبو السّرايا، وكان سبب ذلك أنّه لما غنم ما في عسكر زهير منع عنه أبا السّرايا، وكان الناس له مُطيعين، فعلم أبو السّرايا أنّه لا حكم له معه، فسمّه فمات، وأخذ مكانه غلاماً أمرد يقال له محمّد بن محمّد بن زيد ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، فكان الحكم إلى أبي السّرايا.

ورجع زهير إلى قصر ابن هُبيرة، فأقام به، ووجّه الحسن بن سهل عبدوس بن محمّد بن أبي خالد المروزي، في أربعة آلاف فارس، فخرج إليه أبو السّرايا، فلقيه بالجامع لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب، فقتل عبدوساً، ولم يفلت من أصحابه أحد، كانوا بين قتيل وأسير.

وانتشر الطالبیون في البلاد، وضرب أبو السّرايا الدراهم بالكوفة، وسيّر جيوشه إلى البصرة، وواسط ونواحيهما، فولّى البصرة العباس بن محمّد ابن عيسى بن محمّد الجعفريّ، وولّى مكّة الحسين بن الحسن بن عليّ بن الحسين بن عليّ الذي يُقال له الأفتس، وجعل إليه الموسم؛ وولّى اليمن إبراهيم بن موسى بن

جعفر وولّى فارسَ إسماعيلَ بن موسى بن جعفر، وولّى الأهواز زيدَ بن موسى بن جعفر؛ فسار إلى البصرة، وغلب عليها، وأخرج عنها العباسَ بن محمّد الجعفريّ، ووليها مع الأهواز، ووجّه أبو السّرايا محمّد بن سليمان بن داود بن الحسن بن عليّ إلى المدائن وأمره أن يأتيَ بغداداً من الجانب الشرقيّ، فأتى المدائن، وأقام بها وسيرَ عسكره إلى دِيَالِي.

وكان بواسط عبد الله بن سعيد الحرّشيّ والياً عليها من قبل الحسن بن سهل، فانهزم من أصحاب أبي السّرايا إلى بغداد، فلما رأى الحسنُ أن أصحابه لا يلبثون لأصحاب أبي السّرايا، أرسل إلى هرّثمة يستدعيه لمحاربة أبي السّرايا، وكان قد سار إلى خراسان مغاضباً للحسن، فحضر بعد امتناع، وسار إلى الكوفة في شعبان، وسير الحسنُ إلى المدائن وواسط عليّ بن سعيد، فبلغ الخبر أبا السّرايا وهو بقصر ابن هُبيرة فوجّه جيشاً إلى المدائن، فدخلها أصحابه في رمضان، وتقدّم حتى نزل بنهر صرّصر، وجاء هرّثمة فعسكر بإزائه، بينهما النهر، وسار عليّ بن سعيد في شوال إلى المدائن، فقاتل بها أصحاب أبي السّرايا، فهزمهم واستولى على المدائن. وبلغ الخبر أبا السّرايا، فرجع من نهر صرّصر إلى قصر ابن هُبيرة، فنزل به؛ وسار هرّثمة في طلبه فوجد جماعة من أصحابه، فقتلهم، ووجّه رؤوسهم إلى الحسن بن سهل، ونازل هرّثمة أبا السّرايا، فكانت بينهما وقعة قُتل فيها جماعة من أصحاب أبي السّرايا، فأنحاز إلى الكوفة، ووثبَ مَنْ معه من الطالبين على دور بني العباس ومواليهم وأتباعهم، فهدموها، وانتهبوها، وخرّبوا ضياعهم، وأخرجوهم من الكوفة، وعملوا أعمالاً قبيحة، واستخرجوا الودائع التي كانت لهم عند الناس...

ثم دخلت سنة مائتين. وفيها هرب أبو السّرايا من الكوفة، وكان قد حصّره فيها ومَن معه هرّثمة، وجعل يلزم قتالهم، حتى ضجروا، وتركوا القتال؛ فلما رأى ذلك أبو السّرايا، تهيّأ للخروج من الكوفة، فخرج في ثمانمائة فارس، ومعه محمّد بن محمّد بن زيد، ودخلها هرّثمة فأمن أهلها، ولم يتعرض إليهم؛ وكان هربه سادس عشر المحرم، وأتى القادسيّة، وسار منها إلى السّوس بخوزستان فلقي مالا قد حُمِل من الأهواز، فأخذ، وقسمه بين أصحابه.

وأناه الحسن بن عليّ المأمونيّ، فأمره بالخروج من عمله، وكره قتاله فأبى

أبو السرايا إلّا قتاله، فقاتله، فهزّمه المأمونيّ وجرحه، وتفرّق أصحابه، وسار هو ومحمّد بن محمّد وأبو الشوك نحو منزل أبي السرايا برأس عين، فلمّا انتهوا إلى جلّولاء ظفر بهم حمّاد الكند غوش، فأخذهم وأتى بهم الحسن بن سهّل، وهو بالنّهر، فقتل أبا السرايا، وبعث رأسه إلى المأمون، ونصبت جثّته على جسر بغداد، وسير محمّد بن محمّد إلى المأمون. وأما هرّثمة فإنّه أقام بالكوفة يوماً واحداً وعاد، واستخلف بها غسان ابن أبي الفرج أبا إبراهيم بن غسان، صاحب حرّس والي خراسان.

وسار عليّ بن سعيد إلى البصرة، فأخذها من العلويّين. وكان بها زيد ابن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسن بن عليّ، عليه السلام، وهو الذي يسمّى زيد النار، وإنّما سُمّي بها لكثرة ما أحرق بالبصرة من دور العبّاسيّين وأتباعهم، وكان إذا أتى رجل من المُسوّدة أحرقه؛ وأخذ أموالاً كثيرة من أموال التجّار سوى أموال بني العبّاس؛ فلمّا وصل عليّ إلى البصرة استأنّ منه زيد فأمنه، وأخذه، وبعث إلى مكّة، والمدينة، واليمن جيشاً، فأمرهم بمحاربة من بها من العلويّين، وكان بين خروج أبي السرايا وقتله عشرة أشهر.

* * *

أبو الصلت

لما ظفر الحجاج بابن الأشعث لحق خلق كثير من المنهزمين بعمر بن أبي الصلت، وكان قد غلب على الرّيّ في تلك الفتنة، فلما اجتمعوا بالرّيّ أرادوا أن يحفظوا عند الحجاج بأمر يمحون عن أنفسهم عثرة الجماجم، فأشاروا على عمر بخلع الحجاج وقتيبة، فامتنع، فوضعوا عليه أباه أبا الصلت، وكان به باراً، فأشار عليه بذلك وألزمه به وقال له: يا بنيّ إذا سار هؤلاء تحت لوائك لا أبالي أن تُقتل غداً. ففعل، فلمّا قارب قتيبة الرّيّ بلغه الخبر فاستعدّ لقتاله، فالتقوا واقتتلوا، فغدر أصحاب عمر به، وأكثرهم من تميم، فانهزم ولحق بطبرستان، فأواه الأصهبذ وأكرمه وأحسن إليه. فقال عمر لأبيه: إنك أمرتني بخلع الحجاج وقتيبة فأطعته، وكان خلاف رأيي فلم أحمد رأيك، وقد نزلنا بهذا العليج الأصهبذ فدعني حتى

أثب عليه فأقتله وأجلس على مملكته، فقد علمت الأعاجم أنني أشرف منه. فقال أبوه: ما كنت لأفعل هذا لرجل آوانا ونحن خائفون، وأكرمنا وأنزلنا. فقال عمر: أنت أعلم وسترى.

ودخل قتيبة الرِّي وكتب إلى الحجاج بخبر عمر وانهزامه إلى طبرستان، فكتب الحجاج إلى الأصبهيد: أن ابعت بهم أو برؤوسهم وإلا فقد برئت منك الذمة. فصنع لهم الأصبهيد طعاماً وأحضرهما، فقتل عمر وبعث أباه أسيراً، وقيل: بل قتلها وبعث برؤوسهما.

* * *

أبو فراس بن حمدان

في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، في ربيع الآخر، قُتل أبو فراس بن أبي العلاء سعيد بن حمدان.

وسبب ذلك أنه كان مقيماً بـحمص، فجرى بينه وبين أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان وحشة، فطلبه أبو المعالي، فأنحاز أبو فراس إلى صدد، وهي قرية في طرف البرية عند حمص، فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم، وسيّرهم في طلبه مع قرغويه، فأدركه بصدد، فكسبوه، فاستأمن أصحابه، واختلط هو بمن استأمن منهم، فقال قرغويه لـغلام له: اقتله، فقتله وأخذ رأسه وتركته جثته في البرية، حتى دفنها بعض الأعراب.

وأبو فراس هو خال أبي المعالي بن سيف الدولة، ولقد صدق من قال: إنَّ الملك عقيم.

أبو كرب بن المنذر بن ماء السماء

سار المنذر بن ماء السماء، ملك العرب من الحيرة في معدّ كلّها حتى نزل بعين أباغ بذات الخيار، وأرسل إلى الحارث الأعرج بن جبلة بن الحارث... بن عامر الغساني ملك العرب بالشام: إمّا أن تعطيني الفدية، فأنصرف عنك بجنودي، وإمّا أن تأذن بحرب.

فأرسل إليه الحارث: أنظرنا ننظر في أمرنا، فجمع عساكره وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول له: إنا شيخان فلا نهلك جنودي وجنودك، ولكن يخرج رجل من ولدي ويخرج رجل من ولدك، فمن قُتل خرج عوضه آخر، وإذا فني أولادنا خرجت أنا إليك، فمن قتل صاحبه ذهب بالملك، فتعاهدا على ذلك، فعمد المنذر إلى رجل من شجعان أصحابه، فأمره أن يخرج فيقف بين الصفين، ويُظهر أنه ابن المنذر، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كرب، فلما رآه رجع إلى أبيه وقال: إن هذا ليس بابن المنذر، إنما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه، فقال: يا بني، أجزعت من الموت؟ ما كان الشيخ ليغدر، فعاد إليه وقاتله، فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدي المنذر، وعاد، فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله والطلب بثأر أخيه، فخرج إليه، فلما واقفه رجع إلى أبيه، وقال: يا أبت، هذا والله عبد المنذر. فقال: يا بني ما كان الشيخ ليغدر. فعاد إليه فشدَّ عليه، فقتله.

فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفي، وكانت أمه غسانية، وهو مع المنذر، قال: أيها الملك، إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام، وقد غدرت بابن عمك دفعتين، فغضب المنذر وأمر بإخراجه، فلحق بعسكر الحارث فأخبره، فقال له: سل حاجتك. فقال له: حلتك وحلتك.

فلما كان الغد، عيى الحارث أصحابه وحرَّضهم، وكان في أربعين ألفاً، واصطفوا للقتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل المنذر وهزمت جيوشه، فأمر الحارث بابنيه القتيلين، فحُملا على بعير بمنزلة العدلين، وجعل المنذر فوقهما قوداً وقال: يا لعلاوة دون العدلين! فذهبت مثلاً. وسار إلى الحيرة، فأنهبها وأحرقها ودفن ابنه بها وبني الغريين عليهما في قول بعضهم. وفي ذلك اليوم - يوم عين أباغ - يقول ابن أبي الرعاء الضبياني:

كم تركنا بالعين عين أباغ	من ملوك وسوقه أكفاء
أمطرتهم سحاب الموت تترى	إن في الموت راحة الأشقياء
ليس من مات فاستراح بميت	إنما الميت ميت الأحياء

* * *

أبوليلي الحارث بن عبد العزيز

في سنة أربع وثمانين ومائتين، وثب الحارث بن عبد العزيز بن أبي دُلف المعروف بأبي ليلي، بشفيح الخادم فقتله، وكان أخوه عمر بن عبد العزيز قد أخذه وقيده وحبسه في قلعة زر، ووكل به شفيحاً الخادم، ومعه جماعة من غلمان عمر، فلما استأمن عمر إلى المعتضد وهرب بكر بقيت القلعة بما فيها من الأموال بيد شفيح، فكلّمه أبوليلي في إطلاقه، فلم يفعل وطلب من غلام كان يخدمه مبرداً، فأدخله في الطعام، فبرد مسمار قيده.

وكان شفيح في كل ليلة يأتي إلى أبي ليلي يفتقده، ويمضي ينام وتحت رأسه سيف مسلول، فجاء شفيح في ليلة إليه، فحادثه، فطلب منه أن يشرب معه أقداحاً، ففعل، وقام الخادم لحاجته، فجعل أبوليلي في فراشه ثياباً تشبه إنساناً نائماً، وغطاها باللحاف، وقال لجارية كانت تخدمه: إذا عاد شفيح قولي له نائم. ومضى أبوليلي، فاختنفى ظاهر الدار، وقد أخرج قيده من رجله، فلما عاد شفيح، قالت له الجارية: هو نائم؛ فأغلق الباب ومشى إلى داره ونام فيها، فخرج أبوليلي وأخذ السيف من عند شفيح وقتله، فوثب الغلمان، فقال لهم أبوليلي: قد قتل شفيحاً، ومن تقدم إليّ قتلته، فأنتم آمنون! فخرجوا من الدار، واجتمع الناس إليه فكلّمهم، ووعدهم الإحسان، وأخذ عليهم الأيمان، وجمع الأكراد وغيرهم، وخرج مخالفاً على المعتضد. وكان قتل شفيح في ذي القعدة.

ولما خرج أبوليلي على السلطان، قصده عيسى النّوشري، فاقتتلوا، فأصاب أبا ليلي في حلقة سهم فنحره، فسقط عن دابته، وانهزم أصحابه وحمل رأسه إلى أصبهان ثم إلى بغداد.

* * *

أبو محمد بن عبد الله السفيفي

... خلع أبو الورد مجزاة بن الكوثر بن زُفر بن الحارث الكلابي، وكان من أصحاب مروان وقواده.

وكان سبب ذلك أن مروان لما انهزم، قام أبو الورد بقنسرين، فقدمها عبد الله بن علي، فبايعه أبو الورد، ودخل فيما دخل فيه جنده، وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له ببالس والناعورة، فقدم بالبس قائد من قواد عبد الله بن علي، فبعث بولد مسلمة ونسائهم، فشكا بعضهم ذلك إلى أبي الورد، فخرج من مزرعة له يقال لها خُساف، فقتل ذلك القائد ومن معه وأظهر التبييض والخلع لعبد الله، ودعا أهل قنسرين إلى ذلك، فبيّضوا أجمعهم، والسفاح يومئذ بالحيرة، وعبد الله بن علي مشغول بحرب حبيب بن مرة المري بأرض البلقاء وحووران والبشنة.

فلما بلغ عبد الله تبييض أهل قنسرين وخلعهم صالح بن مرة وسار نحو قنسرين للقاء أبي الورد، فمرّ بدمشق فخلف بها أبا غانم عبد الحميد بن ربيعي الطائي في أربعة آلاف، وكان بدمشق أهل عبد الله وأمّهات أولاده وثقله، فلما قدم حمص انتفض له أهل دمشق، وبيّضوا وقاموا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سُرّاقة الأزدي، فلقوا أبا غانم ومن معه، فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة وانتهبوا ما كان عبد الله خلف من ثقله، ولم يعرضوا لأهله، واجتمعوا على الخلاف. وسار عبد الله، وكان قد اجتمع مع أبي الورد جماعة من أهل قنسرين، وكاتبوا من يليهم من أهل حمص وتدمر، فقدم منهم ألفوف عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، ودعوا إليه، وقالوا هذا السفيناني الذي كان يُذكر، وهم في نحو أربعين ألفاً، فعسكروا بمرج الأخرم، ودنا منهم عبد الله بن علي ووجه إليهم أخاه عبد الصمد بن علي في عشرة آلاف، وكان أبو الورد هو المدبر لعسكر قنسرين وصاحب القتال، فناهضهم القتال، وكثر القتل في الفريقين، وانكشف عبد الصمد ومن معه، وقتل منهم ألفوف ولحق بأخيه عبد الله.

فأقبل عبد الله ومعه جماعة القواد، فالتقوا ثانية بمرج الأخرم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وثبت عبد الله، فانهزم أصحاب أبي الورد، وثبت هو في نحو من خمسمائة من قومه وأصحابه فقتلوا جميعاً، وهرب أبو محمد ومن معه حتى لحقوا بتدمر، وآمن عبد الله أهل قنسرين وسودوا، وبايعوه ودخلوا في طاعته.

ثم انصرف راجعاً إلى أهل دمشق لما كان من تبسّضهم عليه، فلمّا دنا منهم هرب الناس ولم يكن منهم قتال، وآمن عبدُ الله أهلها وبايعوه، ولم يأخذهم بما كان منهم.

ولم يزل أبو محمّد السفينانيّ متغيّباً هارباً، ولحق بأرض الحجاز، وبقي كذلك إلى أيام المنصور، فبلغ زيادُ بن عبد الله الحارثيّ عامل المنصور مكانه، فبعث إليه خيلاً، فقاتلوه، فقتلوه وأخذوا ابنيّ له أسيرين، فبعث زيادُ برأس أبي محمّد بن عبد الله السفينانيّ وبابنيّه، فأطلقهما المنصور وآمنهما.

وقيل: إن حرب عبد الله وأبي الورد كانت في سنة ثلاث وثلاثين ومائة.

* * *

أحمد بن عليّ

في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، سار يوسف بن أبي الساج من أذربيجان إلى الريّ، فحاربه أحمد بن عليّ أخو صعلوك، فانهزم أصحاب أحمد وقتل هو في المعركة، وأنفذ رأسه إلى بغداد؛ وكان أحمد بن عليّ قد فارق أخوه صعلوكاً، وسار إلى المقتدر، فأقطع الريّ، وهادن ماكان بن كالي، وأولاد الحسن بن عليّ الأطروش، وهم بطبرستان، وجرجان، وفارق طاعة المقتدر وعصى عليه؛ ووصل رأسه إلى بغداد.

وكان ابن الفرات يقع في نصر الحاجب ويقول للمقتدر، إنّه هو الذي أمر أحمد بن عليّ بالعصيان لمودّة بينهما. وكان قتلُ أحمد بن عليّ آخر ذي القعدة، واستولى ابن أبي الساج على الريّ...

* * *

أحمد بن محمّد بن عبد الله

في سنة خمس وخمسين ومائتين، ظهر بمصر إنسان علويّ، ذكر أنّه أحمد بن محمّد بن عبد الله بن إبراهيم بن طباطبا، وكان ظهوره بين برقة

والإسكندرية، وسار إلى الصعيد، وكثر أتباعه، وأدعى الخلافة، فسير إليه أحمد بن طولون جيشاً، فقاتلوه، وانهزم أصحابه عنه، وثبت هو فقتل، وحمل رأسه إلى مصر.

* * *

أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي

في سنة إحدى وثلاثين ومائتين، تحرّك ببغداد قوم مع أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، وجدّه مالك، أحد نقباء بني العباس.

وكان سبب هذه الحركة، أنّ أحمد بن نصر، كان يغشاه أصحاب الحديث كابن معين، وابن الدُّورقي، وابن زهير، وكان يخالف مَنْ يقول القرآن مخلوق، ويطلق لسانه فيه، مع غلظة بالوائق، وكان يقول، إذا ذكر الواصل: فعل هذا الخنزير، وقال هذا الكافر، وفشا ذلك؛ فكان يغشاه رجل يُعرف بأبي هارون الشداخ، وآخر يقال له طالب، وغيرهما، ودعوا الناس إليه، فبايعوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفرّق أبوهارون وطالب في الناس مالاً، فأعطيا كل رجل ديناراً، وأتعدوا ليلة الخميس لثلاث خلت من شعبان ليضربوا بالطليل فيها، ويشوروا على السلطان.

وكان أحدهما في الجانب الشرقي من بغداد والآخر في الجانب الغربي، فاتفق أنّ مَن بايعهم رجلين من بني الأشرس شرباً نبذاً ليلة الأربعاء، قبل الموعد بليلة، فلمّا أخذ منهم ضربوا الطبل، فلم يجبههم أحد.

وكان إسحاق بن إبراهيم صاحب الشرطة، غائباً عن بغداد، وخليفته أخوه محمد بن إبراهيم، فأرسل إليهم محمد يسألهم عن قصّتهم، فلم يظهر أحد، فذُلّ على رجل يكون في الحمام مُصاب العين، يُعرف بعيسى الأعور، فأحضره وقرّره، فأقرّ على بني الأشرس، وعلى أحمد بن نصر، وغيرهما، فأخذ بعض من سُمّي، وفيهم طالب، وأبوهارون، ورأى في منزل بني الأشرس علّمين أخضرين، ثم أخذ خادماً لأحمد بن نصر، فقرّره، فأقرّ بمثل ما قال عيسى، فأرسل إلى أحمد بن

نصر، فأخذه وهو في الحمّام، وحُمِلَ إليه، وفُتِّش بيته، فلم يوجد فيه سلاح، ولا شيء من الآلات، فسيّرهم محمّد بن إبراهيم إلى الواصلين على أكف بغال، ليس تحتهم وطاء إلى سامرا.

فلما علم الواصلين بوصولهم، جلس لهم مجلساً عاماً فيه أحمد بن أبي دؤاد، وكان كارهاً لقتل أحمد بن نصر، فلما حضر أحمد عند الواصلين، لم يذكر له شيئاً من فعله والخروج عليه، ولكنّه قال له: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، وكان أحمد قد استقتل، فتطيّب وتنوّر؛ وقال الواصلين: أمخلوق هو؟ قال: كلام الله. قال: فما تقول في ربّك، أترأه يوم القيامة؟ قال: يا أمير المؤمنين! قد جاءت الأخبار عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: ترون ربّكم يوم القيامة كما ترون القمر، قال: لا تضامون في رؤيته، فنحن على الخبر. وحدّثني سُفيان بحديث رفعه، أن قلب ابن آدم المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلّبه، وكان النبي ﷺ، يدعو: يا مُقلّب القلوب والأبصار، ثبّت قلبي على دينك.

قال إسحاق بن إبراهيم: انظر ما يقول. قال: أنت أمرتني بذلك، فخاف إسحاق، وقال: أنا أمرتك؟ قال: نعم، أمرتني أن أنصح له، ونصحتي له أن لا يخالف حديث رسول الله ﷺ، فقال الواصلين لمن حوله: ما تقولون فيه؟ فقال عبد الرحمن بن إسحاق، وكان قاضياً على الجانب الغربي: وعزّك يا أمير المؤمنين، هو حلال الدم.

وقال بعض أصحاب ابن أبي دؤاد: اسقني دمه، وقال ابن أبي دؤاد: هو كافر يُستتاب لعلّ به عاهة ونقص عقل، كأنّه كره أن يُقتل بسببه، فقال الواصلين: إذا رأيتموني قد قمتُ إليه، فلا يقوم أحد، فإنّي أحسب خطايَ إليه.

ودعا بالصّمصامة سيف عمرو بن معدي كرب الزبيديّ، ومشى إليه، وهو في وسط الدار على نطح، فضربه على حَبْل عاتقه، ثم ضربه أخرى على رأسه، ثم ضرب سيما الدمشقيّ رقبته وحزّ رأسه، وطعنه الواصلين بطرف الصّمصامة في بطنه، وحمل حتى صُلب عند بابك، وحُمِلَ رأسه إلى بغداد، فنُصب بها، وأقيم عليه

الحرس، وكتب في أذنه رُقعة: هذا رأس الكافر، المشرك الضالّ، أحمد بن نصر؛ وتتبّع أصحابه، فجعلوا في الحبوس.

* * *

أحوال السّفّاح

في سنة أربع وثلاثين ومائة، خلع بسّام بن إبراهيم بن بسّام، وكان من فرسان أهل خراسان، وسار من عسكر السّفّاح هو وجماعة على رأيهِ سرّاً إلى المدائن، فوجّه إليهم السّفّاحُ خازم بن خُزَيْمة، فاقتتلوا، فانهزم بسّام وأصحابه، وقتل أكثرهم، وقتل كلّ من لحقه منهزماً؛ ثمّ انصرف، فمرّ بذات المطامير، وبها أحوال السّفّاح من بني عبد المدان، وهم خمسة وثلاثون رجلاً، ومن غيرهم ثمانية عشر رجلاً، ومن مواليتهم سبعة عشر، فلم يسلم عليهم، فلمّا جازهم شتموه، وكان في قلبه عليهم ما كان لما بلغه عنهم من حال المُغيرة بن الفرع، وأتته لجأ إليهم، وكان من أصحاب بسّام، فرجع إليهم وسألهم عن المُغيرة، فقالوا: مرّ بنا رجل مجتاز لا نعرفه، فأقام في قريتنا ليلة، ثم خرج عنّا. فقال لهم: أنتم أحوال أمير المؤمنين يأتاكم عدوّه ويأمن في قريتكم! فهلاً اجتمعتم، فأخذتموه! فأغلظوا له في الجواب، فأمر بهم، فضربت أعناقهم جميعاً، وهدم دورهم، ونهب أموالهم، ثم انصرف.

فبلغ ذلك اليمانيّة، فاجتمعوا، ودخل زياد بن عبد الله الحارثي معهم على السّفّاح، فقالوا له: إن خازماً اجترأ عليك، واستخفّ بحقّك وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد، وأتوك معتزّين بك طالين معروفك حتى صاروا في جوارك، قتلهم خازم وهدم دورهم ونهب أموالهم بلا حدث أحدثوه. فهمّ بقتل خازم، فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية، فدخلا على السّفّاح، وقالوا: يا أمير المؤمنين، بلغنا ما كان من هؤلاء، وأنك هممت بقتل خازم، وإنّا نعيذك بالله من ذلك، فإنّ له طاعة وسابقة وهو يُحتمل له ما صنع، فإنّ شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب والأولاد وقتلوا مَنْ خالفكم، وأنت أحقّ مَنْ تغمدّ إساءة مسيئهم، فإن

كُنْتُ لَا بَدَّ مُجْمَعاً عَلَى قَتْلِهِ، فَلَا تَتَوَلَّ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ، وَابْعَثْهُ لِأَمْرِ إِنْ قُتِلَ فِيهِ كُنْتُ قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي تَرِيدُ، وَإِنْ ظَفَرَ كَانَ ظَفْرُهُ لَكَ.

وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِتَوَجُّيهِهِ إِلَى مَنْ بُعْثَانِ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَإِلَى الْخَوَارِجِ الَّذِينَ بِجَزِيرَةِ ابْنِ كَاوَانَ مَعَ شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الشُّكْرِيِّ، فَأَمَرَ السَّفَاحَ بِتَوَجُّيهِهِ مَعَ سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ، وَكُتِبَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ، وَهُوَ عَلَى الْبَصْرَةِ، بِحَمْلِهِمْ إِلَى جَزِيرَةِ ابْنِ كَاوَانَ وَعُمَانَ، فَسَارَ خَازِمٌ.

* * *

الأسود العنسي

وَأَسَمَهُ عَيْهَلَةُ بْنُ كَعْبٍ بْنُ عَوْفٍ الْعَنْسِيُّ، وَعَنْسٌ بَطْنٌ مِنْ مَذْحِجٍ، وَكَانَ يَلْقَبُ ذَا الْخَمَارِ، لِأَنَّهُ كَانَ مَعْتَمِماً مَتَخَمِراً أَبَداً.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ، قَدْ جَمَعَ لِبَاذَانَ حِينَ أَسْلَمَ وَأَسْلَمَ أَهْلَ الْيَمَنِ عُمَلَ الْيَمَنِ جَمِيعَهُ، وَأَمَّرَهُ عَلَى جَمِيعِ مَخَالِيفِهِ، فَلَمْ يَزَلْ عَامِلاً عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ. فَلَمَّا مَاتَ بِبَاذَانَ، فَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَمْرَاءَهُ فِي الْيَمَنِ، فَاسْتَعْمَلَ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ عَلَى نَجْرَانَ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ عَلَى الْعَاصِ عَلَى مَا بَيْنَ نَجْرَانَ وَزَبِيدٍ، وَعَامِرُ بْنُ شَهْرٍ عَلَى هَمْدَانَ، وَعَلِيٌّ صَنْعَاءَ شَهْرَ ابْنِ بَاذَانَ، وَعَلِيٌّ عَكَّ وَالْأَشْعَرِيْنَ الطَّاهِرِينَ أَبِي هَالَةَ، وَعَلِيٌّ مَأْرِبَ أَبَا مُوسَى، وَعَلِيٌّ الْجَنْدِ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ، وَكَانَ مُعَاذٌ مُعَلِّماً يَتَّقِلُ فِي عِمَالَةِ كُلِّ عَامِلٍ بِالْيَمَنِ وَحَضْرَمَوْتَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى أَعْمَالِ حَضْرَمَوْتَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيَّ، وَعَلَى السَّكَاكِ وَالسُّكُونِ عُكَّاشَةُ بْنُ ثَوْرٍ، وَعَلَى بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ كَنْدَةَ عَبْدُ اللَّهِ أَوِ الْمَهَاجِرِ، فَاشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَذْهَبْ حَتَّى وَجَّهَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهَؤُلَاءِ عَمَّالُهُ عَلَى الْيَمَنِ وَحَضْرَمَوْتَ.

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ اعْتَرَضَ الْأَسْوَدَ الْكَاذِبَ شَهْرُ وَفَيْرُوزَ وَدَاوَيْهَ، وَكَانَ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ لَمَّا عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَتَمَرَّضَ مِنَ السَّفَرِ غَيْرَ مَرَضٍ مَوْتَهُ بَلَغَهُ ذَلِكَ، فَادَّعَى النَّبُوَّةَ، وَكَانَ مُشْعَبُذاً يُرِيهِمُ الْأَعَاجِيبَ، فَاتَّبَعْتَهُ مَذْحِجٌ، وَكَانَتْ رِدَّةُ الْأَسْوَدِ أَوَّلَ رِدَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَغَزَا نَجْرَانَ، فَأَخْرَجَ

عنها عمرو بن حَرْمٍ وخالد بن سعيد، ووثب قيس بن عبد يغوث بن مكشوح على فَرْوة بن مُسَيْكٍ، وهو على مُراد، فأجلاه ونزل منزله، وسار الأسود عن نجران إلى صنعاء، وخرج إليه شَهْر بن باذان فلقيه، فقتل شَهْرَ لخمس وعشرين ليلة من خروج الأسود، وخرج مُعَاذ هارباً حتى لحق بأبي موسى وهو بمأرب، فلحقا بحضرموت، ولحق بفَرْوة مَنْ تَمَّ على إسلامه من مَذْحِجٍ.

واستتبَّ للأسود مُلْكُ اليمن، ولحق أمراء اليمن إلى الطاهر بن أبي هالة إلا عَمراً وخالداً، فإنَّهما رجعا إلى المدينة والطاهر بجمال عكَّ وجبال صنعاء، وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والإحساء إلى عدن، واستطار أمره كالحرِّق، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهراً سوى الركبان، واستغلظ أمره، وكان خليفته في مَذْحِجٍ عمرو بن معدي كرب، وكان خليفته على جنده قيس بن عبد يغوث، وأمر الأبناء إلى فيروز ودازويه.

وكان الأسود تزوَّج امرأة شَهْر بن باذان بعد قتله، وهي ابنة عم فيروز. وخاف من بحضرموت من المسلمين أن يبعث إليهم جيشاً، أو يظهر بها كذاب مثل الأسود، فتزوَّج مُعَاذ إلى السُّكون، فعطفوا عليه.

وجاء إليهم وإلى مَنْ باليمن من المسلمين، كتب النبي ﷺ، يأمرهم بقتال الأسود، فقام مُعَاذ في ذلك وقويت نفوس المسلمين، وكان الذي قدم بكتاب النبي ﷺ، وَبُرُّ بن يُحْنَسِ الأزدي، قال جِشْنَسُ الديلمي: فجاءتنا كتب النبي ﷺ، يأمرنا بقتاله، إمَّا مصادمةً أو غيلةً، يعني إليه وإلى فيروز ودازويه، وأن نكتب مَنْ عنده دين. فعملنا في ذلك، فرأينا أمراً كثيفاً، وكان قد تغير لقيس بن عبد يغوث، فقلنا: إنَّ قيساً يخاف على دمه فهو لأوَّل دعوة، فدعونا وأبلغناه عن النبي ﷺ، فكأنَّما نزلنا عليه من السماء، فأجابنا، وكاتبنا الناس. فأخبره الشيطان شيئاً من ذلك، فدعا قيساً، فأخبره أنَّ شيطانه يأمره بقتله لميله إلى عدوِّه، فحلف قيس: لأنت أعظم في نفسي من أن أهدِّث نفسي بذلك. ثم أتانا، فقال: يا جِشْنَسُ، ويا فيروز، ويا دازويه، فأخبرنا بقول الأسود. فبينما نحن معه يحدثنا، إذ أرسل إلينا الأسود فتهدَّدنا، فاعتذرنا إليه ونجونا منه، ولم نَكُذْ وهو مرتابٌ بنا ونحن نحذره، فبينما نحن

على ذلك إذ جاءتنا كتب عامر بن شَهْر وذو زُور وذو مُرَّان وذو الكَلَّاع وذو ظَلَمٍ يبدلون لنا النصر، فكاتبناهم وأمرناهم أن لا يفعلوا شيئاً حتى نُبرِّم أمرنا، وإنما اهتمجوا لذلك حين كاتبهم النبي ﷺ، وكتب أيضاً إلى أهل نجران، فأجابوه، وبلغ ذلك الأسود وأحسَّ بالهلاك.

قال: فدخلتُ على آزاد، وهي امرأته التي تزوّجها بعد مقتل زوجها شهر بن باذان، فدعوته إلى ما نحن عليه وذكّرتها قتل زوجها شَهْر، وإهلاك عشيرتها وفضيحة النساء. فأجابت وقالت: والله ما خلق الله شخصاً أبغض إليّ منه، ما يقوم لله على حقّ ولا ينتهي عن محرّم، فأعلموني أمركم أخبركم بوجه الأمر. قال: فخرجتُ وأخبرتُ فيروز ودازويه وقيساً. قال: وإذ قد جاء رجل، فدعا قيساً إلى الأسود، فدخل في عشرة من مذحج وهمدان، فلم يقدر على قتله معهم، وقال له: ألم أخبرك الحقّ وتخبرني الكذب؟ إنّه، يعني شيطانه، يقول لي: إلّا تقطع من قيس يده يقطع رقبتك. فقال قيس: إنّه ليس من الحقّ أن أهلك وأنت رسول الله، فمرني بما أحببت أو اقتلني، فموتة أهون من موتات. فرق له وتركه، وخرج قيس، فمرّ بنا وقال: اعملوا عملكم. ولم يقعد عندنا. فخرج علينا الأسود في جمع، فقمنا له وبالباب مائة ما بين بقرّة وبعير، فنحراها ثمّ خلّاه، ثم قال: أحقّ ما بلغني عنك يا فيروز؟ - وبوّأ له الحربة - لقد هممت أن أنحرك، فقال: اخترتنا لصهرك وفضّلتنا، فلو لم تكن نبياً لما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الدنيا والآخرة! فقال له: أقسم هذه، فقسمها ولحق به وهو يسمع سعاية رجل بفيزروز وهو يقول له: أنا قاتله غداً وأصحابه، ثمّ التفت، فإذا فيروز، فأخبره بقسمتها، ودخل الأسود ورجع فيروز، فأخبرنا الخبر، فأرسلنا إلى قيس فجاءنا، فاجتمعنا على أن أعود إلى المرأة، فأخبرها بعزيمتنا ونأخذ رأيها، فأتيتها فأخبرتها، فقالت: هو متحرّز وليس من القصر شيء إلّا والحرس محيطون به غير هذا البيت، فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه، فإنّكم من دون الحرس وليس دون قتله شيء، وستجدون فيه سراجاً وسلاحاً.

فتلقاني الأسود خارجاً من بعض منازل، فقال: ما أدخلك عليّ؟ ووجأ رأسي

حتى سقطت، وكان شديداً، فصاحت المرأة، فأدهشته، وقالت: جاءني ابن عمي زائراً ففعلت به هذا؟ فتركني، فأتيت أصحابي، فقلت: النجاء! الهرب! وأخبرتهم الخبر.

فلما على ذلك حيارى، إذ جاءنا رسولها يقول: لا تدعن ما فارقتك عليه، فلم أزل به حتى اطمأن، فقلنا لفيروز: إيتها، فتبثت منها. ففعل، فلما أخبرته، قال: ننقب على بيوت مبطنة، فدخل فافتلح البطانة وجلس عندها كالزائر، فدخل عليها الأسود، فأخذته غيرة، فأخبرته برضاع وقرابة منها [عنده] محرم، فأخرجه. فلما أمسينا عملنا في أمرنا وأعلمنا أشياعنا وعجلنا عن مراسلة الهمدانيين والحميريين، فنقبت البيت ودخلنا، وفيه سراج تحت جفنة، وأتقينا بفيروز، كان أشدنا، فقلنا: انظر ماذا ترى! فخرج ونحن بينه وبين الحرس. فلما دنا من البيت سمع غطيظاً شديداً والمرأة قاعدة، فلما قام على باب البيت أجلسه الشيطان وتكلم على لسانه، وقال: مالي ولك يا فيروز! فخشى، إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل، فأخذ برأسه، فقتله ودق عنقه، ووضع ركبته في ظهره، فدق، ثم قام ليخرج، فأخذت المرأة بشوبه وهي ترى أنه لم يقتله، فقال: قد قتلت وأرحتك منه، وخرج فأخبرنا، فدخلنا معه، فخار كما يخور الثور، فقطعت رأسه بالشفرة، وابتدر الحرس المقصورة يقولون: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبي يوحى إليه! فخدموا، وقعدنا نأتمر بيننا، فيروز ودازويه وقيس، كيف نخبر أشياعنا، فاجتمعنا على النداء. فلما طلع الفجر نادينا بشعارنا الذي بيننا وبين أصحابنا، ففرغ المسلمون والكافرون، ثم نادينا بالأذان، فقلت أشهد أن محمداً رسول الله وأن عياله كذاب! وألقينا إليهم رأسه، وأحاط بنا أصحابه وحرسه، وشنوا الغارة وأخذوا صبياناً كثيرة وانتهبوا، فناديناهم أهل صنعاء من عنده منهم فأمسكه، ففعلوا. فلما خرج أصحابه فقدوا سبعين رجلاً، فراسلونا وراسلناهم على أن يتركوا لنا ما في أيديهم ونترك ما في أيدينا، ففعلنا، ولم يظفروا منا بشيء وترددوا في ما بين صنعاء ونجران. وتراجع أصحاب النبي ﷺ إلى أعمالهم، وكان يصلي بنا معاذ بن جبل، وكتبنا إلى رسول الله ﷺ بخبره، وذلك في حياته. . وأتاه الخبر من ليلته، وقدمت

رسلنا، وقد توفي رسول الله ﷺ، فأجابنا أبو بكر: قال ابن عمر: أتى الخبر من السماء إلى النبي ﷺ، في ليلته التي قُتل فيها؟ فقال: قُتل العنسي، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين، وقيل مَنْ قتله؟ قال: قتله فيروز.

* * *

أصحاب أبي أحمد شقيق المعتمد

في ربيع الأول من سنة ثمان وخمسين ومائتين، عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على ديار مصر، وقنّسرين، والعواصم، وخلع عليه وعلى مُفلح في ربيع الآخر، وسيّرهما إلى حرب الزنج بالبصرة، وركب المعتمد معه يشيعة، وسار نحو البصرة، ونازل العلويّ وقتله.

وكان سبب تسييره ما فعله بالبصرة، وأكبر الناس ذلك، وتجهّزوا في عدّة حسنة كاملة، وصحبه من سوقة بغداد خلق كثير.

وسار يحيى بن محمّد البَحْرانيّ إلى نهر العباس، ومعه أكثر الزنوج، فبقي صاحبهم في قلّة من الناس، وأصحابه يغادون البصرة ويراوحونها لنقل ما نالوه منها، فلما نزل عسكر أبي أحمد بنهر معقل، احتفل من فيه من الزنوج إلى صاحبهم مرعوبين، وأخبروه بعظم الجيش وأنّهم لم يرد عليه مثله، وأحضر رئيسيّ من أصحابه، فسألهما عن قائد الجيش فلم يعرفاه، فجزع وارتاع.

ثمّ أرسل إلى عليّ بن أبان يأمره بالمسير إليه فيمن معه، فلمّا كان يوم الأربعاء لاثني عشرة بقيت من جمادي الأولى أتاه بعض قواده، فأخبره بمجيء العسكر وتقدهمهم، وأنّهم ليس في وجوههم من يردّهم من الزنوج، وكذّبه، وسبّه، وأمر فنودي في الزنوج بالخروج إلى الحرب، فخرجوا، فأرأوا مُفلحاً قد أتاهم في عسكر لحربهم، فقاتلهم، فبينما مُفلح يقاتلهم إذ أتاه سهم غرب لا يُعرف من رمى به، فأصابه، فرجع وانهزم أصحابه، وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وحملوا الرؤوس إلى العلويّ، واقتسم الزنج لحوم القتلى. وأُتي بالأسرى، فسألهم عن قائد الجيش،

فأخبروه أنه أبو أحمد، ومات مُفلح من ذلك السهم، فلم يلبث العلويُّ إلا يسيراً حتى وافاه عليُّ بن أبان.

ثم إنَّ أبا أحمد رحل نحو الأبلَّة ليجمع ما فرَّقته الهزيمة، ثم سار إلى نهر أبي الأسد، ولمَّا علم الخبيث كيف قُتل مُفلح، ولم يرَ أحداً يدَّعي قتله، زعم أنَّه هو الذي قتله، وكذب فإنَّه لم يحضره...

... ثم انحاز أبو أحمد من موضعه إلى واسط؛ وكان سبب ذلك أنَّه لمَّا سار إلى نهر أبي الأسد كثرت الأمراض في أصحابه، وكثر فيهم الموت، فرجع إلى باذاورد فأقام به، وأمر بتجديد الآلات، وإعطاء الجند أرزاقهم، وعاد إلى عسكر الزنج وأمر جماعة من قوَّاده بقصد مواضع سمَّاها من نهر أبي الخَصِيب وغيره، وبقي معه جماعة، فمال أكثر الخلق، حين التقى الناس ونشبت الحرب، إلى نهر أبي الخَصِيب، وبقي أبو أحمد في قلَّة من أصحابه، فلم يزل عن موضعه خوفاً أن يطمع الزنج.

ولما رأى الزنج قلَّة من معه طمعوا فيه، وكثروا عليه، واشتدت الحرب عنده، وكثر القتل والجراح، وأحرق أصحاب أبي أحمد منازل الزنوج واستنفذوا من النساء جمعاً كثيراً، ثم ألقى الزنج جدَّهم نحوه، فلمَّا رأى أبو أحمد ذلك علم أن الحزم في المحاجزة، فأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم على مهل وتؤدَّة. واقتطع الزنج طائفة من أصحابه، فقاتلوهم، فقتلوا من الزنج خلقاً كثيراً، ثم قُتلوا جميعهم وحُمِلت رؤوسهم إلى قائد الزنج، وهي مائة رأس وعشرة رؤوس، فزاد ذلك في عتوه. ونزل أبو أحمد في عسكره ببذاورد، فأقام يعبىء أصحابه للرجوع إلى الزنج، فوقعت نار في أطراف عسكره، في يوم ريح عاصف، فاحترق كثير منه، فرحل منها إلى واسط، فلمَّا نزل واسط تفرَّق عنه عاتمة أصحابه، فسار منها إلى سامِّرا، واستخلف على واسط لحرب العلوي، محمَّد بن المولَّد.

* * *

أصحاب بابك الخرمي

في سنة عشرين ومائتين عقد المعتصم للأفشين حيدر بن كاوس على الجبال، ووجهه لحرب بابك فسار إليه.

وكان ابتداء خروج بابك سنة إحدى ومائتين، فكانت مدينته البذل، وهزم من جيوش السلطان عدّة، وقتل من قوّاده جماعة، فلمّا أفضى الأمر إلى المعتصم، وجهه أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل، وأمره أن يبني الحصون التي أخربها بابك فيما بين زنجان وأردبيل، ويجعل فيها الرجال تحفظ الطرق لمن يجلب الميرة إلى أردبيل، فتوجه سعيد لذلك وبني الحصون.

وجه بابك سرية في بعض غزاته، فأغارت على بعض النواحي ورجعت منصرفاً؛ وبلغ ذلك أبا سعيد، فجمع الناس، وخرج في طلب السرية، فاعترضها في بعض الطرق، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل أبو سعيد من أصحاب بابك جماعة، وأسر جماعة، واستنقذ ما كانوا أخذوه، وسير الرؤوس والأسرى إلى المعتصم، فكانت هذه أول هزيمة على أصحاب بابك.

ثمّ كانت الأخرى لمحمد بن البغيث، وذلك أن محمداً، كان في قلعة له حصينة تسمى الشاهي، كان ابن البغيث قد أخذها من ابن الرواد، وهي من كورة أذربيجان، وله حصن آخر من أذربيجان يسمى تبريز، وكان مصالحاً لبابك، تنزل سراياته عنده، فيضيّفهم حتى أنسوا به، ثمّ أن بابك وجه قائداً اسمه عصمة، من أصبهبديته في سرية، فنزل بابن البغيث، فأنزل له الضيافة على عاداتها، واستدعاه له في خاصّته ووجوه أصحابه، فصعد فغذّاهم، وسقاهم الخمر حتى سكروا، ثمّ وثب على عصمة، فاستوثق منه، وقتل من كان معه من أصحابه، وأمره أن يسمي رجلاً من أصحابه، فكان يدعو الرجل باسمه، فيصعده فيضرب عنقه، حتى علموا بذلك فهربوا. وسير عصمة إلى المعتصم، فسأل المعتصم عصمة عن بلاد بابك، فأعلمه طرقه ووجوه القتال فيها، ثمّ ترك عصمة محبوساً، فبقي إلى أيام الواصل.

* * *

أصحاب الحسين بن إبراهيم

... وجاء نفر من الأتراك إلى باب الشَّماسيَّة، ومعهم كتاب من المعتزِّ إلى محمَّد بن عبد الله، فاستأذنه أصحابه في أخذه، فأذن لهم، فإذا فيه تذكير محمَّد بما يجب عليه من حفظ العهد القديم، وأن الواجب كان عليه أن يكون أوَّل من يسعى في أمره ويؤكِّد خلافته. فما ردَّ عليه محمَّد جواب الكتاب، وكانت وقعة بينهم لسبع خلون من ربيع الآخر، قُتل من الأتراك سبع مائة ومن أصحاب محمَّد ثلاثمائة.

ثم أمر محمَّد بن عبد الله أبا الساج بالمسير إلى المدائن وأمَّده بثلاثة آلاف فارس وألفي راجل. ثم سَير نجوبة بن قيس إلى الأنبار فأقام بها، وجمع بها نحواً من ألفي رجل، وأمَّده محمَّد بن عبد الله بألف وخمسمائة، وشقَّ الماء من الفرات إلى خندقها، ففاض على الصحاري، فصار بطيخة واحدة، وقطع القناطر، وسَير المعتزِّ چنداً مع عليِّ الأسحاقيِّ نحو الأنبار، فوصلوا ساعة وصلها مدد محمَّد وقد نزلوا ظاهرها، فاقتتلوا أشدَّ قتال، فانهزم مدد محمَّد بن عبد الله، ورجعوا في الطريق الذي جاؤوا فيه إلى بغداد.

وكان نجوبة بالأنبار لم يخرج منها، فلمَّا بلغه هزيمة مدده، ومسير الأتراك إليه، عبر إلى الجانب الغربي، وقطع الجسر وسار نحو بغداد، فاختار محمَّد بن عبد الله إنفاذ الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم إلى الأنبار في جماعة من القوَّاد والجنود، فجَهَّزهم، وأخرج لهم رزق أربعة أشهر، وخرج الجنود، وعرضهم الحسين، وسار عن بغداد يومَ الخميس لسبع بقين من جمادي الأولى وتبعه الناس، والقوَّاد، وبنوهاشم إلى الياصريَّة. وكان أهل الأنبار لمَّا دخلها الأتراك قد أمَّنوهم، ففتحوا دكاكينهم وأسواقهم، ووافاهم سفن من الرِّقَّة تحمل الدقيق والزيت وغير ذلك، فانتهبها الأتراك وحملوها إلى منازلهم بسامرا، ووجَّهوا بالأسرى وبالرؤوس معها.

وسار الحسين حتى نزل دِمَّما، ووافته طلائع الأتراك فوق دِمَّما، فصَفَّ أصحابه مقابل الأتراك، بينهما نهر، وكان عسكره عشرة آلاف رجل، وكان الأتراك زهاء ألف رجل، فتراموا بالسهم، فجرح بينهم عدد، وعاد الأتراك إلى الأنبار.

وتقدّم الحسين فنزل بمكان يُعرف بالقطيعة، واسع يحمل العسكر، فأقام فيه يومه، ثم عزم على الرحيل إلى قرب الأنبار. فلما بلغ المكان الذي يريد النزول به أمر الناس بالنزول، فأنت الأتراك جواسيسهم، وأعلموهم بمسيره، فأتاهم الأتراك والناس يحطّون أثقالهم، فنار أهل العسكر وقتلواهم فقتل بينهم قتلى من الفريقين، وحمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغرق منهم خلق كثير، وكان الأتراك قد كمنوا لهم كميناً، فخرج الكمين على بقية العسكر، فلم يكن لهم ملجأ إلاّ الفرات، وغرق من أصحابه خلق كثير، وقتل جماعة وأسر جماعة.

وأما الفرسان فهربوا لا يلوون على شيء، والقوادر ينادونهم: الرجعة، فلم يرجع أحد، فخافوا على نفوسهم، فرجعوا يحمون أصحابهم، وأخذ الأتراك عسكر الحسين بما فيه من الأموال والخلع التي كانت معه، وسلم ما كان معه من سلاح في السفن، لأنّ الملاحين حذروا السفن، فسلم ما معهم من سلاح وغير ذلك، ووصل المنهزمون إلى الياسريّة لستّ خلون من جمادي الآخرة.

ولما اتّصل خبر الهزيمة بمحمّد بن عبد الله بن طاهر منع المنهزمين من دخول بغداد، وناد: من وجدناه ببغداد من عسكر الحسين، بعد ثلاثة أيام، ضرب ثلاثمائة سوط، وأسقط من الديوان؛ فخرج الناس إلى الحسين بالياسريّة. وأمر عبد الله بعض الناس ليعلم من قتل، ومن غرق، ومن سلم. ففعلوا ذلك.

وأما كتاب بعض عيونهم من الأنبار يخبرهم أنّ القتلى كانت من الترك أكثر من مائتين، والجرحى نحو أربعمائة، وأن جميع من أسره الأتراك مائتان وعشرون رجلاً، وأنه عدّ رؤوس القتلى فكانت سبعين رأساً...

* * *

أصحاب لذريق بالأندلس

في سنة إحدى وخمسين ومائتين سيّر محمّد بن عبد الرحمن الأمويّ، صاحب الأندلس، جيشاً مع ابنه المنذر إلى بلاد المشركين في جمادي الآخرة،

فساروا، وقصدوا الملاحه . وكانت أموال لُذريق بناحية ألبه والقلاع، فلما عمّ المسلمون بلدهم بالخراب والنهب، جمع لُذريق عساكره، وسار يريداهم، فاكثفوا بموضع يقال له فجج المركوين، وبه تُعرف هذه الغزاة، فاقتتلوا، فانهزم المشركون، إلا أنهم لم يبعدوا، واجتمعوا بهضبة بالقرب من موضع المعركة، فتبعهم المسلمون، وحملوا عليهم، واشتد القتال، فولّى الفرنج منهزمين لا يلوون على شيء. وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون.

وكانت هذه الوقعة ثاني عشر رجب، وكان عدد ما أخذ من رؤوس المشركين ألفين وأربع مائة واثنين وتسعين رأساً، وكان فتحاً عظيماً وعاد المسلمون.

* * *

أصحاب محمد بن عبد الله

في سنة إحدى وخمسين ومائتين بويح للمعتز بالله؛ وكان سبب البيعة له أنه لما استقرّ المستعين ببغداد أتاه جماعة من قواد الأتراك المشغبيين، فدخلوا عليه، وألقوا أنفسهم بين يديه، وجعلوا مناطقهم في أعناقهم تذليلاً وخضوعاً، وسألوه الصفح عنهم والرضا. . . ثم إن المعتز عقد لأخيه أبي أحمد بن المتوكل، وهو الموفق، على حرب المستعين، ومحمد بن عبد الله، وولاه ذلك، وضم إليه الجيش، وجعل إليه الأمور كلها، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركي، فسار في خمسين ألفاً من الأتراك والفراغنة، وألفين من المغاربة. ووصل أبو أحمد وعسكره باب الشّمسية لسبع خلون من صفر، فقال بعض البصريين:

يا بني طاهر أترككم جنوداً إلى الله والموت بينها مشهور
وجيوش إمامهم أبو أحمد ممد نعمة المولى ونعم النصير

ولما نزل أبو أحمد بباب الشّمسية ولّى المستعين باب الشّمسية الحسين بن إسماعيل وجعل من هناك من القواد تحت يده، فلم يزل هناك مدة الحرب إلى أن ساروا إلى الأنبار، فلما كان عاشر صفر وافت طلائع الأتراك إلى باب الشّمسية، فوقفوا بالقرب منه، فوجّه محمد بن عبيد الله الحسين بن إسماعيل، وعزم على

الركوب لقتالهم وتوجيه الجيوش إلى القُفص ليعرضهم هناك وليهرب الأتراك، وركب ومعه وصيف وبُغا في الدروع، ومضى معه الفقهاء والقضاة، وبعث إليهم يدعوهم إلى الرجوع عما هم عليه من الطغيان والعصيان، وبذل لهم الأمان على أن يكون المعتز ولي العهد بعد المستعين، فلم يجيبوا، ومضى نحو باب قُطربُل، فنزل على شاطئ دجلة هو ووصيف وبُغا، ولم يمكنه التقدم لكثرة الناس فانصرف. وقدم عبید الله بن سليمان خليفة وصيف التركي من مكة في ثلاثمائة رجل، فخلع عليه محمد بن عبد الله، ووافى الأتراك في هذا اليوم باب الشَّماسيَّة، فخرج الحسين بن إسماعيل ومن معه من القوَّاد لمحاربتهم، فاقتتلوا وقتل من الفريقين، وجُرح، وكانوا في القتلى والجرحى على السواء، وانهزم أهل بغداد.

ثم سار جماعة من الأتراك إلى ناحية النُهرِوان، فوجَّه محمد بن عبد الله قائدين من أصحابه في جماعة وأمرهما بالمُقام بتلك الناحية، وحفظها من الأتراك، فسار إليهم الأتراك، فقاتلوه، فانهزم أصحاب محمد إلى بغداد، وأخذت دوابهم، فدخلوا بغداد منهزمين، ووجَّه الأتراك برؤوس القتلى إلى سامرا، واستولوا على طريق خراسان، وانقطع الطريق عن بغداد.

ووجَّه المعتز عسكرياً في الجانب الغربي فساروا إلى بغداد وجازوا قُطربُل، فضربوا عسكريهم هناك، وذلك لاثني عشرة خلت من صفر؛ فلما كان من الغد وجَّه محمد بن عبد الله عسكرياً إليهم، فلقىهم الشاه بن ميكال، فتحاربوا فانهزم أصحاب المعتز، خرج عليهم كمين لمحمد بن عبد الله، فانهزموا ووضع أصحاب محمد فيهم السيف، فقتلوه أكثر قتل، ولم يفلت منهم إلا القليل، ونُهب عسكريهم جميعه، ومن سلم من القتل ألقى نفسه في دجلة في عسكر أبي أحمد، فأخذه أصحاب السفن وحملوا الأسرى والرؤوس في الزواريق، فُنصب بعضها ببغداد.

ثم كانت للأتراك وقعة باب الشَّماسيَّة، فقاتلوا عليه قتالاً شديداً، حتى كشفوا من عليه ورموا به المِنْجنيق بالنار والنُفط، فلم يحرقه، ثم كثر الجند علي الباب، فأزالهم عن موقفهم بعد قتلى وجرحى؛ ووجَّه محمد بن عبد الله القَرَّادات في السفن فرموا بها رمياً شديداً، فقتلوا منهم نحو مائة؛ وكان بعض المقاربة قد

صار إلى السور، فرمى بكَلَاب، فتعلّق به، فأخذه المؤكّلون بالسور ورفعوه فقتلوه وألقوا رأسه إلى الأتراك، فرجعوا إلى معسكرهم.

ووجه المعتزّ عسكراً يبلغون ثلاثة آلاف، فعسكروا بإزاء عسكر أبي أحمد بباب قُطْرُبُل، وركب محمّد بن عبد الله في عسكره، وخرج من النظارة خلق كثير، فحاذى عسكر أبي أحمد، فكانت بينهم في الماء جولة وقتل من أصحاب أبي أحمد أكثر من خمسين رجلاً.

ولإحدى عشرة خلت من ربيع الأوّل وصل عسكر المعتزّ الذي سيّره إلى مقابل عسكر أخيه أبي أحمد عند عُكْبَرَا، فأخرج إليهم ابن طاهر عسكراً، فمضوا حتّى بلغوا قُطْرُبُل، وبها كمين الأتراك، فأوقع بهم، ونشبت الحرب بينهم، وقتل بينهم جماعة، واندفع أصحاب محمّد قليلاً إلى باب قُطْرُبُل، والأتراك معهم، فخرج الناس إليهم، فدفعوا الأتراك حتّى نحوهم، ثم رجعوا إلى أهل بغداد فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقُتل من الأتراك أيضاً خلق كثير، ثم تقدّم الأتراك إلى باب القطيعة، فنقبوا السور، فقتل أهل بغداد أوّل خارج منه، وكان القتل ذلك اليوم أكثره في الأتراك، والجراح والسهم في أهل بغداد.

ونذب عبد الله بن عبد الله بن طاهر الناس، فخرجوا معه، وأمر المؤكّل بباب قُطْرُبُل ألاّ يدع منهزماً يدخله، ونشبت الحرب، فانهزم أصحاب عبد الله، وثبت أسد بن داود حتّى قُتل، وكان إغلاق الباب على المنهزمين أشدّ من الأتراك، فأخذوا منهم الأسرى، وقتلوا فأكثر، وحملوا الأسرى، فلمّا رأهم أهل سامرا بكوا وضجّوا، وارتفعت أصواتهم، وأصوات نساءهم، فبلغ ذلك المعتزّ، فكره أن تغلظ قلوب الناس عليه، فأمر لكلّ أسير بدينار، وأمر بالرؤوس فدفنت.

* * *

أصحاب المخارق

من أحداث سنة اثنتين وثلاثين ومائة، أن قحطبة أرسل أبا عؤن عبد الملك بن يزيد الأزديّ إلى شَهْرزور، وأنّه قتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل، وأنّ

مروان بن محمد سار إليه من حرّان حتى بلغ الزاب وحفر خندقاً وكان في عشرين ومائة ألف، وسار أبو عَون إلى الزاب، فوجّه أبو سلمة إلى أبي عَون عَينَة بن موسى، والمِنْهَال بن فُتّان، وإسحاق بن طلحة، كلّ واحد في ثلاثة آلاف.

فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد في ألفين، وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة، وعبد الحميد بن ربيع الطائي في ألفين، ووداس بن نَصْلَة في خمسمائة إلى أبي عَون، ثم قال: مَنْ يسير إلى مروان من أهل بيتي؟ فقال عبد الله بن عليّ: أنا. فسيره إلى أبي عَون، فقدم عليه، فتحول أبو عون عن سرادقه وخلّاه له وما فيه.

فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة سأل عبدُ الله بن علي عن مخاضة فذلَّ عليها بالزّاب، فأمر عَينَة بن موسى، فعبر في خمسة آلاف، فانتهى إلى عسكر مروان، فقاتلهم حتى أمسوا، ورجع إلى عبد الله بن علي.

وأصبح مروان فقصد الجسر وعبر عليه، فنهاه وزراؤه عن ذلك، فلم يقبل وسير ابنه عبد الله، فنزل أسفل من عسكر عبد الله بن عليّ، فبعث عبدُ الله بن عليّ المخارق في أربعة آلاف نحو عبد الله بن مروان، فسرح إليه ابنُ مروان الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، فالتقيا، فانهزم أصحابُ المخارق وثبت هو فأسر هو وجماعة وسيرهم إلى مروان مع رؤوس القتلى، فقال مروان: أدخلوا عليّ رجلاً من الأسرى. فأتوه بالمخارق، وكان نحيفاً. فقال: أنت المخارق؟ قال: لا، أنا عبد من عبيد أهل العسكر. قال: فتعرف المخارق؟ قال: نعم. قال: فانظره هل تراه في هذه الرؤوس. فنظر إلى رأس منها، فقال: هو هذا. فخلّى سبيله، فقال رجل مع مروان حين نظر المخارق وهو لا يعرفه: لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم. وقيل: إن المخارق لمّا نظر إلى الرؤوس قال: ما أرى رأسه فيها ولا أراه إلا قد ذهب. فخلّى سبيله.

* * *

أَعْيَنَ

في سنة خمس وسبعين خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة واستخلف على الكوفة عُرْوَةَ بن المَغيرة بن شُعْبَةَ، فلَمَّا قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة وتوَعَّد مَنْ رآه منهم بعد ثلاثة ولم يلحق بالمهلب الذي بعثه بِشْرَ إلى الخوارج. ثُمَّ سار الحجاج إلى رُسْتَقْبَازَ وبينها وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً، وإنما أراد أن يَشْدَ ظهر المهلب وأصحابه بمكانه، فقام بِرُسْتَقْبَازَ خطيباً حين نزلها فقال: يا أهل المصرين! هذا المكان والله مكانكم شهراً بعد شهر وسنة بعد سنة حتى يَهْلِكَ الله عدوكم هؤلاء الخوارج المطلبين عليكم. ثم أنه خطب يوماً فقال: إن هذه الزيادة التي زادكم إِيَّاهَا ابنُ الزُبَيْرِ إنما هي زيادة مخسرة باطلة من ملحد فاسق منافق ولسنا نُجِيزُهَا! وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة.

فقال عبد الله بن الجارود: إنها ليست بزيادة ابن الزبير إنما هي زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على أخيه بِشْرَ. فقال له الحجاج: ما أنت والكلام! لتحسن حمل رأسك أو لأسلبنك إِيَّاهُ! ثم إن وجوه القوم أتت عبد الله بن الجارود وصوِّت رأيه وقوله وقال أحدهم: نحن معك وأعوانك، إن هذا الرجل غير كافٍ حتى ينقصنا هذه الزيادة. فهلَّمْ نباعك على إخراجه من العراق ثم نكتب إلى عبد الملك نسأله أن يولي علينا غيره، فإن أبى خلعهنا، فإنه هائب لنا ما دامت الخوارج. فبايعه الناس سرّاً وأعطوه الموائيق على الوفاء وأخذ بعضهم على بعضهم العهود.

وبلغ الحجاج ما هم فيه فأحرز بيت المال واحتاط فيه. فلَمَّا تَمَّ لهم أمرهم أظهروه، وذلك في ربيع الآخر سنة ست وسبعين وأخرج عبد الله بن الجارود عبد القيس على ريااتهم، وأخرج الناس معه حتى بقي الحجاج وليس معه إلا خاصته وأهل بيته، فخرجوا قبل الظهر، وقطع ابن الجارود ومن معه الجسر، وكانت خزائن الحجاج والسلاح من ورائه. فأرسل الحجاج أَعْيَنَ، صاحب حمّام أَعْيَنَ بالكوفة، إلى ابن الجارود يستدعيه إليه، فقال ابن الجارود: وَمَنِ الأمير! لا ولا كرامة لابن أبي رغال! ولكن ليخرج عَنَّا مذموماً مدحوراً وإلاً قاتلناه! فقال أَعْيَنَ:

فإنه يقول لك أظليب نفساً بقتلك وقتل أهل بيتك وعشيرتك؟ والذي نفسي بيده لئن لم يأتني لأدعنّ قومك عامّة وأهلك خاصّة حديثاً للغابرين . وكان الحجاج قد حمّل أعين هذه الرسالة . فقال ابن الجارود : لولا أنك رسول لقتلتك يا ابن الخبيثة ! وأمر فوجيء في عنقه وأخرج .

* * *

أمية بن معاوية بن هشام

في سنة تسع وعشرين ومائة بايع الخوارج شييان بن عبد العزيز أبو الدلف الشكري بعد قتل الخبيري . فأقام يقاتل مروان ، وتفرّق عن شييان كثير من أصحاب الطمع ، فبقي في نحو أربعين ألفاً ، فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا إلى الموصل فيجعلوها ظهرهم ، فارتحلوا وتبعهم مروان حتى انتهوا إلى الموصل ، فعسكروا شرقي دجلة وعقدوا جسوراً عليها من عسكرهم إلى المدينة ، فكانت ميرتهم ومرافقهم منها ، وخندق مروان بإزائهم ، وكان الخوارج قد نزلوا بالكار ومروان بخصة ، وكان أهل الموصل يقاتلون مع الخوارج ، فأقام مروان ستة أشهر يقاتلهم وقيل تسعة أشهر .

وأتى مروان بابن أخ لسليمان بن هشام يقال له أمية بن معاوية بن هشام ، وكان مع عمّه سليمان في عسكر شييان أسيراً ، فقطع يديه وضرب عنقه ، وعمّه ينظر إليه .

* * *

أهل طليطلة

في سنة تسع عشرة ومائتين سیر عبد الرحمن بن الحکم الأموي ، صاحب الأندلس ، جيشاً مع أمية بن الحکم إلى مدينة طليطلة ، فحصرها ، وكانوا قد خالفوا الحکم ، وخرجوا عن الطاعة ، واشتد في حصرهم ، وقطع أشجارهم ، وأهلك زروعهم ، فلم يذعنوا إلى الطاعة ، فرحل عنهم ، وأنزل بقلعة رباح جيشاً عليهم ميسرة ، المعروف بفتى أبي أيوب ، فلما أبعدها منه خرج جمع كثير من أهل

طليطلة، لعلهم يجدون فرصة وغفلة من ميسرة فينالوا منه ومن أصحابه غرضاً، وكان ميسرة قد بلغه الخبر، فجعل الكمين في مواضع، فلما وصل أهل طليطلة إلى قلعة رباح، للغارة، خرج الكمين عليهم من جوانبهم، ووضعوا السيف فيهم، وأكثروا القتل، وعاد مَنْ سلم منهم منهزماً إلى طليطلة، وجمعت رؤوس القتلى، وحملت إلى ميسرة، فلما رأى كثرتها عظمت عليه، وارتاع لذلك، ووجد في نفسه غمّاً شديداً، فمات بعد أيام يسيرة.

* * *

أهل طُليطلة

في سنة ثلاث وأربعين ومائتين سار المتوكل إلى دمشق في ذي القعدة على طريق الموصل، فضحى ببَلَد، فقال يزيد بن محمد المهلبى:

أظنَّ الشام تشمَّتْ بالعِراقِ إذا عَزَمَ الإمامُ على انطلاقِ
فإنَّ يَدَعَ العِراقَ وساكنيه فقد تُبلى المليحةُ بالطلاقِ

وفيهما خرج أهل طُليطلة إلى طَلْبيرةَ وعليها مسعود بن عبد الله العريف، فخرج إليهم فيمن معه من الجنود، فلقاهم، فقاتلهم، فانهزم أهل طُليطلة وقتل أكثرهم وحمل إلى قُرْبَة سبع مائة رأس.

* * *

بجكم

في سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة، سار أبو علي بن محتاج في جيش خراسان من نيسابور إلى جُرجان، وكان بجُرجان ماكان بن كالي، قد خلع طاعة الأمير نصر بن أحمد، فوجدهم أبو علي قد غَوَّروا المياه، فعدل عن الطريق إلى غيره، فلم يشعروا به، حتى نزل على فرسخ من جُرجان، فحصر ماكان بها، وضيق عليه، وقطع المسيرة عن البلد، فاستأمن إليه كثير من أصحاب ماكان، وضاق الحال بمن بقي بجرجان، حتى صار الرجل يقتصر كل يوم على حفنة سَمِيم، أو كيلة من كُسْب، أو باقة بقل.

واستمدَّ ماكان من وشكمير، وهو بالريّ، فأمدّه بقائد من قوّاده يقال له شيرح بن النّعمان، فلمّا وصل إلى جُرجان ورأى الحال شرع في الصلح بين أبي عليّ وبين ماكان بن كالي ليُجعل له طريقاً ينجو فيه، ففعل أبو عليّ ذلك، وهرب ماكان إلى طبرستان وأقام بها، وأقام أبو عليّ بجُرجان يُصلح أمرها، ثمّ استخلف عليها إبراهيم بن سيمجور الدواتي وسار نحو الريّ في المحرمّ من سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، فوصلها في ربيع الأوّل، وبها وشكمير بن زيار، أخو مرداويج.

وكان عماد الدولة وركن الدولة ابنا بويه يكتبان أبا عليّ، ويحثّانه على قصد وشكمير، ويعدّانه المساعدة، وكان قصدهما أن تؤخذ الريّ من وشكمير، فإذا أخذها أبو عليّ لا يمكنه المقام بها لِسعة ولايته بخراسان، فيغلبان عليها.

وبلغ أمر اتّفاقهم إلى وشكمير. وكاتب ماكان بن كالي يستخدمه ويعرّفه الحال، فسار ماكان بن كالي من طبرستان إلى الريّ، وسار أبو عليّ وأتاه عسكر من ركن الدولة بن بويه، فاجتمعوا بإسحاقاذ، والتقوا هم ووشكمير، ووقف ماكان بن كالي في القلب وباشر الحرب بنفسه، وعبّأ أبو عليّ أصحابه كراديس، وأمر من بإزاء القلب أن يُلحّوا عليهم في القتال، ثمّ يتطاردوا لهم ويستجروهم، ثمّ وصّى من بإزاء الميمنة والميسرة أن يناوشوهم مناوشة بمقدار ما يشغلهم عن مساعدة من في القلب، ولا يناجزوهم، ففعلوا ذلك.

والحّ أصحابه على قلب وشكمير بالحرب، ثمّ تطاردوا لهم، فطمع فيهم ماكان ومن معه، فتبعوهم، وفارقوا مواقعهم، فحينئذٍ أمر أبو عليّ الكراديس التي بإزاء الميمنة والميسرة أن يتقدّم بعضهم، ويأتي من في قلب وشكمير من ورائهم، ففعلوا ذلك، فلمّا رأى أبو عليّ أصحابه قد أقبلوا من وراء ماكان، ومن معه من أصحابه، أمر المتطاردين بالعود والحملة على ماكان وأصحابه، وكانت نفوسهم قد قويت بأصحابهم، فرجعوا وحملوا على أولئك، وأخذهم السيف من بين أيديهم ومن خلفهم، فولّوا منهزمين.

فلَمَّا رأى ما كان ذلك ترجُل، وأبلى بلاءً حسناً، وظهرت منه شجاعة لم يرَ الناس مثلهَا، فأتاه سهم غرب، فوقع في جبينه، فنفذ في الخوذة والرأس حتى طلع من قفاه، وسقط ميتاً، وهرب وشكّير ومَن سلم معه إلى طبرستان، فأقام بها، واستولى أبو عليّ على الريّ، وأنفذ رأس ماكان إلى بخارى والسهم فيه، ولم يُحمل إلى بغداد حتى قتل بجكم، لأن بجكم كان من أصحابه، وجلس للجزاء لَمَّا قُتل، فلَمَّا قتل بجكم حُمِلَ الرأس من بخارى إلى بغداد والسهم فيه وفي الخوذة، وأنفذ أبو عليّ الأسرى إلى بخارى أيضاً، وكانوا بها حتى دخل وشكّير في طاعة آل سامان، وسار إلى خراسان، فاستوهمهم، فأطلقوا له . . .

* * *

بدر غلام المعتضد

في سنة تسع وثمانين ومائتين، قُتل بدر غلام المعتضد؛ وكان سبب ذلك أن القاسم الوزير كان قد همَّ بنقل الخلافة عن ولد المعتضد بعده، فقال لبدر في ذلك في حياة المعتضد بعد أن استخلفه واستكتمه، فقال بدر: ما كنت لأصرفها عن ولد مولاي ووليّ نعمتي؛ فلم يمكنه مخالفة بدر، إذ كان صاحب الجيش، وحقدّها على بدر، فلَمَّا مات المعتضد كان بدر بفارس، فعقد القاسم البيعة للمكتفي، وهو بالرقّة.

وكان المكتفي أيضاً مباعداً لبدر في حياة أبيه، وعمل القاسم في هلاك بدر خوفاً على نفسه أن يذكر ماكان منه للمكتفي، فوجّه المكتفي محمّد بن كشتمر برسائل إلى القوّاد الذين مع بدر يأمرهم بالمسير إليه ومفارقة بدر، ففارقه جماعة منهم: العباس بن عمرو الغنويّ، ومحمّد بن إسحاق بن كنداج، وخاقان المُفلحيّ وغيرهم، فأحسن إليهم المكتفي، وسار بدر إلى واسط، فوكلّ المكتفي بداره، وقبض على أصحابه وقوّاده وجسهم، وأمر بمحو اسم بدر من التراس والأعلام، وسير الحسين بن عليّ كورة في جيش إلى واسط.

وأرسل إلى بدر يعرض عليه أيّ النواحي شاء، فأبى ذلك، وقال: لا بدّ لي

من المسير إلى باب مولاي؛ فوجد القاسم مساعاً للقول، وخوف المكتفي غائلته، وبلغ بدرأ ما فعل بأهله وأصحابه، وأرسل من يأتيه بولده هلال سراً، فعلم الوزير بذلك، فاحتاط عليه، ودعا أبا حازم، قاضي الشرقية، وأمره بالمسير إلى بدر، وتطبيب نفسه عن المكتفي، وإعطائه الأمان عنه لنفسه وولده وماله، فقال أبو حازم: أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين؛ فصرفه ودعا أبا عمر القاضي، وأمره بمثل ذلك، فأجاب، وسار معه كتاب الأمان، فسار بدر عن واسط إلى بغداد، فأرسل إليه الوزير من قتله، فلما أيقن بالقتل سأل أن يُمهَّل حتى يصلِّي ركعتين، فصلاهما، ثم ضربت عنقه يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان، ثم أخذ رأسه، وترك جثته هنالك، فوجه عياله من أخذها سراً وجعلوها في تابوت، فلما كان وقت الحج حملوها إلى مكة، فدفنوها بها، وكان أوصى بذلك وأعتق قبل أن يقتل كل مملوك كان له.

* * *

بشر بن شميظ

في سنة ست وستين، وثب المختار بمن بالكوفة من قتلة الحسين. وكان سبب ذلك، أن مروان بن الحكم لما استوثق له الشام، بعث جيشين: أحدهما إلى الحجاز، والآخر إلى العراق مع عبيد الله بن زياد لمقاتلة التوابين، وأمره أن ينهب الكوفة ثلاثاً، فاحتبس بالجزيرة، وبها قيس عيلان مع زفر بن الحارث على طاعة ابن الزبير، فلم يزل عبيد الله بن زياد مشتغلاً بهم عن العراق نحو سنة.

فتوفي مروان وولي بعده ابنه عبد الملك بن مروان، فأقر ابن زياد على ما كان أبوه ولآه وأمره بالجد في أمره.

فلما لم يمكنه في زفر ومن معه من قيس شيء أقبل إلى الموصل، فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إلى المختار يخبره بدخول ابن زياد أرض الموصل وأنه قد تنحى له عن الموصل إلى تكريت، فدعا المختار يزيد بن أنس

الأسديّ وأمره أن يسير إلى الموصل، فينزل بأداني أرضها حتّى يمده بالجنود، وسار معه المختار والناس يشيعونه، ودعوا له، فقال لهم: اسألوا الله لي بالشهادة، فوالله لئن فاتني النصر، لا تفوتني الشهادة.

فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد أن خلّ بين يزيد وبين البلاد. فسار يزيد إلى المدائن، ثم سار إلى أرض الموصل وبلغ خبره ابن زياد، فقال: لأبعثن إلى كل ألف ألفين. واقتتل الناس عند فلق الصبح يوم عرفة، واشتد قتالهم إلى ارتفاع الضحى، فانهزم أهل الشام وأخذ عسكرهم، ثم نزل يزيد بباتلي وعادوا إلى القتال وحوى أهل الكوفة عسكرهم، وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً وأسروا منهم ثلاثمائة أسير، وأمر يزيد بن أنس بقتلهم، وهو بأخر رمق، فقتلوا، ثم مات آخر النهار، فدفنه أصحابه وسقط في أيديهم.

وكان قد استخلف ورقاء بن عازب الأسديّ، فصلّى عليه، ثم قال لأصحابه: ماذا ترون؟ إنّه قد بلغني أنّ ابن زياد قد أقبل إليكم في ثمانين ألفاً، وإنّما أنا رجل منكم، فأشيروا عليّ، فإني لا أرى لنا بأهل الشام طاقة على هذه الحال، وقد هلك يزيد وتفرق عنّا بعض من معنا، فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا لقالوا: إنّما رجعنا عنهم لموت أميرنا ولم يزلوا لنا هائبين، وإن لقيناهم اليوم كنّا مخاطرين، فإن هزمونا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إيّاهم بالأمس. فقالوا: نعم ما رأيت، فانصرفوا.

فبلغ ذلك المختار وأهل الكوفة، فأرجف الناس بالمختار وقالوا: إنّ يزيد قُتل، ولم يصدّقوا أنّه مات. فدعا المختار إبراهيم بن الأشتر وأمره على سبعة آلاف وقال له: سر، فإذا لقيت جيش يزيد بن أنس، فأنت الأمير عليهم، فارددهم معك حتى تلقى ابن زياد وأصحابه فتناجزهم. فخرج إبراهيم، فعسكر بحمام أعين وسار، فلمّا سار اجتمع أشراف الكوفة عند شُبّ بن ربعي، وقالوا: والله إنّ المختار تأمّر علينا بغير رضی منّا، ولقد أدنى موالينا، فحملهم على الدواب وأعطاهم فيثنا. وكان شُبّ شيخهم، وكان جاهلياً إسلامياً، فقال لهم شُبّ: دعوني حتى ألقاه.

فذهب إليه، فلم يدع شيئاً أنكره إلّا ذكره له، فأخذ لا يذكر خصلة إلّا قال

له المختار: أنا أرضيهم في هذه الخصلة وآتي لهم كل ما أحبوا، وذكر له الموالي ومشاركتهم في الفيء، فقال له: إن أنا تركت مواليكم، وجعلت فيثكم لكم تقاتلون معي بني أمية وابن الزبير، وتعطوني على الوفاء عهد الله وميثاقه، وما أطمئن إليه من الأيمان؟ فقال شبت: حتى أخرج إلى أصحابي، فأذكر لهم ذلك. فخرج إليهم، فلم يرجع إليه، وأجمع رأيهم على قتاله. ثم وثبوا بالمختار بعد مسير إبراهيم الأشر وخرجوا بالجبابين، كل رئيس بجبانه. فلما بلغ المختار خروجهم أرسل قاصداً مجدداً إلى إبراهيم بن الأشر، فلمحه وهو بساباط يأمره بالرجوع والسرعة، وبعث المختار إليهم في ذلك: أخبروني ماذا تريدون؟ فأني صانع كل ما أحببتهم. قالوا: نريد أن تعزلنا، فإنك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك. قال: فأرسلوا وفداً إليه من قبلهم، وأرسل أنا إليه وفداً، ثم انظروا في ذلك حتى يظهر لكم. وهو يريد أن يرثهم بهذه المقالة حتى يقدم عليه إبراهيم بن الأشر، وأمر أصحابه فكفوا أيديهم، وقد أخذ عليهم أهل الكوفة بأفواه السكك، فلا يصل إليهم شيء إلا القليل.

ولما سار رسول المختار، وصل إلى ابن الأشر عشية يومه، فرجع ابن الأشر بقية عشية تلك، ثم نزل حين أمسى، فتعشى أصحابه وأراحوا دوابهم قليلاً، ثم سار ليلته كلها ومن الغد، فوصل العصر وبات ليلته في المسجد ومعه أصحابه من أهل القوة.

ثم أن المختار عباً أصحابه في السوق وليس فيه بنيان، فأمر ابن الأشر، فسار إلى مضر وعليهم شبت بن ربي ومحمد بن عمير بن عطاردهم بالكناسة، وخشي أن يرسله إلى أهل اليمن فلا يبلغ في قتال قومه. وسار المختار نحو أهل اليمن بجبانه السبيع، ووقف عند دار عمرو بن سعيد، وسرح بين يديه أحمر بن شميظ البجلي وعبد الله بن كامل الشاكري، وأمر كلا منهما بلزوم طريق ذكره له يخرج إلى جبانه السبيع، وأسر إليهما أن شباماً قد أرسلوا إليه يخبرونه أنهم يأتون القوم من ورائهم، فمضيا كما أمرهما.

فبلغ أهل اليمن مسيرهما، فافترقوا إليهما واقتتلوا أشد قتال رآه الناس، ثم

انهزم أصحابُ أحمر بن شُمَيْط وأصحابُ ابن كامل، ووصلوا إلى المختار، فقال: ما وراءكم؟ قالوا: هُزِمْنَا وقد نزل أحمر بن شُمَيْط ومعه ناس من أصحابه، وقال أصحابُ بن كامل: ما ندري ما فعل ابن كامل.

فأقبل بهم المختار نحو القوم حتَّى بلغ دار أبي عبد الله الجَدَلِيّ، فوقف ثم أرسل عبد الله بن مُراد الخثعميَّ في أربعمئة إلى ابن كامل، وقال له: إن كان قد هلك، فأنت مكانه، وقَاتِلِ القوم، وإن كان حيًّا، فأترك عنده ثلاثمئة من أصحابك، وامضِ في مائة حتَّى تأتي جَبَانَةَ السَّبِيْع، فتأتي أهلها من ناحية حَمَام قَطْن.

فمضى، فوجد ابن كامل يقاتلهم في جماعة من أصحابه قد صبروا معه، فترك عنده ثلاثمئة رجل وسار في مائة حتَّى أتى مسجدَ عبد القيس، وقال لأصحابه: إنِّي أحبُّ أن يظهر المختار وأكره أن تهلكَ أشرفُ عشيرتي اليوم، والله لأن أموت أحبُّ إليَّ من أن يهلكوا على يديّ، ولكن قفوا فقد سمعتُ أنَّ شِبَاماً يأتونهم من ورائهم، فلعلَّهم يفعلون ذلك ونُعافى نحن منه، فأجابه إلى ذلك، فبات عند مسجد عبد القيس.

وبعث المختارُ مالك بن عمرو النهديّ، وكان شجاعاً، وعبد الله بن شريك النهديّ في أربعمئة إلى أحمر بن شُمَيْط، فانتهوا إليه وقد علاه القومُ وكثروه، فاشتدَّ قتالهم عند ذلك.

وأما ابنُ الأَشتر، فإنَّه مضى إلى مُضَر، فلقيَ شَبَثَ بن رُبَيعي ومنَّ معه، فقال لهم إبراهيم: ويحكم، انصرفوا، فما أحبُّ أن يُصاب من مُضَر على يديّ. فأبوا وقاتلوه، فهزمهم، وجرح حَسَّان بن فائد العبسيّ، فحُمِلَ إلى أهله، فمات، فكان مع شَبَث، وجاءت البشارة إلى المختار، بهزيمة مُضَر، فأرسل إلى أحمر بن شُمَيْط وابن كامل يشرهما، فاشتدَّ أمرهما.

فاجتمع شِبَام، وقد رأسوا عليهم أبا القُلوص، ليأتوا أهلَ اليمن من ورائهم، فقال بعضهم لبعض: لو جعلتم جدَّكم على مُضَر وربيعه لكان أصوب، وأبو القُلوص ساكتٌ، فقالوا: ماتقول؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ

مِنَ الْكُفَّارِ». فساروا معه نحو أهل اليمن، فلمّا خرجوا إلى جَبَانَةِ السَّبِيْع، لقيهم على فَمِ السَّكَّةِ الْأَعْسَرُ الشَّاكِرِيُّ، فقتلوه ونادوا في الجَبَانَةِ، وقد دخلوها: يا لثارات الحسين! فسمعها يزيد بن عُمَيْر بن ذِي مُرَّانِ الهمذانيُّ، فقال: يا لثارات عثمان! فقال لهم رِفَاعَةُ بن شَدَّاد: مالنا ولعثمان! لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان. فقال له ناس من قومه: جثت بنا وأطعناك حتّى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت انصرفوا ودعوهم! فعطف عليهم وهو يقول شعر:

أنا ابنُ شَدَّادِ على دينِ علي لستُ لعثمانَ بن أروى بولي
لأُضِلِّينَ اليومَ فيمَن يَصْطلي بحرَّ نارِ الحَرْبِ غير مؤثِّلِ
فقاتل حتّى قتل.

وكان رِفَاعَةُ مع المختار، فلمّا رأى كذبه أراد قتله غيلةً، فقال: فمنعني قولُ النبي ﷺ: مَنْ ائتمنه رجل على دمه، فقتله، فأنا منه بريء.

فلَمّا كان هذا اليوم قاتل مع أهل الكوفة، فلمّا سمع يزيد بن عُمَيْر يقول: يا لثارات عثمان، عاد عنهم فقاتل مع المختار حتّى قُتل؛ وقُتل يزيد بن عُمَيْر بن ذِي مُرَّانِ والنعمان بن صُبُهَانِ الجَرْمِيُّ، وكان ناسكاً، وقُتل الفُرات بن زُحْر بن قَيْس، وقُتل عبد الله بن سعيد بن قيس، وقُتل عمر بن مِخْنَف، وقاتل عبد الرحمن بن مِخْنَف حتّى جُرح وحملته الرجال على أيديهم وما يشعرون، وقاتل حوله رجال من الأزد، وانهزم أهل اليمن هزيمةً قبيحةً، وأخذ من دور الوداعيين خمسمائة أسير، فأَتى بهم المختار مكثّفين، فأمر المختار بإحضارهم وعرضهم عليه، وقال: انظروا مَنْ شهد منهم قُتل الحسين فأعلموني. فقتل كلٌّ من شهد قُتل الحسين، فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً، وأخذ أصحابه يقتلون كلٌّ من كان يؤذيهم.

فلَمّا سمع المختار بذلك أمر بإطلاق كلِّ مَنْ بقي من الأسارى وأخذ عليهم الموائيق أن لا يجامعوا عليه عدوّاً ولا يبغوه وأصحابه غائلة، ونادى منادي المختار: مَنْ أغلق بابه، فهو آمن إلّا من شرك في دماء آل محمّد ﷺ.

وكان عمرو بن الحجاج الزبيدي مَنَّ شهد قتل الحسين، فركب راحلته وأخذ طريق واقصة، فلم ير له خبر حتى الساعة، وقيل: أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش، فذبحوه وأخذوا رأسه.

... ثم تجرد المختار لقتلة الحسين، وقال: ما من ديننا أن نترك قتلة الحسين أحياء، بش ناصر آل محمد ﷺ، أنا إذاً في الدنيا، أنا إذاً الكذاب كما سموني، وإني أستعين بالله عليهم فسموهم لي، ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم، فإني لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم. فذل على عبد الله بن أسيد الجهنّي ومالك بن بشير البديّ وحمل بن مالك المحاربيّ، فبعث إليهم المختار، فأحضرهم من القادسيّة، فلما رآهم قال: يا أعداء الله ورسوله! أين الحسين بن عليّ؟ أدوا إليّ الحسين، قتلتم من أمرتم بالصلاة عليهم.

فقالوا: رحمك الله! بُعِثنا كارهين، فامنن علينا واستبقنا. فقال لهم: هلاً منتّم على الحسين بن بنت نبيكم، فاستبقتموه وسقيتموه؟ وكان البديّ صاحب برنسه، فأمر بقطع يديه ورجليه وترك يضطرب حتى مات، وقتل الآخرين وأمر بزياد بن مالك الضبعيّ وبعمران بن خالد القشيريّ وبعبد الرحمن بن أبي خشكاره البجليّ، وبعبد الله بن قيس الخولانيّ، فأحضروا عنده، فلما رآهم، قال: يا قتلة الصالحين وقتلة سيّد شباب أهل الجنة، قد أفاد الله منكم اليوم، لقد جاءكم الورس في يوم نحس. وكانوا نهبوا من الورس الذي كان مع الحسين، ثم أمر بهم فقتلوا.

وأحضر عنده: عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخت وعبد الله بن وهب بن عمرو الهمدانيّ، وهو ابن عمّ أعشى همدان، فأمر بقتلهم فقتلوا، وأحضر عنده: عثمان بن خالد بن أسيد الدهمانيّ الجهنّي، وأبو أسماء بشر بن شميّط القانصيّ، وكانا قد اشتركا في قتل عبد الرحمن بن عقيل وفي سلبه، فضرب أعناقهما وأحرقا بالنار.

ثم أرسل إلى خولّي بن يزيد الأصبحيّ، وهو صاحب رأس الحسين، فاخفى في مخرجه، فدخل أصحاب المختار يفتشون عنه، فخرجت امرأته، واسمها العيوف بنت مالك، وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين، فقالت لهم:

ما تريدون؟ فقالوا لها: أين زوجك؟ قالت: لا أدري، وأشارت بيدها إلى المخرج، فدخلوا فوجدوه وعلى رأسه قَوْصَرَّةٌ، فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله، وأحرقوه بالنار.

* * *

بشير بن الليث

في سنة ثلاث وتسعين ومائة، مات الرشيد أوّل جمادى الآخرة لثلاث خلون منه، وكانت قد اشتدّت علته بالطريق ببُرجان، فسار إلى طوس، فمات بها.

قال جبرائيل بن يَخْتِيشوع: كنت مع الرشيد بالرقّة، وكنت أوّل مَنْ يدخل عليه في كلّ غداة، أتعرف حاله في ليلته، ثمّ يحدثني وينبسط إليّ، ويسألني عن أخبار العامّة، فدخلت عليه يوماً، فسلمت عليه، فلمّ يكذّر يرفع طرفه، ورأيتُه عابساً مفكراً مهموماً، فوقفْتُ ملياً من النهار، وهو على تلك الحال، فلمّا طال ذلك أقدمتُ فسألته عن حاله، وما سببه؟ فقال: إنّ فكري وهمّي لرؤيا رأيتها في ليلتي هذه قد أزعجتني، وملأت صدري. فقلتُ: فرّجت عني، يا أمير المؤمنين؛ ثمّ قبلتُ يده ورجله، وقلتُ: الرؤيا إنّما تكون تخاطر أو بخارات رديّة، وتهاويل السوداء، وهي أضغاث أحلام.

قال: فإنّي أقصّها عليك، رأيتُ كأنّي جالس على سريري هذا، إذ بدت من تحتي ذراع أعرفها، وكفّ أعرفها، لا أفهم اسم صاحبها، وفي الكفّ تربة حمراء. فقال لي قائل أسمعته ولا أرى شخصه: هذه التربة التي تُدفن فيها؛ فقلتُ: وأين هذه التربة؟ قال: طوس، وغابت اليد، وانقطع الكلام.

فقلتُ: أحسبك لمّا أخذت مضجعك، فكرت في خراسان، وما ورد عليك منها، وانتقاض بعضها، فذلك الفكر أوجب هذه الرؤيا.

فقال: كان ذلك؛ فأمرته باللّهو والانبساط، ففعل، ونسينا الرؤيا، وطالت الأيام، ثمّ سار إلى خراسان لحرب رافع، فلمّا صار ببعض الطريق ابتدأت به العلة، فلمّ تزل تزيد، حتّى دخلنا طوس، فبينا هو يمرض في بستان في ذلك القصر

الذي هو فيه، إذ ذكر تلك الرؤيا، فوثب متحاملاً يقوم ويسقط، فاجتمعنا إليه نسأله، فقال: أتذكر رؤياي بالرقعة في طوس؟ ثم رفع رأسه إلى مسرور، فقال: جئني من تربة هذا البستان! فأتاه بها في كفِّه حاسراً عن ذراعه، فلما نظر إليه، قال: هذه والله الذراع التي رأيتها في منامي، وهذه الكفُّ بعينها، وهذه التربة الحمراء ما خرقت شيئاً؛ وأقبل على البكاء والنحيب، ثم مات بعد ثلاثة.

وكان قد وصل إليه، وهو بطوس، بشير بن الليث أخو رافع أسيراً، فقال الرشيد: والله لو لم يبق من أجلي إلا أن أحرّك شفتي بكلمة لقلتُ اقتلوه. ثم دعا بقصاب، فأمر به، ففصل أعضائه.

* * *

بطريق الروم

في سنة تسع وتسعين، توفي سليمان بن عبد الملك بن مروان لعشر بقين من صفر، فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام. وكان الناس يقولون: سليمان مفتاح الخير، ذهب عنهم الحجاج وولي سليمان، فأطلق الأسرى، وأخلى السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز. وكان موته بدابق من أرض قنسرين. قيل: حجَّ سليمان وحجَّ الشعراء، فلما كان بالمدينة قافلاً، تلقوه بنحو أربعمئة أسير من الروم، فقعده سليمان وأقربهم منه مجلساً عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فقدم بطريقهم، فقال: يا عبد الله، اضرب عنقه! فأخذ سيفاً من حربي، فضربه، فأبان الرأس، وأطن الساعد، وبعض الغل، ودفع البقية إلى الوجوه يقتلونهم، ودفع إلى جرير رجلاً منهم، فأعطاه بنو عبس سيفاً جيداً، فضربه، فأبان رأسه، ودفع إلى الفرزدق أسيراً، فأعطوه سيفاً ردياً لا يقطع، فضرب به الأسير ضربات، فلم يصنع شيئاً، فضحك سليمان والقوم وشتت به بنو عبس أحوال سليمان، وألقى السيف، وأنشأ يقول:

وإن يك سيفُ خان أو قدَّر أتى بتأخير نفس حنفها غير شاهد
سيفُ بني عبس وقد ضربوا به نبا يدي ورقاء عن رأس خالد

* * *

بنو عنزة وشيبان

في سنة ثلاث وخمسين ومائتين، كانت حرب بين سليمان بن عمران الأزدي وبين عنزة.

وسببها أن سليمان اشترى ناحية من المَرَج، فطلب منه إنسان من عنزة اسمه برهونة الشفعة، فلم يجبه إليها، فسار برهونة إلى عنزة، وهم من الزابيين، فاستجار بهم وببني شيبان، واجتمع معه جمعٌ كثير، ونهبوا الأعمال، فأسرفوا.

وجمع سليمان لهم بالموصل، وسار إليهم، فعبّر الزاب، وكانت بينهم حرب شديدة، وقتل فيها كثير، وكان الظفر لسليمان، فقتل منهم بباب شمعون مقتلة عظيمة، وأدخل من رؤوسهم إلى الموصل أكثر من مائتي رأس.

* * *

العريان يضرب رقاب بني تميم

ولما قُتل يزيد بن المهلب، كان المفضل بن المهلب يقاتل أهل الشام وما يدري بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس، وكان كلما حمل على الناس انكشفوا، ثم يحمل حتى يخالطهم، وكان معه عامر بن العميل الأزدي يضرب بسيفه ويقول:

قد علمتُ أم الصبي المولودُ إنني بنصل السيف غير رعيدي
فاقتتلوا ساعةً، فانهزمت ربيعة، فاستقبلهم المفضل يناديهم: يا معشر ربيعة،
الكرّة الكرّة! والله ما كنتم بكشف ولا لثام ولا لكم هذه بعادة، فلا يؤتئ أهل العراق
من قبلكم، فدثكم نفسي! فرجعوا إليه يريدون الحملة، فأتي وقيل له: ما تصنع
ها هنا، وقد قُتل يزيد وحبيب ومحمد، وانهزم الناس منذ وقت طويل؟ فتفرّق الناس
عنه، ومضى المفضل إلى واسط، فما كان من العرب أضرب بسيفه ولا أحسن تعبئة
للحرب ولا أغشى للناس منه.

فلما فارق المفضل المعركة، جاء عسكر الشام إلى عسكر يزيد، فقاتلهم
أبورؤية صاحب المُرَجثة ساعةً من النهار، وأسر مسلمة نحو ثلاثمائة أسير،
فسرّحهم إلى الكوفة، فحبسوا بها، فجاء كتاب يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن

عمرو بن الوليد يأمره بضرب رقاب الأسرى، فأمر العُريَان بن الهَيْثَم، وكان على شُرطته، أن يُخرجهم عشرين وعشرين وثلاثين ثلاثين، فقام نحو ثلاثين رجلاً من تميم، فقالوا: نحن انهزمنا بالناس، فابدأوا بنا قبل الناس. فأخرجهم العُريَان، فضرب رقابهم وهم يقولون: انهزمنا بالناس، فكان هذا جزاءنا. فلما فرغوا منهم، جاء رسول بكتاب من عند مسلمة يأمره بترك قتل الأسرى. وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة.

* * *

جيلة بن زحر

في سنة اثنتين وثمانين كانت وقعة دير الجماجم. وكان سببها أن الحجاج سار من البصرة إلى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمد فنزل دَيْرُ قُرَّة، وخرج عبد الرحمن من الكوفة فنزل دَيْرُ الجماجم. فقال الحجاج: إن عبد الرحمن نزل دير الجماجم ونزلت دير القُرَّة، أما تنزجر الطير؟ واجتمع إلى عبد الرحمن أهل الكوفة وأهل البصرة والقُرَّاء وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم، فاجتمعوا على حرب الحجاج لبُغضه، وكانوا مائة ألف ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم، وجاءت الحجاج أيضاً أمداد من الشام قبل نزوله بدير قُرَّة، وخندق كل منهما على نفسه، فكان الناس يقتتلون كل يوم ولا يزال أحدهما يُدني خندقه من الآخر. . .

ثم أخذوا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة وسوادها وهم في خصب، وأهل الشام في ضنك شديد قد غلت عليهم الأسعار وفقد عندهم اللحم كأنهم في حصار، وهم على ذلك يغادون القتال ويرأوون. فلما كان اليوم الذي قُتل فيه جيلة بن زحر بن قيس، وكانت كتيبته تُدعى القُرَّاء تحمل عليهم فلا يبرحون، وكانوا قد عُرفوا بذلك، وكان فيهم كُمَيْل بن زياد، وكان رجلاً ركيناً. فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون، وعبأ الحجاج صفوفه، وعبأ عبد الرحمن أصحابه، وعبأ الحجاج لكتيبة القُرَّاء ثلاث كتائب وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي، فأقبلوا نحوه فحملوا على القُرَّاء ثلاث حملات كل كتيبة تحمل حملة فلم يبرحوا وصبروا.

فلَمَّا حملت كتائبُ الحجاجِ الثلاث على القرّاء من أصحاب عبد الرحمن وعليهم جبلة بن زحر نادى جبلة: يا عبد الرحمن بن أبي ليلى! يا معشر القرّاء! إنّ الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إنّني سمعتُ عليّ بن أبي طالب، رفع الله درجته في الصالحين وآتاه ثواب الصادقين والشهداء، يقول يوم لقينا أهل الشام: أيّها المؤمنون إنّهُ من رأى عدواناً يُعمل به ومنكراً يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء، ومن أنكره بلسانه فقد أُجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونور في قلبه اليقين، فقاتلوا هؤلاء المُجَلِّين المُحدِّثين المُبتدعين الذين جهلوا الحقّ فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه.

وقال أبو البختريّ: أيّها الناس قاتلوهم على دينكم وديناكم. فقال الشعبيّ: أيّها الناس قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم، والله ما أعلم على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور بحكم منهم. وقال سعيد بن جبير نحو ذلك، وقال جبلة: احمِلوا عليهم حملةً صادقةً، ولا تردّوا وجوهكم عنهم حتّى توافقوا صفّهم.

فحملوا عليهم حملةً صادقةً، فضربوا الكتائب حتّى أزالوها وفرّقوها، وتقدّموا حتّى واقفوا صفّهم فأزالوه عن مكانه، ثم رجعوا فوجدوا جبلة بن زحر قتيلاً لا يدرون كيف قُتل.

وكان سبب قتله أنّ أصحابه لمّا حملوا على أهل الشام ففرّقوهم وقف لأصحابه ليرجعوا إليه فافتقت فرقة من أهل الشام فوقفت ناحية، فلَمَّا رأوا أصحاب جبلة قد تقدّموا، قال بعضهم لبعض: هذا جبلة، احمِلوا عليه ما دام أصحابه مشاغل بالقتال. فحملوا عليه فلم يولّ لكنه حمل عليهم فقتلوه، وكان الذي قتله الوليد بن نحيث الكلبيّ، وجيء برأسه إلى الحجاج فبشّر أصحابه بذلك. فلَمَّا رجع أصحاب جبلة ورأوه قتيلاً سقط في أيديهم وتناعوه بينهم، فقال لهم أبو البختريّ: لا يظهرنّ عليكم قتل جبلة إنّما كان كرجل منكم أتته منيته فلم يكن ليتقدّم يومه ولا ليتأخّر عنه. وظهر الفشل في القرّاء، وناداهم أهل الشام: يا أعداء الله قد هلكتم وقد قُتل طاغيّتكم!..

* * *

الجلندي وأصحابه (وهم عشرة آلاف)

في سنة أربع وثلاثين ومائة خلع بَسَّام بن إبراهيم بن بَسَّام، وكان من فرسان أهل خراسان، وسار من عسكر السِّفَّاح هو وجماعة على رأيه سرّاً إلى المدائن، فوجّه إليهم السِّفَّاح خازم بن خُزَيْمَةَ فاقتتلوا، فانهزم بَسَّام وأصحابه وقتل أكثرهم وقتل كل من لحقه منهزماً؛ ثُمَّ انصرف فمرّ بذات المطامير، وبها أحوال السِّفَّاح من بني عبد المدان، وهم خمسة وثلاثون رجلاً، ومن غيرهم ثمانية عشر رجلاً، ومن مواليتهم سبعة عشر، فلم يسلم عليهم، فلما جازهم شتموه، وكان في قلبه عليهم ما كان لما بلغه عنهم من حال المُغيرة بن الفرع وأنه لجأ إليهم، وكان من أصحاب بَسَّام، فرجع إليهم وسألهم عن المُغيرة، فقالوا: مرّ بنا رجل مجتاز لا نعرفه فأقام في قريتنا ليلة ثُمَّ خرج عنا. فقال لهم: أنتم أحوال أمير المؤمنين يأتيكم عدوه ويأمن في قريتكم! فهلاًّ اجتمعتم فأخذتموه! فأغلظوا له في الجواب، فأمر بهم فضربت أعناقهم جميعاً وهدم دورهم ونهب أموالهم ثُمَّ انصرف.

فبلغ ذلك اليمانيّة فاجتمعوا، ودخل زياد بن عبد الله الحارثي معهم على السِّفَّاح، فقالوا له: إنّ خازماً إجتراً عليك واستخفّ بحقك وقتل أحوالك الذين قطعوا البلاد وأتوك معتزّين بك طالين معروفك حتّى صاروا في جوارك، قتلهم خازم وهدم دورهم ونهب أموالهم بلا حدث أحدثوه. فهمّ بقتل خازم فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية، فدخلوا على السِّفَّاح وقالوا: يا أمير المؤمنين بلغنا ما كان من هؤلاء وأنك هممت بقتل خازم، وإنما نعيذك بالله من ذلك، فإنّ له طاعة وسابقة وهو يُحتمل له ما صنع، فإنّ شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب والأولاد وقتلوا من خالفكم، وأنت أحقّ من تغمد إساءة مسيئهم، فإن كنت لا بدّ مجمعاً على قتله فلا تتولّ ذلك بنفسك وابعثه لأمرٍ إن قُتل فيه كنت قد بلغت الذي تريد، وإن ظفر كان ظفرك لك.

وأشاروا عليه بتوجيهه إلى مَنْ بَعُمان من الخوارج وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شَيْبان بن عبد العزيز الشكريّ، فأمر السِّفَّاح بتوجيهه مع

سبعمائة رجل، وكتب إلى سليمان بن عليّ، وهو على البصرة، بحملهم إلى جزيرة ابن كاوان وعُمان.

وسار خازم إلى البصرة في الجند الذين معه، وكان قد انتخب من أهله وعشيرته ومواليه ومن أهل مرو الرُوذ مَنْ يثق به، فلَمَّا وصل البصرة حملهم سليمان في السفن وانضمَّ إليه بالبصرة أيضاً عدَّة من بني تميم، فساروا في البحر حتَّى أرسوا بجزير ابن كاوان، فوجَّه خازم فضلة بن نعيم النَّهْشَلِيّ في خمسمائة إلى شيبان، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، فركب شيبان وأصحابه السفن وساروا إلى عُمان، وهم صُفْرِيَّة، فلَمَّا صاروا إلى عُمان قاتلهم الجُلُنْدِي وأصحابه، وهم إباضِيَّة، واشتدَّ القتال بينهم، فقتل شيبان ومن معه.

ثم سار خازم في البحر بمنَّ معه حتَّى أرسوا إلى ساحل عُمان، فخرجوا إلى الصحراء، فلقىهم الجُلُنْدِي وأصحابه واقتتلوا قتالاً شديداً، وكثر القتل يومئذ في أصحاب خازم، وقُتل منهم أخ له من أمِّه في تسعين رجلاً، ثُمَّ اقتتلوا من الغد قتالاً شديداً، فقتل يومئذ من الخوارج تسعمائة وأحرق منهم نحو من تسعين رجلاً، ثُمَّ التقوا بعد سبعة أيَّام من مقدم خازم على رأي أشار به بعض أصحاب خازم، أشار عليه أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة ويرووها بالنفط ويشعلوا فيها النيران ثُمَّ يمشوا بها حتَّى يضرموها في بيوت أصحاب الجُلُنْدِي، وكانت من خشب، فلَمَّا فعل ذلك وأضرمت بيوتهم بالنيران اشتغلوا بها وبمنَّ فيها من أولادهم وأهاليهم، فحمل عليهم خازم وأصحابه فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم وقتلوا الجُلُنْدِي فيمنَّ قُتل، وبلغ عدَّة القتلى عشرة آلاف، وبعث برؤوسهم إلى البصرة، فأرسلها سليمان إلى السفّاح، وأقام خازم بعد ذلك شهراً حتَّى استقدمه السفّاح فقدم.

* * *

جُمْهُورُ بَنِ مَرَّارِ الْعِجْلِيِّ

في سنة ثمان وثلاثين ومائة خلع جُمْهُورُ بَنِ مَرَّارِ الْمَنْصُورِ بِالرِّيِّ.

وكان سبب ذلك أن جُمهوراً لَمَّا هزم سنباد حوى ما في عسكره، وكان فيه خزائن أبي مسلم، فلم يوجَّهها إلى المنصور، فخاف فخلع ووجَّه إليه المنصورُ محمدَ بن الأشعث في جيش عظيم نحو الرِّيِّ، ففارقها جُمهور نحو أصبهان، ودخل محمدُ الرِّيِّ، وملك جُمهور أصبهان، فأرسل إليه محمدُ عسكراً، وبقي في الرِّيِّ، فأشار على جُمهور بعض أصحابه أن يسير في نخبة عسكره نحو محمدَ فإنَّه في قَلَّةٍ، فإن ظفر لم يكن لَمَن بعده بقيَّة، فسار إليه مجدّاً.

وبلغ خبره محمدُ، فحذر واحتاط، وأتاه عسكر من خراسان فقوي بهم، فالتقوا بقصر الفيروزان بين الرِّيِّ وأصبهان فاقتتلوا قتالاً عظيماً، ومع جُمهور نخبة من فرسان العجم، فهُزم جُمهور وقُتل من أصحابه خلقٌ كثير، وهرب جُمهور فلحق بأذربيجان، ثم إنَّه بعد ذلك قُتل بإسبادروا، قتله أصحابه وحملوا رأسه إلى المنصور.

* * *

جواري يوسف بن عمر الثقفي

في سنة عشرين ومائة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري عن أعماله جميعها. وكان سبب ذلك أنه بلغه أن خالداً يستقل ولاية العراق، فكتب إليه هشام: يا ابن أم خالد بلغني أنك تقول: ما ولاية العراق لي بشرف. يا ابن اللخناء، كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً وأنت من بجيلة القليلة الذليلة؟ أما والله إنِّي لأظن أن أول من يأتيك صغير من قريش يشدّ يدك إلى عنقك.

ولم يزل يبلغه عنه ما يكره، فعزم على عزله، فكتب ذلك وكتب إلى يوسف بن عمر، وهو باليمن يأمره أن يقدم في ثلاثين من أصحابه إلى العراق فقد ولّاه ذلك، فسار يوسف إلى الكوفة فعُرس قريباً منها، وقد ختن طارق خليفة خالد بالكوفة ولده فأهدى إليه ألف وصيف ووصيفة سوى الأموال والثياب، فمرَّ بيوسف بعض أهل العراق فسألوه: ما أنتم وأين تريدون؟ قالوا: بعض المواضع. فأتوا طارقاً فأخبره خبرهم وأمره بقتلهم وقالوا: إنَّهم خوارج. فسار يوسف إلى دور ثقيف،

فَقِيلَ لَهُمْ: مَا أَنْتُمْ؟ فَكْتَمُوا حَالَهُمْ وَأَمَرَ يُوسُفُ، فَجُمِعَ إِلَيْهِ مَنْ هُنَاكَ مِنْ مُضَرٍّ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا دَخَلَ الْمَسْجِدَ مَعَ الْفَجْرِ وَأَمَرَ الْمُؤَذِّنَ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى، وَأَرْسَلَ إِلَى طَارِقٍ وَخَالِدٍ فَأَخَذَهُمَا وَإِنَّ الْقَدُورَ لَتَغْلِي.

وَكَانَتْ وَلَايَةُ خَالِدِ الْعِرَاقِ فِي شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ، وَعُزِّلَ فِي جَمَادِي الْأُولَى سَنَةَ عَشْرِينَ وَمِائَةٍ. وَلَمَّا وَلِيَ يُوسُفُ بْنُ عَمْرِ الثَّقَفِيَّ الْعِرَاقَ كَانَ الْأَسْلَامُ ذَلِيلًا وَالْحُكْمُ فِيهِ إِلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالَ يَحْيَى بْنُ نَوْفَلٍ فِيهِ:

أَتَانَا وَأَهْلَ الشَّرْكَ أَهْلُ زَكَاتِنَا وَحُكَّائُنَا فِيمَا نُسِرَّ وَنَجْهَرُ
فَلَمَّا أَتَانَا يُوسُفُ الْخَيْرُ أَشْرَقَتْ لَهُ الْأَرْضُ حَتَّى كُلَّ وَادٍ مَنْوَرُ
وَحَتَّى رَأَيْنَا الْعَدْلَ فِي النَّاسِ ظَاهِرًا وَمَا كَانَ مِنْ قَبْلِ الْعُقَيْلِيِّ يَظْهَرُ
وَكَانَ فِي يُوسُفٍ أَشْيَاءٌ مُتَبَايِنَةٌ مُتَنَاقِضَةٌ، كَانَ طَوِيلَ الصَّلَاةِ مُلَازِمًا لِلْمَسْجِدِ
ضَابِطًا لِحَشْمِهِ وَأَهْلَهُ عَنِ النَّاسِ، لِيَنَّ الْكَلَامَ، مُتَوَاضِعًا، كَثِيرَ التَّضَرُّعِ وَالِدُعَاءِ،
وَكَانَ شَدِيدَ الْعُقُوبَةِ مُسْرِفًا فِي ضَرْبِ الْأَبْشَارِ...

قِيلَ: إِنَّ يُوسُفَ أَرَادَ السَّفَرَ فَدَعَا جَوَارِيَهُ فَقَالَ لِإِحْدَاهُنَّ: تَخْرِجِينَ مَعِي؟
قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: يَا خَبِيثَةَ كُلِّ هَذَا مِنْ حَبِّ النِّكَاحِ، يَا خَادِمَ اضْرِبْ رَأْسَهَا. وَقَالَ
لِأُخْرَى: مَا تَقُولِينَ؟ فَقَالَتْ: أَقِيمِ عَلَيَّ وَلَدِي. فَقَالَ: يَا خَبِيثَةَ أَكُلْتَ هَذَا زَهَادَةً فِي؟
اضْرِبْ رَأْسَهَا. وَقَالَ لِثَلَاثَةٍ: مَا تَقُولِينَ؟ قَالَتْ: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ، إِنْ قُلْتُ مَا قَالَتْ
إِحْدَاهُمَا لَمْ أَمْنِ عُقُوبَتَكَ. فَقَالَ: يَا لَخْنَاءٍ أَوْ تَنَاقُضِينَ وَتَحْتَجِّجِينَ؟ اضْرِبْ رَأْسَهَا.
فَضْرَبَ الْجَمِيعَ.

* * *

حاتم بن الحارث

فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ قُتِلَ ابْنُ ضُبَّارَةَ، فَكُتِبَ قَحْطَبَةٌ بِذَلِكَ إِلَى ابْنِهِ
الْحَسَنِ وَهُوَ يَحَاصِرُ نِهَازَنْدَ، فَلَمَّا أَتَاهُ الْكِتَابُ كَبَّرَ هُوَ وَجُنْدُهُ وَنَادَوْا بِقَتْلِهِ، فَقَالَ
عَاصِمُ بْنُ عُمَيْرٍ السَّعْدِيُّ: مَا نَادَى هَؤُلَاءُ بِقَتْلِهِ إِلَّا وَهُوَ حَقٌّ! فَاخْرَجُوا إِلَى
الْحَسَنِ بْنِ قَحْطَبَةَ فَإِنَّكُمْ لَا تَقُومُونَ لَهُ فَتَذْهَبُونَ حَيْثُ شِئْتُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ أَبُوهُ أَوْ مَدَدُ
مِنْ عِنْدِهِ.

فَقَالَتِ الرَّجَالَةُ: تَخْرُجُونَ وَأَنْتُمْ فَرَسَانٌ عَلَى خِيُولٍ وَتَتْرَكُونَا؟ وَقَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ أَذْهَمِ الْبَاهِلِيُّ: لَا أَبْرَحُ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيَّ قَحْطَبَةُ.

وَأَقَامَ قَحْطَبَةُ عَلَى أَصْبَهَانَ عَشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ سَارَ فَقَدِمَ عَلَى ابْنِهِ بِنَهَاوَنْدَ فَحَصَرَهُمْ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ: شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَشَوَّالَ، وَوَضَعَ عَلَيْهِمُ الْمَجَانِيقَ، وَأَرْسَلَ إِلَى مَنْ بِنَهَاوَنْدَ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ وَأَعْطَاهُمُ الْأَمَانَ، فَأَبَوْا ذَلِكَ.

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَأَجَابُوهُ وَقَبِلُوا أَمَانَهُ وَبَعَثُوا إِلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَشْغَلَ عَنْهُمْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِالْقِتَالِ لِيَفْتَحُوا لَهُ الْبَابَ الَّذِي يَلِيهِمْ، فَفَعَلَ ذَلِكَ قَحْطَبَةُ وَقَاتَلَهُمْ، فَفَتَحَ أَهْلُ الشَّامِ الْبَابَ، فَخَرَجُوا، فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ خُرَاسَانَ ذَلِكَ سَأَلُوهُمْ عَنْ خُرُوجِهِمْ، فَقَالُوا: أَخَذْنَا الْأَمَانَ لَنَا وَلَكُمْ. فَخَرَجَ رُؤَسَاءُ أَهْلِ خُرَاسَانَ، فَدَفَعَ قَحْطَبَةُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى قَائِدٍ مِنْ قَوَادِهِ ثُمَّ أَمَرَ فَنُودِيَ: مَنْ كَانَ بِيَدِهِ أَسِيرٌ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَيْنَا فَلْيَضْرِبْ عُنْقَهُ وَلْيَأْتِنَا بِرَأْسِهِ! فَفَعَلُوا ذَلِكَ؟ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ قَدْ هَرَبَ مِنْ أَبِي مُسْلِمٍ إِلَّا قُتِلَ إِلَّا أَهْلَ الشَّامِ، فَإِنَّهُ وَفِيَ لَهُمْ وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَمَالُوهَا عَلَيْهِ عَدُوًّا، وَلَمْ يَقْتُلْ مِنْهُمْ أَحَدًا.

وَكَانَ مِمَّنْ قُتِلَ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ: أَبُو كَامِلٍ، وَحَاتِمُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ سَرِيحٍ، وَابْنُ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ، وَعَاصِمُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَعَلِيُّ بْنُ عُقَيْلٍ، وَبَيْهَسٌ.

* * *

حَبِيبُ بْنُ مُطَهَّرٍ

وَحَمَلَ شِمْرٌ حَتَّى بَلَغَ فِسْطَاطَ الْحُسَيْنِ وَنَادَى: عَلَيَّ بِالنَّارِ حَتَّى أُحْرِقَ هَذَا الْبَيْتَ عَلَى أَهْلِهِ. فَصَاحَ النِّسَاءُ وَخَرَجْنَ، وَصَاحَ بِهِ الْحُسَيْنُ: أَنْتَ تَحْرِقُ بَيْتِي عَلَى أَهْلِي؟ حَرَّقَكَ اللَّهُ بِالنَّارِ! فَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ مُسْلِمٍ لَشِمْرٍ: إِنَّ هَذَا لَا يَصْلُحُ لَكَ، تُعَذِّبُ بِعَذَابِ اللَّهِ وَتَقْتُلُ الْوُلْدَانَ وَالنِّسَاءَ، وَاللَّهُ إِنْ فِي قِتْلِ الرِّجَالِ لِمَا يَرْضَى بِهِ أَمِيرُكَ! فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ، فَجَاءَهُ شَبَثُ بْنُ رَبِيعٍ فَنَهَاهُ فَانْتَهَى، وَذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ زَهِيرُ بْنُ الْقَيْنِ فِي عَشْرَةِ فَكَشَفَهُمْ عَنِ الْبُيُوتِ وَقَتَلُوا أَبَا عَزَّةَ الضُّبَابِيَّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ شِمْرٍ. وَعَطَفَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ فَكَثُرُوا، وَكَانَ إِذَا قُتِلَ الرَّجُلُ وَالرِّجَالَانِ يَبِينُ

فيهم لقلّتهم، وإذا قُتل في أولئك لا يبين فيهم لكثرتهم.

ولما حضر وقت الصلاة قال أبو ثمامة الصائديّ للحسين: نفسي لنفسك الفداء! أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، والله لا تُقتل حتى أقتل دونك، وأحب أن ألقى ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة! فرفع الحسين رأسه، وقال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلّين الذاكرين، نعم هذا أوّل وقتها، ثمّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنا حتى نصلي. ففعلوا، فقال لهم الحصين: إنّها لا تُقبل. فقال له: حبيب بن مُطهر: زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله ﷺ، وتقبل منك يا حمار! فحمل عليه الحصين، وخرج إليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف فشبّ فسقط عنه الحصين فاستنقذه أصحابه، وقاتل حبيب قتالاً شديداً فقتل رجلاً من بني تميم اسمه بُذيل بن صريم، وحمل عليه آخر من تميم فطعنه فذهب ليقوم فضربه الحصين على رأسه بالسيف فوقع ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه، فقال له الحصين: أنا شريكك في قتله. فقال الآخر: لا والله! فقال له الحصين: أعطنيه أعلّقه في عنق فرسي كيما يرى الناس أنّي شركت في قتله ثمّ خذه وامض به إلى ابن زياد فلا حاجة لي فيما تُعطاه.

ففعّل، وجال به في الناس ثمّ دفعه إليه، فلمّا رجعوا إلى الكوفة أخذ الرأس، وجعله في عنق فرسه ثمّ أقبل إلى ابن زياد في القصر، فبصر به القاسم بن حبيب، وقد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه، فارتاب به الرجل، فسأله عن حاله، فأخبره وطلب الرأس ليدفنه، فقال: إنّ الأمير لا يرضى أن يُدفن وأرجو أن يثيبي الأمير. فقال له: لكنّ الله لا يثيبك إلّا أسوأ الثواب. ولم يزل يطلب غيرة قاتل أبيه حتى كان زمان مُضْعَب، وغزا باجميري، ودخل القاسم عسكره فإذا قاتل أبيه في فسطاطه فدخل عليه نصف النهار فقتله.

* * *

الحجاج بن حميد النضري

في سنة عشر ومائة حصر خاقان كمرجه، وهي من أعظم بلدان خراسان، وبها جمع من المسلمين، ومع خاقان أهل قرغانة وأفشينة ونسف وطوائف من أهل

بخارى، فأغلق المسلمون الباب وقطعوا القنطرة التي على الخندق. فأتاهم ابن خُسرو بن يزدجرد، فقال: يا معشر العرب لِمَ تقتلون أنفسكم؟ أنا الذي جئت بخاقان ليردَّ عليَّ مملكتي وأنا آخذلكم الأمان. فشتموه. وأتاهم بازغرى في مائتين، وكان داهية، وكان خاقان لا يخالفه، فدنا من المسلمين بأمان وقال: لينزل إليَّ رجل منكم أكلمه بما أرسلني به خاقان. فأحذروا يزيد بن سعيد الباهلي، وكان يفهم بالتركية سيراً، فقال له: إنَّ خاقان أرسلني وهو يقول إنِّي أجعل مَنْ عطاؤه منكم ستمائة ألفاً، وَمَنْ عطاؤه ثلاثمائة ستمائة، وهو يُحسن إليكم. فقال له يزيد: كيف تكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاء! لا يكون بيننا وبينهم صلح. فغضب بازغرى، وكان معه تركيان، فقالا: ألا تضرب عنقه؟ فقال: إنَّه نزل بأمان. وفهم يزيد ما قالوا فخاف فقال: بلى، إنَّما تجعلوننا نصفين فيكون نصفنا مع أثقالنا ويسير النصف معكم، فإن ظفرتهم فنحن معكم، وإن كان غير ذلك كنَّا كسائر مدائن الصفد. فرضوا بذلك، وقال: أعرض على أصحابي هذا. وصعد في الجبل، فلما صار على السور نادى: يا أهل كمرْجه اجتمعوا فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان، فما ترون؟ قالوا: لا نجيب ولا نرضى. قال: يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين. قالوا: نموت قبل ذلك. فردَّ بازغرى.

ثمَّ أمر خاقان بقطع الخندق، فجعلوا يلقون الحطب الرطب ويلقي المسلمون الحطب اليابس حتَّى سوي الخندق فأشعلوا فيه النيران وهاجت ريح شديدة صنعاً من الله فاحترق الحطب، وكانوا جمعه في سبعة أيَّام، في ساعة واحدة.

ثمَّ فرَّق خاقان على الترك أغناماً وأمرهم أن يأكلوا لحمها ويحشوا جلودها تراباً ويكبسوا خندقها، ففعلوا ذلك، فأرسل الله سحابة فمطرت مطراً شديداً، فاحتمل المسيل ما في الخندق وألقاه في النهر الأعظم. ورماهم المسلمون بالسهام فأصابت بازغرى نصابةً في سرِّته فمات من ليلته، فدخل عليهم بموته أمر عظيم. فلما امتدَّ النهار جاؤوا بالأسرى الذين عندهم، وهم مائة، فيهم أبو العوجاء العتكي والحجاج بن حميد النضري، فقتلوهم ورموا برأس الحجاج، وكان عند المسلمين مائتان من أولاد المشركين رهائن فقتلوه واستماتوا، واشتدَّ القتال.

* * *

حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ

قيل في قتله: أن زياداً خطب يوم الجمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة، فقال له حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ: الصلاة. فمضى في خطبته. فقال له: الصلاة. فمضى في خطبته. فلما خشي حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ فوت الصلاة ضرب بيده إلى كفّ من حصي وقام إلى الصلاة وقام الناس معه. فلما رأى زياد ذلك نزل فصلى بالناس وكتب إلى معاوية وكثر عليه، فكتب إليه معاوية ليشده في الحديد ويرسله إليه. فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه، فقال حجر: لا، ولكن سمعاً وطاعة. فشُدَّ في الحديد وحُمِلَ إلى معاوية، فلما دخل عليه قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فقال معاوية: أمير المؤمنين أنا؟ واللّه لا أقيلك ولا أستقيلك! أخرجوه فاضربوا عنقه! فقال حجر للذين يلون أمره: دعوني حتّى أصلي ركعتين. فقالوا: صلّ، فصلّى ركعتين خفّف فيهما، ثمّ قال: لولا أن تظنّوا بي غير الذي أردت لأطلتكما، وقال لمن حضره من قومه: لا تُطْلِقُوا عَنِّي حديدًا ولا تغسلوا عَنِّي دماً، فإنّي لاقٍ معاوية غداً على الجادة، وضربت عنقه. قال: فلقيت عائشة معاوية، فقالت له: أين كان جِلمك عن حُجْرٍ؟ فقال: لم يحضرني رشيد. قال ابن سيرين: بلغنا أن معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول: يومي منك يا حجر طويل!

* * *

الحسين وأصحابه

روى الطبري وابن الأثير واليعقوبي والمسعودي أن الحسين عليه السلام لما ورد الطفّ في اثنين وسبعين رجلاً، سيّر إليه عبيد الله بن زياد عمر بن سعد في أربعة آلاف وكتب إليه:

إذا قتلت حسيناً فأوطئ الخيل صدره وظهره. فلما قتل الحسين وأصحابه، انتدب عمر بن سعد منهم عشرة، فداسوا بالخيل بدن الحسين حتى رصّوا ظهره وصدره، وقطعت رؤوس القتلى، وسلبوا ما كان عليهم من الثياب، وتركت جثثهم عارية ومالوا على ثقل الحسين ومتاعه فنهبوه، ومالوا على النساء، وكانت المرأة منهم تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها.

وبعث عمر بن سعد برأس الحسين إلى ابن زياد من ساعته وأقام بعد المذبحة يومين، ثم ارتحل إلى الكوفة ومعه رؤوس القتلى على أطراف الرماح، وحمل معه بنات الحسين وأخواته، ومن كان معه من الصبيان، فاجتازوا بهن على الحسين وأصحابه صرعى، فصاح النساء، ولطمن خدودهن، ثم أدخلوا الرؤوس ومعها النساء والأطفال على ابن زياد، فأبدى ابن زياد للنساء والأطفال من التشفي والشماتة، ما لم يكن عجيباً من أصله الدنس وطيبته الخبيثة فإنه خاطب النساء والأطفال بقوله: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدوثكم. ثم وجه كلامه إلى إحدى الفتيات فقال لها: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قد شفى الله نفسي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك. فبكت الفتاة وقالت له: لعمرى لقد قتلت كهلي وأبرت أهلي وقطعت فرعي واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

ونصب عبيد الله بن زياد رأس الحسين بالكوفة وداروا به فيها، ثم سرح رأس الحسين ورؤوس أصحابه مع نساء الحسين وبناته وأطفاله إلى يزيد بن معاوية بدمشق.

الحسين بن علي بن الحسن

في سنة تسع وستين ومائة، ظهر الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة، وهو المقتول بفخ عند مكة.

وكان سبب ذلك أن الهادي استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عمر بن الخطاب، فلما وليها أخذ أبا الزفت الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن، ومسلم بن جندب، الشاعر الهذلي، وعمر بن سلام، مولى آل عمر، على شراب لهم؛ فأمر بهم، فضربوا جميعاً، وجعل في أعناقهم حبال، وطيف بهم في المدينة، فجاء الحسين بن علي إلى العُمري، وقال له: قد ضربتهم ولم يكن لك أن تضربهم، لأن أهل العراق لا يرون به بأساً، فلم تطوف بهم؟ فأمر بهم فردوا، وحبسهم.

ثم إنَّ الحسين بن علي، ويحيى بن عبد الله بن الحسن، كفلا الحسن بن محمد، فأخرجهم العُمريّ من الحبس، وكان قد ضمن بعض آل أبي طالب بعضاً، وكانوا يُعرضون، فغاب الحسن بن محمد عن القرض يومين، فأحضر الحسين بن عليّ ويحيى بن عبد الله، وسألهما عنه، وأغلظ لهما، فحلف له يحيى أنّه لا ينام حتّى يأتيه به، أو يدقّ عليه باب داره، حتّى يعلم أنّه جاءه به.

فلما خرجا، قال له الحسين: سبحان الله! ما دعاك إلى هذا؟ ومن أين تجد حسناً؟ حلفت له بشيء لا تقدر عليه. فقال: والله لا نمتُ حتّى أضرب عليه باب داره بالسيف. فقال له الحسين: إنَّ هذا ينقض ما كان بيننا وبين أصحابنا من الميعاد.

وكانوا قد تواعدوا على أن يظهروا بمنى وبمكة في الموسم، فقال يحيى: قد كان ذلك؛ فانطلقا وعملا في ذلك من ليلتهم، وخرجوا آخر الليل، وجاء يحيى حتّى ضرب على العُمريّ باب داره، فلم يجده وجاؤوا، فاقتحموا المسجد وقت الصبح. فلما صلى الحسين الصبح أتاه الناس، فبايعوه على كتاب الله وسنة نبيّه للمرتضى من آل محمد؛ وجاء خالد البريديّ في مائتين من الجند، وجاء العُمريّ، ووزير بن إسحاق الأزرق، ومحمد بن واقد الشروبيّ، ومعهم ناس كثير، فدنا خالد منهم، فقام إليه يحيى وإدريس ابنا عبد الله بن الحسن، فضربه يحيى على أنفه، فقطعه، ودار له إدريس من خلفه، فضربه فصرعه، ثم قتلاه، فانهزم أصحابه ودخل العُمريّ في المُسوّدة، فحمل عليهم أصحاب الحسين، فهزموهم من المسجد، وانتهبوا بيت المال، وكان فيه بضعة عشر ألف دينار، وقيل: سبعون ألفاً، وتفرّق الناس، وأغلق أهل المدينة أبوابهم.

فلما كان الغد، اجتمع عليهم شيعة بني العبّاس، فقاتلوهم، وفشت الجراحات في الفريقين، واقتتلوا إلى الظهر، ثم افترقوا؛ ثم إنَّ مباركاً التركيّ أتى شيعة بني العبّاس من الغد، وكان قدم حاجاً فقاتل معهم، فاقتتلوا أشدّ قتال إلى منتصف النهار، ثم تفرّقوا، ورجع أصحاب الحسين إلى المسجد، ووعد مبارك الناس الرواح إلى القتال؛ فلما غفلوا عنه ركب رواحله وانطلق، وراح الناس

فلم يجدوه، فقاتلوا شيئاً من قتال إلى المغرب، ثم تفرقوا.

وقيل: إن مباركاً أرسل إلى الحسين يقول له: والله لأن أسقط من السماء، فتخطفني الطير أيسر عليّ من أن تشوكك شوكه، أو أقطع من رأسك شعرة، ولكن لا بدّ من الإعذار، فتيّنتني، فإنّي منهزم عنك. فوجّه إليه الحسن، وخرج إليه في نفر، فلما دنوا من عسكره صاحوا وكبروا، فانهزم هو وأصحابه.

وأقام الحسين وأصحابه أياماً يتجهّزون، فكان مقامهم بالمدينة أحد عشر يوماً، ثم خرجوا لستّ بقين من ذي القعدة، فلما خرجوا عاد الناس إلى المسجد، فوجدوا فيه العظام التي كانوا يأكلون وأثارهم، فدعوا عليهم.

ولما فارق المدينة، قال: يا أهل المدينة! لا خَلَفَ الله عليكم بخير. فقالوا: بل أنت لا خَلَفَ الله عليك ولا ردّك علينا! وكان أصحابه يُحدّثون في المسجد، ففسله أهل المدينة.

ولما أتى الحسين مكّة أمر، فنودي: أيّما عبدٍ أنا، فهو حرّ. فأتاه العبيد، فأنتهى الخبر إلى الهادي، وكان قد حجّ تلك السنة رجال من أهل بيته، منهم: سليمان بن المنصور، ومحمّد بن سليمان بن عليّ، والعبّاس بن محمّد بن عليّ، وموسى وإسماعيل ابنا عيسى بن موسى، فكتب الهادي إلى محمّد بن سليمان بتوليته على الحرب، وكان قد سار بجماعة وسلاح من البصرة لخوف الطريق، فاجتمعوا بذئ طوى، وكانوا قد أحرّموا بعمرة، فلما قدموا مكّة طافوا وسعوا، وحلّوا من العمرة، وعسكروا بذئ طوى، وانضمّ إليه من حجّ من شيعتهم ومواليهم وقوادهم.

ثم إنهم اقتتلوا يوم التروية، فانهزم أصحاب الحسين، وقتل منهم، وجرح، وانصرف محمّد بن سليمان ومن معه إلى مكّة، ولا يعلمون ما حال الحسين، فلما بلغوا ذا طوى، لحقهم رجل من أهل خراسان يقول: البشرى، البشرى، هذا رأس الحسين! فأخرجته، وبجبهته ضربة طولى، وعلى فباه ضربة أخرى، وكانوا قد نادوا الأمان، فجاء الحسن بن محمّد بن عبد الله، أبو الزفت، فوقف خلف محمّد بن

سليمان، والعبّاس بن محمّد، فأخذه موسى بن عيسى، وعبد الله بن العبّاس بن محمّد، فقتلاه، فغضب محمّد بن سليمان غضباً شديداً، وأخذ رؤوس القتلى، فكانت مائة رأس ونيفاً، وفيها رأس الحسن بن محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ، وأخذت أخت الحسين، فتركت عند زينب بنت سليمان؛ واختلط المنهزمون بالحاجّ، وأتى الهادي بسنة أسرى، فقتل بعضهم، واستبقى بعضهم، وغضب على موسى بن عيسى كيف قتل الحسن بن محمّد، وقبض أمواله، فلم تزل بيده حتّى مات؛ وغضب على مبارك التركيّ، وأخذ ماله، وجعله سائس الدوابّ، فبقي كذلك حتى مات الهادي.

وأفلت من المنهزمين إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ، فأتى مصرّ وعلى بريدها واضح مولى صالح بن المنصور، وكان شيعياً لعليّ، فحمّله على البريد إلى أرض المغرب، فوقع بأرض طنّجة، بمدينة وليلة، فاستجاب له من بها من البربر، فضرب الهادي عنق واضح وصلبه.

وقيل: إن الرشيد هو الذي قتله. وإن الرشيد دسّ إلى إدريس الشّماخ اليماميّ، مولى المهديّ، فأتاه وأظهر أنّه من شيعتهم، وعظّمه، وأثره على نفسه، فمال إليه إدريس، وأنزله عنده، ثمّ إن إدريس شكّا إليه مرضاً في أسنانه، فوصف له دواء، وجعل فيه سمّاً، وأمره أن يستنّ به عند طلوع الفجر، فأخذه منه، وهرب الشّماخ؛ ثمّ استعمل الدواء، فمات منه، فولّى الرشيد الشّماخ بريد مصر.

ولما مات إدريس بن عبد الله خلف مكانه ابنه إدريس بن إدريس وأعقب بها، وملكوها، ونازعوا بني أميّة في إمارة الأندلس، وحملت الرؤوس إلى الهادي، فلما وُضع رأس الحسين بين يديّ الهادي، قال: كأنكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت! إن أقلّ ما أجزيكم به أن أحرمكم جوائزكم، فلم يُعطهم شيئاً.

وكان الحسين شجاعاً، كريماً، قدم على المهديّ، فأعطاه أربعين ألف دينار، ففرّقها في النَّاس ببغداد والكوفة، وخرج من الكوفة لا يملك ما يلبسه إلّا فرواً ليس تحته قميص.

* * *

الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان

في سنة ست وتسعين ومائة، كان الرشيد قد قبض على عبد الملك بن صالح، وحبسه، فلم يزل محبوساً حتى مات الرشيد، فأخرجه الأمين من الحبس في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وأحسن إليه، فشكر عبد الملك ذلك له.

فلما كان من طاهر ما كان، دخل عبد الملك على الأمين، فقال له: يا أمير المؤمنين! أرى الناس قد طمعوا فيك، وجندك قد أعيتهم الهوام، وأضعفتهم الحروب، وامتلات قلوبهم هيبة لعدوهم، فإن سيرتهم إلى طاهر غلب بقليل من معه كثيرهم، وهزم بقوة نيته ضعف نصائحهم ونياتهم، وأهل الشام قوم ضرستهم الحرب، وأدبته الشدائد، وكلهم منقاد إليّ، متنازع إلى طاعتي، وإن وجهني أمير المؤمنين اتخذت له منهم جنداً يعظم نكايتهم في عدوّه؛ فولاه الأمين الشام والجزيرة وقواء بمال ورجال، وسيره سيراً حثيثاً.

فسار حتى نزل الرقة، وكاتب رؤساء أهل الشام، وأهل القوة، والجلد، والبأس، فأتوه رئيساً بعد رئيس، وجماعة بعد جماعة، فأكرمهم، ومنّاهم وخلع عليهم، وكثر جمعه، فمرض واشتد مرضه. ثم إن بعض جنود خراسان المقيمين في عسكر الشام رأى دابة كانت أخذت منه في وقعة سليمان بن أبي جعفر تحت بعض الزواquil من أهل الشام أيضاً، فتعلق بها، واجتمع جماعة من الزواquil والجند، فتضاربوا، واجتمعت الأبناء، وتألّبوا، وأتوا الزواquil وهم غارون، فوضعوا فيهم السيوف، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وتنادى الزواquil، فركبوا خيولهم ونشبت الحرب بينهم.

وبلغ ذلك عبد الملك، فوجه إليهم يأمرهم بالكف، فلم يفعلوا، واقتتلوا يومهم ذلك قتالاً شديداً، وأكثر الأبناء القتل في الزواquil، فأخبر عبد الملك بذلك، وكان مريضاً مدينفاً، فضرب بيده على يد، وقال: واذلّاه! تستضام العرب في دورها وبلادها! فغضب من كان أمسك عن الشر من الأبناء، وتفاقم الأمر، وقام بأمر الأبناء، الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان، وأصبح الزواquil، فاجتمعوا بعد بالرقة، واجتمع الأبناء وأهل خراسان بالرافعة، وقام رجل من أهل حصص، فقال:

يا أهل جِمْص! الهرب أهون من العطف، والموت أهون من الذلّ، إنَّكم قد بعدتم عن بلادكم، ترجون الكثرة بعد القلّة، والعزّة بعد الذلّة، ألا وفي الشرّ وقعتم، وفي حومة الموت أنختم، إنَّ المنايا في شوارب المسوّدة وقلانسهم، النفيّر النفيّر، يقبل أن ينقطع السبيل، وينزل الأمر الجليل، ويفوت المطلب، ويعسر المهرب.

وقام رجل من كلب في غرّز ناقته، فقال نحواً من ذلك، ثمّ قال: ألا وإني سائر، فمن أراد الانصراف، فلينصرف معي! ثمّ سار، فسار معه عامّة أهل الشام، وأحرقت الزواquil، ما كان التجّار قد جمعوه من الأعلاف، وأقبل لصر بن شَبث العُقيليّ، ثمّ حمل وأصحابه، فقاتل قتالاً شديداً، وصبر الجند لهم، وكان أكثرُ القتل في الزواquil لكثير بن قاذرة، وأبي الفيل، وداود بن موسى بن عيسى الخراساني، وانهزمت الزواquil، وكان على حمايتهم يومئذٍ نصر بن شَبث، وعمر بن عبد العزيز السُلَميّ، والعبّاس بن زُفر الكلابيّ، ثمّ توفيّ عبد الملك بن صالح بالرقّة في هذه السنة. فنادى الحسين بن عليّ بن عيسى بن ماهان في الجند، فجعل الرّجال في السفن، وسار الفرسان على الظهر في رجب، فلما قدم بغداد لقيه القوّاد وأهل بغداد، وعُملت له القباب، ودخل منزله؛ فلما كان جوف اللّيل بعث إليه الأمين يأمره بالركوب إليه، فقال للرسول: ما أنا بمغنّ، ولا مسامر، ولا مضحك، ولا وليت له عملاً ولا مالاً، فلاي شيء يريدني هذه الساعة؟ انصرف، فإذا أصبحتُ غدوتُ إليه، إن شاء الله.

وأصبح الحسين، فوافي باب الجسر، واجتمع إليه النّاس، فقال: يا معشر الأبناء! إنَّ خلافة الله لا تُجاوز بالبَطَر، ونعمته لا تُستصحب بالتجبر، وإن محمداً يريد أن يوقع أديانكم، وينقل عزّكم إلى غيركم، وهو صاحب الزواquil، وبالله إن طالّت به مدّة ليرجعنّ وبأل ذلك عليكم، فاقطعوا أثره قبل أن يقطع آثاركم، وضعوا عزّه قبل أن يضع عزّكم، فوالله لا ينصره ناصر منكم إلّا خذل، وما عند الله، عزّ وجلّ، لأحد هودة، ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده، والحنث بأيمانه.

ثمّ أمر النّاس بعبور الجسر، وصاروا إلى سكّة باب خُراسان، وتسرّعت خيول الأمين إلى الحسين، فقاتلوه قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب الأمين وتفرّقوا، فخلع

الحسينُ الأمينَ يومَ الأحدِ لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب، وأخذ البيعة للمأمون من الغد يوم الاثنين.

فلما كان يوم الثلاثاء، وثب العباس بن موسى بن عيسى بالأمين، فأخرجه من قصر الخلد، وحبسه بقصر المنصور، وأخرج أمه زبيدة أيضاً، فجعلها مع ابنها؛ فلما كان يوم الأربعاء، طالب الناس الحسين بالأرزاق وماجوا بعضهم في بعض، فقام محمد بن خالد بباب الشام، فقال: أيها الناس! والله ما أدري بأي سبب يأمر الحسين بن عليّ علينا، ويتولى هذا الأمر دوننا؟ ما هو بأكرنا سنأ، وما هو بأكرنا حسباً، ولا بأعظمتنا منزلةً وغنى، وإني أولكم أنقض عهده، وأظهر الإنكار لفعله، فمن كان على رأيي فليعتزل معي.

وقال أسد الحربي: يا معشر الحربيّة! هذا يوم له ما بعده، إنكم قد نمتم فطال نومكم، وتأخرتم فتقدم عليكم غيركم، وقد ذهب أقوام بخلع الأمين، فاذهبوا أنتم بذكر فكّه وإطلاقه.

وأقبل شيخ على فرس، فقال: أيها الناس! هل تعتدون على محمد بقطع أرزاقهم؟ قالوا: لا! قال: فهل قصر بأحد من رؤسائكم، وعزل أحداً من قوادكم؟ قالوا: لا! قال: فما بالكم خذلتموه، وأعنتم عدوه على أسره، وأيم الله ما قتل قوم خليفتهم إلا سلط الله عليهم السيف؛ انهضوا إلى خليفتهم، فقاتلوا عنه من أراد خلعه، فنهضوا وتبعهم أهل الأرباض، فقاتلوا الحسين قتالاً شديداً، فأسر الحسين بن عليّ، ودخل أسد الحربيّ على الأمين، فكسر قيوده، وأقعده في مجلس الخلافة.

ورأى الأمين أقواماً ليس عليهم لباس الجند، وأمرهم بأخذ السلاح، فانتهبته الغوغاء، ونهبوا غيره، وحمل إليه الحسين أسيراً، فلامه، فاعتذر له الحسين، فأطلقه، وأمر بجمع الجند، ومحاربة أصحاب المأمون وخلع عليه وولاه ما وراء بابه، وأمره بالمسير إلى حلوان، فوقف الحسين بباب الجسر والناس يهتفون، فلما خفف عنه الناس قطع الجسر وهرب، فنادى الأمين في الجند يطلبه، فركبوا كلهم، فأدركوه بمسجد كوثر على فرسخ من بغداد، فقاتلهم، فعثر به فرسه، فسقط عنه، فقتل وأخذوا رأسه،

وقيل: إنَّ الأمير كان استوزره، وسلَّم إليه خاتمه، وجدَّد الجند البيعة للأمين، بعد مقتل الحسين بيوم، وكان قتله خامس عشر رجب، فلَمَّا قُتل الحسين بن عليَّ هرب الفضل بن الربيع واختفى.

* * *

حمدون بن نصر

في سنة إحدى عشرة ومائتين وقع الاختلاف بين عامر بن نافع وبين منصور بن نصر بأفريقية، وسبب ذلك أنَّ منصوراً كان كثير الحسد... وسار بهم من تونس إلى منصور وهو بقصره بطنْبُذَة، فحصره، حتَّى فني ما كان عنده من الماء، فراسله منصور، وطلب منه الأمان على أن يركب سفينة ويتوجَّه إلى المشرق، فأجابه إلى ذلك، فخرج منصور أوَّل اللَّيل مخفياً يريد الأربس، فلَمَّا أصبح عامر ولم يرَ لمنصور أثراً طلبه حتَّى أدركه، فاقتتلوا وانهزم منصور، ودخل الأربس فتحصَّن بها، وحصره عامر، ونصب عليه منجنيقاً.

فلَمَّا اشتدَّ الحصار على أهل الأربس، قالوا لمنصور: إمَّا أن تخرج عنَّا، وإلَّا سلَّمناك إلى عامر، فقد أضربنا الحصار، فاستمهلهم حتَّى يصلح أمره، فأمهلوه، وأرسل إلى عبد السلام بن المفرج، وهو من قوَّاد الجيش، يسأله الاجتماع به، فأتاه، فكلَّمه منصور من فوق السور، واعتذر، وطلب منه أن يأخذ له أماناً من عامر حتَّى يسير إلى المشرق، فأجابه عبد السلام إلى ذلك، واستعطف له عامراً، فأمنه على أن يسير إلى تونس، ويأخذ أهله وحاشيته ويسير بهم إلى المشرق.

فخرج إليه، فسيرَه مع خيل إلى تونس، وأمر رسوله سرّاً أن يسير به إلى مدينة جَرَبَة، ويسجنه بها، ففعل ذلك، وسجن معه أخاه حمدون.

فلَمَّا علم عبد السلام ذلك عظم عليه، وكتب عامر إلى أخيه، وهو عامله على جَرَبَة، يأمره بقتل منصور وأخيه حمدون، ولا يراجع فيهما، فحضر عندهما، وأقرأهما الكتاب، فطلب منصور منه دواة وقرطاساً ليكتب وصيَّته، فأمر له بذلك، فلم يقدر أن يكتب، وقال: فاز المقتول بخير الدنيا والآخرة، ثمَّ قتلهم، وبعث برأسيهما إلى أخيه، واستقامت الأمور لعامر بن نافع، ورجع عبد السلام بن المفرج

إلى مدينة باجة، وبقي عامر بن نافع بمدينة تونس، وتوفي سلخ ربيع الآخر، سنة أربع عشرة ومائتين؛ فلما وصل خبره إلى زيادة الله، قال: الآن وضعت الحرب أوزارها، وأرسل بنوه إلى زيادة الله يطلبون الأمان، فأمنهم، وأحسن إليهم.

* * *

خارجي من البربر

في سنة مائتين، خرج خارجي من البربر بناحية مَورور، من الأندلس، ومعه جماعة، فوصل كتاب العامل إلى الحكم بخبره، فأخفى الحكم خبره، واستدعى من ساعته قائداً من قواده، فأخبره بذلك سراً، وقال له: سر من ساعتك إلى هذا الخارجي، فأيتني برأسه، وإلا فرأسك عوضه، وأنا قاعد مكاني هذا إلى أن تعود.

فسار القائد إلى الخارجي، فلما قاربه سأل عنه، فأخبر عنه بساخط كثير، واحتراز شديد، ثم ذكر قول الحكم: إن قتلته وإلا فرأسك عوضه، فحمل نفسه على سلوك سبيل المخاطرة، فأعمل الحيلة، حتى دخل عليه، وقتله، وأحضر رأسه عند الحكم، فرآه بمكانه ذلك لم يتغير منه، وكانت غيبته أربعة أيام.

فلما رأى رأسه، أحسن إلى ذلك القائد، ووصله وأعلى محله.

* * *

خالد المروزي

في سنة إحدى وثلاثمائة، ولما قُتل الأمير أحمد بن إسماعيل خالف أهل سجستان على ولده نصر، وانصرف عنها سيمجور الدواتي، فولأها المقتدر بالله بداراً الكبير، فأنفذ إليها الفضل بن حميد، وأبا يزيد خالد بن محمد المروزي، وكان عبيد الله بن أحمد الجيهاني ببست، والرُحج، وسعد الطالقاني بغزنة من جهة السعيد نصر بن أحمد، فقصد هما الفضل وخالد، وانكشف عنهما عبيد الله، وقبضا على سعد الطالقاني، وأنفذه إلى بغداد، واستولى الفضل وخالد على غزنة وبُست، ثم اعتل الفضل، وانفرد خالد بالأمور، وعصى على الخليفة، فأنفذ إليه دركاً أخا نجح الطولوني، فقاتله، فهزمه خالد.

وسار خالد إلى كَرْمان، فأنفذ إليه بدر جيشاً، فقاتلهم خالد، فُجرح، وانهزم أصحابه، وأُخذ أسيراً، فمات، فحمل رأسه إلى بغداد.

* * *

خالد بن محمد المادرائي

في سنة أربع وثلاثمائة، خالف أبويزيد خالد بن محمد المادرائي على المقتدر بالله بكرمان، وكان يتولّى الخراج، وسار منها إلى شيراز يريد التغلب على فارس، فخرج إليه بدر الحمّامي، فحاربه وقتله، وحمل رأسه إلى بغداد وطيف به.

* * *

الخبيث

كان الموفق قد عاد من حرب الزنج مؤيداً بالظفر، فلما عاد عن قتالهم إلى مدينة الموفقية، عزم على مناجزة الخبثاء، فأتاه كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون يستأذنه في المسير إليه، فأذن له وترك القتال ينتظره ليحضر القتال، فوصل إليه ثالث المحرم من هذه السنة في جيش عظيم، فأكرمه الموفق، وأنزله، وخلع عليه وعلى أصحابه ووصلهم، وأحسن إليهم، وأمر لهم بالأرزاق على قدر مراتبهم، وأضعف ما كان لهم، ثم تقدّم إلى لؤلؤ بالتأهب لحرب الخبثاء.

وكان الخبيث، لما غلب على نهر أبي الخصيب، وقطعت القناطر والجسور التي عليه، أحدث سِكراً في النهر من جانبيه، وجعل في وسط النهر باباً ضيقاً لتُحتدّ جرية الماء فيه، فتمتنع الشدّا من دخوله في الجُرّ، ويتعدّر خروجها منه في المدّ، فرأى الموفق أن جريه لا يتهياً إلا بقلع هذا السّكر، فحاول ذلك، فاشتدّت محاماة الخبثاء عليه، وجعلوا يزيدون كلّ يوم فيه، وهو متوسط دورهم، والمروية تسهل عليهم، وتعظم على من أراد قلعه، فشرع في محاربتهم بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ ليتمرّنوا على قتالهم، ويقفوا على المسالك والطرق في مدينتهم، فأمر لؤلؤ أن يحضر في جماعة من أصحابه للحرب على هذا السّكر، ففعل، فرأى الموفق من شجاعة لؤلؤ وإقدامه وشجاعة أصحابه ما سرّه، فأمر لؤلؤاً بصرفهم إشفاقاً عليهم، ووصلهم الموفق وأحسن إليهم وألحّ الموفق على هذا السّكر، وكان

يحارب المحاميين عليه بأصحابه وأصحاب لؤلؤ وغيرهم، والفَعلة يعملون في قلعه، ويحارب الخبيث وأصحابه في عدّة وجوه، ويحرق مساكنهم، ويقتل مقاتليهم، واستأمن إليه الجماعة، وكان قد بقي للخبيث وأصحابه بقية من أرضين بناحية النهر الغربيّ، لهم فيها مزارع وحصون وقنطرتان، وبه جماعة يحفظونه، فسار إليهم أبو العباس، وفرّق أصحابه من جهاتهم، وجعل كميناً، ثمّ أوقع بهم فانهزموا، فكلّما قصدوا جهةً خرج عليهم من يقاتلهم فيها، فقتلوا عن آخرهم لم يسلم منهم إلّا الشريد، فأخذوا من أسلحتهم ما أثقلهم حملة، وقطع القنطرتين، ولم يزل الموفّق يقاتلهم على سيكرهم، حتّى تهيّأ له فيه ما أحبه في خرقه.

فلما فرغ منه عزم على لقاء الخبيث، فأمر بإصلاح السفن والآلات للماء والظهر، وتقدّم إلى أبي العباس ابنه أن يأتي الخبيث من ناحية دار المهلبيّ، وفرّق العساكر من جميع جهاته، وأضاف المستأمنة إلى شبل، وأمره بالجدّ في قتال الخبيث، وأمر الناس أن لا يزحف أحد حتّى يحرك علماً أسود كان نصبه على دار الكرمانيّ وحتّى ينفخ في بوق بعيد الصوت.

وكان عبوره يوم الإثنين لثلاث بقين من المحرم، فعجل بعض الناس، وزحف نحوهم، فلقية الزنج، فقتلوا منهم، وردّوهم إلى مواقفهم، ولم يعلم سائر العسكر بذلك لكثرتهم، وبُعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض، وأمر الموفّق بتحريك العلم الأسود، والنفخ في البوق، فزحف الناس في البرّ والماء يتلو بعضهم بعضاً، فلقية الزنج وقد حشدوا واجترأوا، بما تهيّأ لهم، على من كان يسرع إليهم، فلقية الجيش بنيات صادقة، وبصائر نافذة، واشتدّ القتال، وقُتل من الفريقين جمعٌ كثير، فانهزم أصحاب الخبيث، وتبعهم أصحاب الموفّق يقتلون ويأسرون، واختلط بهم ذلك اليوم أصحاب الموفّق، فقتل منهم ما لا يحصى عدداً، وغرق منهم مثل ذلك، وحوى الموفّق المدينة بأسرها، فغنمها أصحابه، واستنفذوا من كان بقي من الأسرى من الرجال، والنساء والصبيان، وظفروا بجميع عيال عليّ بن أبان المهلبيّ، وبأخويه: الخليل، ومحمّد، وأولادهما، وعُبر بهم إلى المدينة الموفّقية.

ومضى الخبيث في أصحابه، ومعه ابنه إنكلابي، وسليمان بن جامع، وقواد من الزنج وغيرهم، هاربين، عامدين إلى موضع كان الخبيث قد أعدّه ملجأ إذا غلب على مدينته، وذلك المكان على النهر المعروف بالسفياني، وكان أصحاب الموقّ قد اشتغلوا بالنهب والإحراق، وتقدّم الموقّ في الشذا نحو نهر السفياني، ومعه لؤلؤ وأصحابه، فظن أصحاب الموقّ أنّه رجع إلى مدينتهم الموقّية، فانصرفوا إلى سفنهم بما قد حووا، وانتهى الموقّ ومن معه إلى عسكر الخبيث وهم منهزمون، وأتبعهم لؤلؤ في أصحابه، حتى عبر السفياني، فاقترح لؤلؤ بفرسه، وأتبعه أصحابه، حتى انتهى إلى النهر المعروف بالفربري، فوصل إليه لؤلؤ وأصحابه، فأوقعوا به وبمن معه، فهزمهم حتى عبر نهر السفياني، ولؤلؤ في أثرهم، فاعتصموا بجبل وراءه، وانفرد لؤلؤ وأصحابه باتباعهم إلى هذا المكان في آخر النهار، فأمر الموقّ بالإنصراف، فعاد مشكوراً محموداً لفعله، فحملة الموقّ معه، وجدّد له من البرّ والكرامة ورفعة المنزلة، ما كان مستحقاً له، ورجع الموقّ، فلم يرَ أحداً من أصحابه بمدينة الزنج، فرجع إلى مدينته واستبشر الناس بالفتح وهزيمة الزنج وصاحبهم.

وكان الموقّ قد غضب على أصحابه، بمخالفتهم أمره، وتركهم الوقوف حيث أمرهم، فجمعهم جميعاً ووبّخهم على ذلك، وأغلظ لهم، فاعتذروا بما ظنّوه من انصرافه، وأنّهم لم يعلموا بمسيره، ولو علموا ذلك لأسرعوا نحوه، ثمّ تعاقدوا وتحالفوا بمكانهم على أن لا ينصرف منهم أحد إذا توجهوا نحو الخبيث حتى يظفروا به، فإن أعياهم أقاموا بمكانه حتى يحكم الله بينهم وبينه. وسألوا الموقّ أن يرّد السفن التي يعبرون فيها إلى الخبيث لينقطع الناس عن الرجوع، فشكرهم وأثنى عليهم وأمرهم بالتأهب.

وأقام الموقّ بعد ذلك إلى الجمعة يصلح ما يحتاج الناس إليه، وأمر الناس عشية الجمعة بالمسير إلى حرب الخبثاء بكرة السبت، وطاف عليهم هو بنفسه يعرف كلّ قائد مركزه، والمكان الذي يقصده، وغدا الموقّ يوم السبت للياليتين خلّتا من صفر، من سنة سبعين ومائتين، فعبر بالناس، وأمر برّد السفن، فردّت، وسار

يقدمهم إلى المكان الذي قدّر أن يلقاهم فيه .

وكان الخبيث وأصحابه قد رجعوا إلى مدينتهم بعد انصراف الجيش عنهم، وأملوا أن تتناول بهم الأيام وتندفع عنهم المناجزة، فوجد الموفق المتسرّعين من فرسان غلمانه والرّجال قد سبقوا الجيش، فأوقعوا بالخبيث وأصحابه وقعة هزمهم بها، وتفرّقوا لا يلوى بعضهم على بعض، وتبعهم أصحاب الموفق يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم . وانقطع الخبيث في جماعة من حُماة أصحابه، وفيهم المهلبيّ، وفارقه ابنه إنكلياي، وسليمان بن جامع، فقصد كلّ فريق منهم جمعاً كثيفاً من الجيش .

وكان أبو العباس قد تقدّم، فلقيّ المنهزمين في الموضع المعروف بعسكر ربحان، فوضع أصحابه فيهم السلاح، ولقيهم طائفة أخرى، فأوقعوا بهم أيضاً، وقتلوا منهم جماعة، وأسروا سليمان بن جامع، فأثّوا به الموفق من غير عهد ولا عقد، فاستبشر الناس بأسره، وكثر التكبير، وأيقنوا بالفتح، إذ كان أكثر أصحاب الخبيث غنائاً عنه؛ وأسر من بعده إبراهيم بن جعفر الهمدانيّ، وكان أحد أمراء جيوشه، فأمر الموفق بالإستيئاق منهم، وجعلهم في شدة لأبي العباس .

ثمّ إنّ الزنج الذين انفردوا مع الخبيث، حملوا على الناس حملة أزالوهم عن مواقعهم، ففتروا، فأحسّ الموفق بفتورهم، فجدّد في طلب الخبيث وأمعن، فتبعه أصحابه، وانتهى الموفق إلى آخر نهر أبي الخصيب، فلقيه البشير بقتل الخبيث، وأتاه بشير آخر ومعه كفّ، ذكر أنّها كفّه، فقوي الخبر عنده، ثمّ أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض ومعه رأس الخبيث، فأدناه منه، وعرضه على جماعة المستأمنة فعرفوه، فخرّ لله ساجداً، وسجد معه الناس، وأمر الموفق برفع رأسه على قناة، فتأمّله الناس، فعرفوه، وكثر الضجيج بالتحميد .

* * *

داود بن هُبَيْرَة

في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، كان يزيد بن هُبَيْرَة قد انهزم إلى واسط وتحصّن

بها، بعدما لقيه الجيش من أهل خراسان مع قحطبة، ثم مع ابنه الحسن. وكان لما انهزم قد وكل بالأنقال قوماً، فذهبوا بها، فقال له حوثة: أين تذهب وقد قُتل صاحبهم؟ يعني قحطبة، امض إلى الكوفة ومعك جند كثير، فقاتلهم حتى تُقتل أو تظفر. قال: بل نأتي واسطاً فننظر. قال: ما تزيد على أن تمكّن من نفسك وتُقتل.

وقال يحيى بن حُصَيْن: إنك لو تأتي مروان بشيء أحب إليه من هذه الجنود، فالزم الفرات حتى تأتيه، وإياك وواسطاً فتصير في حصار وليس بعد الحصر إلا القتل. فأبى.

وكان يخاف مروان لأنه كان يكتب إليه بالأمر فيخالفه، فخاف أن يقتله، فأتى واسطاً فتحصّن بها، وسير أبو سَلَمَةَ إليه الحسن بن قحطبة فحصره، وأول وقعة كانت بينهم يوم الأربعاء. قال أهل الشام لابن هُبَيْرَة: إيدن لنا في قتالهم. فأذن لهم، فخرجوا وخرج ابن هُبَيْرَة وعلى ميمته ابنه داود، فالتقوا وعلى ميمنة الحسن خازم بن خُزَيْمَة، فحمل خازم على ابن هُبَيْرَة، فانهزم هو ومن معه وغصّ الباب بالناس، ورمى أصحابه بالعرّادات، ورجع أهل الشام، فكرّ عليهم الحسن واضطّروهم إلى دجلة، ففرق منهم ناس كثيرة فتلقّوهم بالسفن وتحاجزوا، فمكثوا سبعة أيام ثم خرجوا إليهم فاقتتلوا وانهزم أهل الشام هزيمةً قبيحة، فدخلوا المدينة، فمكثوا ما شاء الله لا يقاتلون إلا رميةً.

وبلغ ابن هُبَيْرَة، وهو في الحصار، أن أبا أمية التغلبي قد سوّد فأخذه وحبسه، فتكلّم ناس من ربيعة في ذلك ومعن بن زائدة الشيباني وأخذوا ثلاثة نفر من فزارة رهط ابن هُبَيْرَة فحبسوهم. وشموا ابن هُبَيْرَة وقالوا: لا نترك ما في أيدينا حتى يترك ابن هُبَيْرَة صاحبنا. وأبى ابن هُبَيْرَة أن يطلقه، فاعتزل معن وعبد الرحمن بن بشير العجلي فيمنّ معهما. فقليل لابن هُبَيْرَة: هؤلاء فرسانك قد أفسدتهم، وإن تماديت في ذلك كانوا أشدّ عليك ممّن حصرك. فدعا أبا أمية فكساه وخلّى سبيله، فاصطلحوا وعادوا إلى ما كانوا عليه.

وقدم أبو نصر مالك بن الهيثم من ناحية سجستان إلى الحسن، فأوفد الحسن

وفدأ إلى السفّاح بقدم أبي نصر عليه، وجعل على الوفد غيلان بن عبد الله الخُزاعي، وكان غيلان واجداً على الحسن لأنّه سرّحه إلى رَوْح بن حاتم مدداً له، فلما قدم على السفّاح، وقال: أشهد أنّك أمير المؤمنين، وأنك جبلُ الله المتين، وأنك إمام المتّقين. قال: حاجتك يا غيلان؟ قال: استغفرك. قال: غفر الله لك. قال غيلان: يا أمير المؤمنين منّ علينا برجل من أهل بيتك. قال: أوليس عليكم رجل من أهل بيتي الحسن بن قحطبة؟ قال: يا أمير المؤمنين منّ علينا برجل من أهل بيتك ننظر إلى وجهه وتقرّ أعيننا به. فبعث أخاه أبا جعفر لقتال ابن هبيرة عند رجوعه من خراسان. وكتب إلى الحسن: إنّ العسكر عسكرك، والقوّد قوّدك، ولكن أحببت أن يكون أخي حاضراً، فاسمع له وأطع وأحسن موازرتة. وكتب إلى مالك بن الهيثم بمثل ذلك. وكان الحسن هو المدبّر لأمر ذلك العسكر.

فلما قدم أبو جعفر المنصور على الحسن تحوّل الحسن عن خيمته وأنزله فيها، وجعل الحسن على حرس المنصور عثمان بن نهيك.

وقاتلهم مالك بن الهيثم يوماً فانهزم أهل الشام إلى خنادقهم وقد كمن لهم معن وأبويحيى الجذامي. فلما جازهم أصحابُ مالك خرجوا عليهم فقاتلهم حتّى جاء الليل، وابن هبيرة على برج الخلّالين، فاقتلوا ما شاء الله من الليل، وسرّح ابنُ هبيرة إلى معن ومحمّد بن نُبّاة، فقاتلهم أصحاب الحسن فهزموهم إلى دجلة حتّى تساقطوا فيها ورجعوا وقد قُتل ولد مالك بن الهيثم، فلما رآه أبوه قتيلاً قال: لعن الله الحياة بعدك! ثمّ حملوا على أهل واسط فقاتلهم حتّى أدخلوهم المدينة.

وكان مالك يملأ السفن حطباً ثمّ يضرّمها ناراً لتحرق ما مرّت به، فكان ابنُ هبيرة يجرّ تلك السفن بكلايب، فمكثوا كذلك أحد عشر شهراً.

فلما طال عليهم الحصار طلبوا الصلح، ولم يطلبوه حتّى جاءهم خبر قتل مروان، أتاها به إسماعيل بن عبد الله القسريّ وقال لهم: علام تقتلون أنفسكم وقد قُتل مروان؟ وتجنّى أصحاب ابن هبيرة عليه، فقالت اليمانيّة: لا نعين مروان وأثارة

فينا آثاره. وقالت التزارية: لا نقاتل حتى تقاتل معنا اليمانية، وكان يقاتل معه صعاليك الناس وفتيانهم.

وهم ابن هبيرة بأن يدعو إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي، فكتب إليه، فأبطأ جوابه، وكتب السفاح اليمانية من أصحاب ابن هبيرة وأطمعهم، فخرج إليه زياد بن صالح وزياد بن عبد الله الحارثيان ووعدا ابن هبيرة أن يصلحا له ناحية ابن العباس، فلم يفعلوا، وجرت السفراء بين أبي جعفر وابن هبيرة حتى جعل له أماناً وكتب به كتاباً مكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيه فأنفذه إلى جعفر، فأنفذه أبو جعفر إلى أخيه السفاح فأمره بإمضائه.

وكان رأي أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه، وكان السفاح لا يقطع أمراً دون أبي مسلم، وكان أبو الجهم عينا لأبي مسلم على السفاح، فكتب السفاح إلى أبي مسلم يخبره أمر ابن هبيرة، فكتب أبو مسلم إليه: إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد، لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة.

ولما تم الكتاب خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة من البخارية، وأراد أن يدخل على دابته، فقام إليه الحاجب سلام بن سليم، فقال: مرحباً بك أبا خالد، انزل راشداً! وقد أطاف بحجرة المنصور عشرة آلاف من أهل خراسان، فنزل ودعا له بوسادة ليجلس عليها، وأدخل القواد ثم أذن لابن هبيرة وحده، فدخل وحادثه ساعة ثم قام ثم مكث يأتيه يوماً ويتركه يوماً، فكان يأتيه في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل. فقل لأبي جعفر: إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعع له العسكر وما نقص من سلطانه شيء. فأمره أبو جعفر أن لا يأتي إلا في حاشيته، فكان يأتي في ثلاثين، ثم صار يأتي في ثلاثة أو أربعة.

وكلّم ابن هبيرة المنصور يوماً، فقال له ابن هبيرة: يا هناه! أويأ أيها المرء! ثم رجع، فقال: أيها الأمير إن عهدي بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به لقريب فسبقني لساني إلى ما لم أرد. فالح السفاح على أبي جعفر يأمره بقتل ابن هبيرة وهو يراجع حتى كتب إليه: والله لتقتلنه أو لأرسلنّ إليه من يخرج من حجرتك ثم يتولّى قتله.

فَعَزَمَ عَلَى قَتْلِهِ، فَبَعَثَ خَازِمَ بْنَ خُزَيْمَةَ وَالْهَيْثَمَ بْنَ شُعْبَةَ بْنِ طُهَيْرٍ وَأَمْرَهُمَا بِخَتْمِ بَيْتِ الْأَمْوَالِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى وَجْهِهِ مَعَ ابْنِ هَبِيرَةَ مِنَ الْقَيْسِيَّةِ وَالْمُضَرِّيَّةِ فَأَحْضَرَهُمْ، فَأَقْبَلَ مُحَمَّدُ بْنُ نُبَاتَةَ وَخَوْتُهُ بِنْتُ سُهَيْلٍ فِي اثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ رَجُلًا، فَخَرَجَ سَلَامُ بْنُ سُلَيْمٍ، فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ نُبَاتَةَ وَخَوْتُهُ؟ فَدَخَلَا وَقَدْ أَجْلَسَ أَبُو جَعْفَرٍ عُثْمَانَ بْنَ نَهْيَكٍ وَغَيْرَهُ فِي مِائَةِ فِي حِجْرَةٍ دُونَ حِجْرَتِهِ، فَزَعَتْ سَيُوفُهُمَا وَكُتِفَا، وَاسْتَدْعَى رَجُلَيْنِ يَفْعَلُ بِهِمَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمَا: أَعْطَيْتُمُونَا عَهْدَ اللَّهِ ثُمَّ غَدَرْتُمَا بِنَا! إِنَّا لَنَرْجُو أَنْ يُذَرَّكُمْ اللَّهُ! وَجَعَلَ ابْنُ نُبَاتَةَ يَضْرِبُ فِي لَحْيَةِ نَفْسِهِ، وَقَالَ: كَأَنِّي كُنْتُ أَنْظُرَ إِلَى هَذَا.

وَانْطَلَقَ خَازِمُ وَالْهَيْثَمُ بْنُ شُعْبَةَ فِي نَحْوِ مِائَةِ إِلَى ابْنِ هَبِيرَةَ، فَقَالُوا: نَرِيدُ حَمْلَ الْمَالِ. فَقَالَ لِحَاجِبِهِ: دَلَّهِمْ عَلَى الْخَزَائِنِ. فَأَقَامُوا عِنْدَ كُلِّ بَيْتٍ نَفَرًا، وَأَقْبَلُوا نَحْوَهُ وَعِنْدَهُ ابْنُهُ دَاوُدُ وَعِدَّةٌ مِنْ مَوَالِيهِ وَبَنِيٌّ لَهُ صَغِيرٌ فِي حِجْرِهِ. فَلَمَّا أَقْبَلُوا نَحْوَهُ قَامَ حَاجِبُهُ فِي وَجْهِهِمْ، فَضَرَبَهُ الْهَيْثَمُ بْنُ شُعْبَةَ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ فَصَرَعَهُ، وَقَاتَلَ ابْنَهُ دَاوُدَ، وَأَقْبَلَ هُوَ إِلَيْهِ وَنَحَى ابْنَهُ مِنْ حِجْرِهِ، فَقَالَ: دُونَكُمْ هَذَا الصَّبِيَّ، وَخَرَّ سَاجِدًا فَقُتِلَ؟ وَحُمِلَتْ رُؤُوسُهُمْ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ، وَنَادَى بِالْأَمَانِ لِلنَّاسِ إِلَّا الْحَكَمَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشَرَ، وَخَالِدَ بْنَ سَلِيمَةَ الْمَخْزُومِيَّ، وَعَمَرَ بْنَ ذَرٍّ، فَاسْتَأْمَنَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَابْنِ ذَرٍّ، فَأَمَنَهُ، وَهَرَبَ الْحَكَمُ، وَأَمَنَ أَبُو جَعْفَرٍ خَالِدًا فَقَتَلَهُ السَّقَاحُ وَلَمْ يُجِزْ أَمَانَ أَبِي جَعْفَرٍ، فَقَالَ أَبُو الْعَطَاءِ السَّنْدِيُّ يَرِثُنِي ابْنُ هَبِيرَةَ:

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تُجَدْ يَوْمَ وَاسِطٍ	عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجَمُودٍ
عَشِيَّةٌ قَامَ النَّائِحَاتُ وَصَفَّقَتْ	أَكْفَ بِأَيْدِي مَاتِمٍ وَخُدُودِ
فَإِنْ تُمَسَّ مَهْجُورُ الْفَنَاءِ فَرَبَّمَا	أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوَفُودِ وَفُودِ
فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَتْعَهْدٍ	بَلَى كُلِّ مَنْ تَحْتَ التَّرَابِ بَعِيدِ

* * *

دهقان بخاری

فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةِ خَرَجَ زِيَادُ بْنُ صَالِحٍ وَرَاءَ النَّهْرِ، فَسَارَ أَبُو مُسْلِمٍ مِنْ مَرُوءٍ مُسْتَعِدًّا لِلْقَائِهِ، وَبَعَثَ أَبُو دَاوُدَ خَالِدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ نَصْرَ بْنَ رَاشِدٍ إِلَى تَرْمِذٍ

مخافة أن يبعث زياد بن صالح إلى الحصن والسفن فيأخذها، ففعل ذلك نصر وأقام بها، فخرج عليه ناس من الطَّالِقَانِ مع رجل يكنى أبا إسحاق فقتلوا نصرًا. فلَمَّا بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان في تَتَبُّعِ قَتْلَةِ نصر، فتبعهم فقتلهم.

ومضى أبو مسلم مسرعاً حتَّى انتهى إلى أَمَلٍ ومعه سِبَاعُ بن النُّعْمَانِ الأزدِيّ، وهو الذي كان قد أرسله السَّفَّاحُ إلى زياد بن صالح وأمره إن رأى فرصة أن يثب على أبي مسلم فيقتله.

فأخبر أبو مسلم بذلك، فحبس سباعاً بَأْمَلٍ، وعبر أبو مسلم إلى بخارى، فلَمَّا نزلها أتاه عدَّةٌ من قَوَادِ زياد قد خلَعُوا زياداً فأخبروا أبا مسلم أن سباع بن النُّعْمَانِ هو الذي أفسد زياداً، فكتب إلى عامله بَأْمَلٍ أن يقتله، ولَمَّا أسلم زياداً قَوَادُهُ ولحقوا بأبي مسلم لَجَأً إلى دهقان هناك، فقتله وحمل رأسه إلى أبي مسلم.

وتأخَّرَ أبو داود عن أبي مسلم لحال أهل الطَّالِقَانِ، فكتب إليه أبو مسلم يُخْبِرُهُ بقتل زياد، فأتى كَشَى، وأرسل عيسى بن ماهان إلى بَسَّامٍ وبعث جنداً إلى ساعر فطلبوا الصلح، فأجيبوا إلى ذلك.

وأما بَسَّامٌ فلم يصل عيسى إلى شيء منه، وكتب عيسى إلى كامل بن مظفر صاحب أبي مسلم يعتب أبا داود وينسبه إلى العصبِيَّةِ، فبعث أبو مسلم بالكتب إلى أبي داود، وكتب إليه: إن هذه كتب العليج الذي صيَّرتَه عدل نفسك فشأنك به. فكتب أبو داود إلى عيسى يستدعيه، فلَمَّا حضر عنده حبسه وضربه ثم أخرجَه، فوثب عليه الجند فقتلوه، ورجع أبو مسلم إلى مرو.

* * *

ذاهر ملك السند

في سنة تسع وثمانين قتل محمَّدُ بن القاسم بن محمَّد بن الحَكَمِ بن أبي عقيل الثَّقَفِيُّ، يجتمع هو والحجَّاج في الحَكَمِ، ذاهر بن صعصعة ملك السند ومَلِكُ بلادِه، وكان الحجَّاج بن يوسف استعمله على ذلك الثغر وسيَّر معه سِتَّةَ آلاف مقاتل وجهَّزَه بكل ما يحتاج إليه حتى المسالِّ والإبر والخيوط، فسار محمَّد إلى

مُكران فأقام بها أياماً ثم أتى قَنْزُبُورَ ففتحها، ثم سار إلى أرمائيل ففتحها، ثم سار إلى الدَّيْل فقدمها يوم جمعة، ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والأداة فخذق حين نزل الدَّيْل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقاً يقال له العروس كان يمدُّ به خمسمائة رجل، وكان بالدَّيْل بُدٌّ عظيم عليه دقل عظيم وعلى الدقل راية حمراء إذا هبَّ الريح أطافت بالمدينة، وكانت تدور، والبُدُّ صنم في بناء عظيم تحت منارة عظيمة مرتفعة، وفي رأس المنارة هذا الدقل، وكلُّ ما يُعبدُ فهو عندهم بَدٌّ.

فحصرها وطال حصارها، فرمى الدقل بحجر العروس فكسره، فتطير الكفار بذلك، ثم إنَّ محمداً أتى وناهضهم وقد خرجوا إليه فهزمهم حتى ردَّهم إلى البلد وأمر بالسلايم فُنصبت وصعد عليها الرجال، وكان أولهم صعوداً رجل من مُراد من أهل الكوفة، ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة أيام وهرب عامل ذاهر عنها وأنزلها محمداً أربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها إلى البيرون، وكان أهلها بعثوا إلى الحجاج فصالحوه، فلقوا محمداً بالميرة وأدخلوه مدينتهم، وسار عنها وجعل لا يمرُّ بمدينة إلا فتحها حتى عبر نهراً دون مهران، فأثاه أهل سريريس فصالحوه، ووظف عليهم الخراج وسار عنهم إلى سهبان ففتحها، ثم سار إلى نهر مهران فنزل وسطه.

وبلغ خبره ذاهر فاستعدَّ لمحاربته وبعث جيشاً إلى سَدُوسْتان، فطلب أهلها الأمان والصلح، فأمنهم ووظف عليهم الخراج، ثم عبر محمداً مهران ممَّا يلي بلاد راسل الملك على جسر عقده وذاهر مستخفَّ به، فلقيه محمداً والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة، ومعه التكاكرة، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يُسمع بمثله، وترجل ذاهر فقتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا، وقال قاتله:

الخيَل تشهَدُ يومَ ذاهِرَ والقنا	ومحمَّدُ بنُ القاسِمِ بنِ محمَّدٍ
أني فرجتُ الجَمعَ غيرَ معرِّدٍ	حتى علَّوتُ عَظيَمَهم بمُهَنَّدٍ
فتركتُه تحتَ العَجاجِ مَجْنَدلاً	متَعَفَّرَ الخَدَّينِ غيرَ مُوسِدٍ

فلما قُتل ذاهر غلب محمداً على بلاد السند وفتح مدينة راور عنوةً وكان بها

امراً للذاهر، فخافت أن تؤخذ فأحرقت نفسها وجواريتها وجميع مالها.
... وعظمت فتوحه، ونظر الحجاج في النفقة على ذلك الثغر فكانت ستين ألف درهم، ونظر في الذي حمل فكان مائة ألف ألف وعشرين ألف، فقال: ربحتنا ستين ألفاً وأدركنا ثأرنا ورأس ذاهر.

* * *

رافع بن هرثمة

في سنة تسع وسبعين ومائتين عزل المعتضد رافع بن هرثمة عن خراسان.
وسبب ذلك أن المعتضد كتب إلى رافع بتخلية قرى السلطان بالرّي، فلم يقبل، فأشار على رافع أصحابه برّد القرى لئلا يفسد حاله بكتاب، فلم يقبل أيضاً، وكتب المعتضد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف يأمره بمحاربة رافع وإخراجه عن الرّي، وكتب إلى عمرو بن الليث بتوليته خراسان.

ثم إن أحمد بن عبد العزيز لقي رافعاً فقاتله، فانهزم رافع عن الرّي وسار إلى جرجان، ومات أحمد بن عبد العزيز سنة ثمانين ومائتين، فعاد رافع إلى الرّي، فلاقاه عمرو وبكر ابنا عبد العزيز، فاقتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عمرو وبكر، وقُتل من أصحابهما مقتلة عظيمة، ووصلوا إلى أصبهان، وذلك في جمادي الأولى سنة ثمانين ومائتين.

وأقام رافع بالرّي باقي سنته، ومات علي بن الليث معه في الرّي؛ ثم إن عمرو بن الليث وافى نيسابور في جمادي الأولى سنة ثمانين ومائتين واستولى عليها وعلى خراسان، فبلغ الخبر إلى رافع، فجمع أصحابه واستشارهم فيما يفعل، وقال لهم: إن الأعداء قد أحدقوا بنا، ولا آمن أن يتفقوا علينا؛ هذا محمد بن زيد بالديلم ينتظر فرصة لينتهزها؛ وهذا عمرو بن عبد العزيز قد فعلت به ما فعلت، فهو يتربص الدوائر؛ وهذا عمرو بن الليث قد وافى خراسان بجموعه؛ وقد رأيت أن أصالح محمد بن زيد وأعيد إليه طبرستان، وأصالح ابن عبد العزيز، ثم أسير إلى عمرو فأخرجه عن خراسان، فوافقه على ذلك، وأرسل إلى ابن عبد العزيز

فصالحه، واستقرَّ الأمر بينهما في شعبان سنة ثمانين ومائتين.

ثم سار إلى طَبْرِستان، فوردها في شعبان سنة إحدى وثمانين ومائتين، وكان قد أقام بجُرجان، فأحكم أمورها، ولَمَّا استقرَّ بِطَبْرِستان راسل مُحَمَّد بن زيد وصالحه، ووعدَه مُحَمَّد بن زيد أن ينجده بأربعة آلاف رجل من شجعان الدَّيلم، وخطبَ لِمُحَمَّد بِطَبْرِستان وُجُرجان في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

وبلغ خبر مصالحة مُحَمَّد بن زيد ورافع إلى عمرو بن الليث، فأرسل إلى مُحَمَّد يُذَكِّرُه ما فعل به، ويُحذِّره منه ومن غدره إن استقام أمره، فعاد عن إنجاده بعسكر.

فلَمَّا قوي عمرو عرف لِمُحَمَّد بن زيد ذلك، وخلَّى عليه طَبْرِستان؛ ولَمَّا أحكم رافع أمرَ مُحَمَّد بن زيد سار إلى خُراسان، فورد نيسابور في ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وجرى بينه وبين عمرو حرب شديدة انهزم فيها رافع إلى أَبِيوَرْدَ، وأخذ عمرو منه المعدل والليث، ولَدَّى أخيه عليَّ بن الليث، وكانا عنده بعد موت أخيه عليَّ.

ولَمَّا ورد رافع أَبِيوَرْدَ أراد المسير إلى هَرَاة أو مرو، فعلم عمرو بذلك، فأخذ عليه الطريق بِسَرْخُس، فلَمَّا علم رافع بمسير عمرو عن نيسابور سار على مضائق وطرق غامضة غير طريق الجيش ونيسابور، فدخلها، وعاد إليه عمرو من سَرْخُس فحصره فيها، وتلقاها، واستأمن بعض قَوَاد رافع إلى عمرو، فانهزم رافع وأصحابه، وسير أخاه مُحَمَّد بن هَرُثمة إلى مُحَمَّد بن زيد يستمدّه، ويطلب ما وعده من الرجال، فلم يفعل، ولم يمدّه برجل واحد، وتفرَّق عن رافع أصحابه وغلمانَه، وكان له أربعة آلاف غلام، ولم يملك أحد من وُلاة خُراسان قبله مثله، وفارقه مُحَمَّد بن هارون إلى إسماعيل بن أحمد الساماني ببخارى، وخرج رافع منهزمًا إلى خوارزم على الجمَّازات، وحمل ما بقي معه من مال وآلة، وهو في شَرْدِمة قليلة، وذلك في رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

فلَمَّا بلغ رباط جبوه وجَّه إليه خوارزمشاه أبا سعيد الدرغاني ليقيم له الأنزال،

ويخدمه إلى خوارزم، فرآه أبو سعيد في قلة من رجالة، وغدر به وقتله لسبع خلون من شوال سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث، وهو بنيسابور، وأنفذ عمرو الرأس إلى المعتضد بالله، فوصل إليه سنة أربع وثمانين ومائتين، فنصب ببغداد، وصفت خراسان، إلى شاطيء جيحون، لعمره.

* * *

رستم

في سنة أربع عشرة كانت وقعة القادسية، وسميت ليلة الهرير لتركهم الكلام إنما كانوا يهرون هريراً.

... وأرسل سعد طليحة وعمراً ليلة الهرير إلى مخاضة أسفل العسكر ليقوموا عليها خشية أن يأتيه القوم منها. فلما أتياها قال طليحة: لو خضنا وأتينا الأعاجم من خلفهم. قال عمرو: بل تعبر أسفل. فافترقا وأخذ طليحة وراء العسكر وكبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب وقد ارتاع أهل فارس وتعجب المسلمون، وطلبه الأعاجم فلم يدركوه.

وأما عمرو فإنه أغار أسفل المخاضة ورجع، وخرج مسعود بن مالك الأسدي وعاصم بن عمرو وابن ذي البرددين الهلالي وابن ذي السهمين وقيس بن هبيرة الأسدي وأشباههم فطاردوا القوم، فإذا هم لا يشدون ولا يريدون غير الزحف، فقدموا صفوفهم وزاحفهم الناس بغير إذن سعد، وكان أول من زاحفهم القعقاع، وقال سعد: اللهم اغفرها له وانصره فقد أذنت له إن لم يستأذني. ثم قال: أرى الأمر ما فيه هذا، فإذا كبرت ثلاثاً فاحملوا، وكبر واحدة فلحقهم أسد، فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم. ثم حملت النخع، فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم. ثم حملت بجيلة، فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم. ثم حملت كندة فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم. ثم زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على القعقاع، وتقدم حنظلة بن الربيع وأمرء الأعشار وطليحة وغالب وحمال وأهل النجدات، ولما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضاً وخالطوا القوم واستقبلوا الليل استقبلاً بعدما صلوا العشاء، وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم إلى الصباح، وأفرغ الله

الصبر عليهم إفراغاً، وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط، وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم، وأقبل سعد على الدعاء، فلما كان عند الصبح انتمى الناس فاستدلّ بذلك على أنهم الأعلون، وكان أول شيء سمعه نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نَحْنُ قَتَلْنَا مَعْشَرًا وَزَائِدًا أَرْبَعَةً وَخَمْسَةً، وَوَاجِدًا
نُحْسِبُ فَوْقَ اللَّبْدِ الْأَسَاوِرَا حتى إذا ماتوا دَعَوْتُ جَاهِدًا
* اللَّهُ رَبِّي وَاحْتَرَزْتُ عَامِدًا *

وقتل كندة تركاً الطبري، وكان مقدماً فيهم.

وأصبح الناس ليلة الهرير - وتسمى ليلة القادسية من بين تلك الليالي - وهم حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها. فسار القعقاع في الناس، فقال: إن الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة واحملوا، فإن النصر مع الصبر. فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح. فلما رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا: لا يكونن هؤلاء أجداً في أمر الله منكم، ولا هؤلاء، يعني الفرس، أجزاً على الموت منكم. فجملوا فيما يليهم وخالطوا من بيزائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة، فكان أول من زال الفيرزان والهزمزان فتأخرا وثبتا حيث انتهيا، وانفرج القلب وركد عليهم النقع وهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريرته فهوت في العتيق، وهي دبور، ومال الغبار عليهم، وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير فعقروا به وقد قام رستم عنه حين أطارت الريح الطيارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال فهي واقفة، فاستظل في ظل بغل وحمله، وضرب هلال بن علفة الحمل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع عليه أحد العدلين، ولا يراه هلال ولا يشعر به، فأزال عن ظهره فقاراً، وضربه هلال ضربة فنفتحت سكا. ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه، واقتحمه هلال عليه وأخذ برجلتيه ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثم ألقاه بين أرجل البغال ثم صعد السرير، وقال: قتلت رستم ورب الكعبة! إليّ إليّ! فاطافوا به وكبروا، فنقله سعد سلبه، وكان قد أصابه الماء ولم يظفر بقلنسوته، ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة ألف.

وقيل: إنَّ هلالاً لمَّا قصد رستم رماه رستم بنشابة أثبت قدمه بالركاب، فحمل عليه هلال فضربه فقتله ثمَّ احتزَّ رأسه وعلَّقه ونادى: قتلْتُ رستم! فانهزم قلب المشركين...

* * *

رشيق النسيمي

في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة عصى أهل أنطاكية على سيف الدولة. وكان سبب ذلك أنَّ إنساناً من أهل طَرُسُوس كان مقدماً فيها، يسمَّى رشيقاً النسيمي، كان في جملة من سلَّمها إلى الروم وخرج إلى أنطاكية، فلَمَّا وصلها خدمه إنسان يُعرف بابن الأهوازيَّ كان يضمن الأرحاء بأنطاكية، فسَلَّم إليه ما اجتمع عنده من حاصل الأرحاء، وحسَّن له العصيان، وأعلمه أنَّ سيف الدولة بميافارقين قد عجز عن العود إلى الشام، فعصى واستولى على أنطاكية، وسار إلى حلب، وجرى بينه وبين النائب عن سيف الدولة، وهو قَرْغُويه، حروب كثيرة، وصعد قَرْغُويه إلى قلعة حلب، فتحصَّن بها، وأنفذ سيف الدولة عسكرياً مع خادمه بَشَّارة نجدة لقرغويه، فلَمَّا علم بهم رشيق انهزم عن حلب، فسقط عن فرسه، فنزل إليه إنسان عربيّ فقتله، وأخذ رأسه وحمله إلى قرغويه وبَشَّارة.

ثمَّ إن سيف الدولة عاد عن ميافارقين عند فراغه من الغزاة إلى حلب، فأقام بها ليلة، وخرج من الغد، فواقع ابن الأهوازيَّ، فقاتل من بها فانهزموا، وسجن ابن الأهوازيَّ مدَّة ثمَّ قتله.

* * *

رؤوس بني شجاع

... ثمَّ إنَّ المنصور أحضر ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمَّد بن عليّ بن عبد الله بن عباس وأمره بالمسير إلى المدينة لقتال محمَّد بن عبد الله بن الحسن. ... ولَمَّا أتى عيسى برأس محمَّد قال لأصحابه: ما تقولون فيه؟ فوقعوا فيه، فقال بعضهم: كذبتُم، ما لهذا قاتلناه، ولكنَّه خالف أمير المؤمنين وشقَّ عصا

المسلمين وإن كان لصوّاماً قوّاماً! فسكتوا. فأرسل عيسى الرأس إلى المنصور مع محمّد بن أبي الكرام بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فأرسل معه رؤوس بني شجاع، فأمر المنصور فطيف برأس محمّد في الكوفة وسيّره إلى الآفاق؛ ولما رأى المنصور رؤوس بني شجاع، قال: هكذا فليكن الناس، طلبت محمّداً فاشتعل عليه هؤلاء ثمّ نقلوه وانتقلوا معه، ثمّ قاتلوا معه حتّى قتلوا.

وكان قتل محمّد وأصحابه يوم الاثنين بعد العصر لأربع عشرة خلت من شهر رمضان، من سنة خمس وأربعين ومائة.

* * *

رؤوس أصحاب الخبيث

في سنة سبع وستين ومائتين عبر الموقّ إلى مدينة الخبيث، لستّ بقين من ذي الحجّة؛ وكان سبب ذلك أن جماعة من قوّاد الخبيث لمّا رأوا ما حلّ بهم من البلاء من قبل من يظهر منهم، وشدّة الحصار على مَنْ لزم المدينة، وحال من خرج بالأمان، جعلوا يهربون من كلّ وجه، ويخرجون إلى الموقّ بالأمان.

فلمّا رأى الخبيث ذلك جعل على الطرق التي يمكنهم الهرب منهم مَنْ يحفظها؛ فأرسل جماعة من القوّاد إلى الموقّ يطلبون الأمان، وأن يوجّه لمحاربة الخبيث جيشاً ليجدوا طريقاً إلى المصير إليه، فأمر ابنه أبا العباس بالمسير إلى النهر الغربيّ، وبه عليّ بن أبان يحميه، فنهض أبو العباس ومعه الشذوات، والسّميريّات، والمعاير، فقصدته، وتحارب هو وعليّ بن أبان واشتدّت الحرب، واستظهر أبو العباس على الزنج، وأمدّ الخبيث أصحابه بسليمان بن جامع في جمع كثير، فاتّصلت الحرب من بُكرة إلى العصر، وكان الظفر لأبي العباس، وصار إليه القوم الذين كانوا طلبوا الأمان.

واجتاز أبو العباس بمدينة الخبيث عند نهر الأتراك، فرأى قلّة الزنج هناك، فطمع فيهم، فقصدهم أصحابه وقد انصرف أكثرهم إلى الموقّية، فدخلوا ذلك المسلك، وصعد جماعة منهم السور وعليه فريق من الزنج، فقتلوه، وسمع

العلويّ فجّهز أصحابه لحربهم، فلمّا رأى أبو العباس اجتماعهم وحشدتهم لحربه مع قلة أصحابه، رحل فأرسل إلى الموقّ يستمّده، فأتاه من خفّ من الغلمان، فظهروا على الزنج فهزمهم.

وكان سليمان بن جامع لمّا رأى ظهور أبي العباس سار في النهر مصعداً في جمع كبير، ثمّ أتى أصحاب أبي العباس من خلفهم، وهم يحاربون منّ بإزائهم، وخفقت طولهم، فانكشف أصحاب أبي العباس، ورجع عليهم من كان انهزم عنهم من الزنج، فأصيب جماعة من غلمان الموقّ وغيرهم، فأخذ الزنج عدّة أعلام، وحامى أبو العباس عن أصحابه، فسلم أكثرهم ثمّ انصرف.

وطمع الزنج بهذه الواقعة، وشدّت قلوبهم، فأجمع الموقّ على العبور إلى مدينتهم بجيوشه أجمع، وأمر الناس بالتأهب، وجمع المعابر والسفن وفرّقها عليهم، وعبر يوم الأربعاء لستّ بقين من ذي الحجة، وفرّق أصحابه على المدينة ليضطرّ الخبيث إلى تفرقة أصحابه، وقصد الموقّ إلى ركن من أركان المدينة، وهو أحصن ما فيها، وقد أنزله الخبيث ابنه، وهو انكلياي، وسليمان بن جامع، وعليّ بن أبان وغيرهم، وعليه من المجانيق والآلات للقتال ما لا حدّ له.

فلمّا التقى الجمعان أمر الموقّ غلمانه بالدنو من ذلك الركن، وبينهم وبين ذلك السور نهر الأتراك، وهو نهر عريض كثير الماء، فأحجموا عنه، فصاح بهم الموقّ، وحرّضهم على العبور، فعبروا سباحة، والزنج ترميهم بالمجانيق، والمقاليع، والحجارة، والسهام، فصبروا حتى جاوزوا النهر وانتهوا إلى السور، ولم يكن عبر معهم من الفعلة منّ كان أعدّ لهدم السور، فتولّى الغلمان تشييت السور بما كان معهم من السلاح، وسهّل الله تعالى ذلك، وكان معهم بعض السلايم، فصعدوا على ذلك الركن، ونصبوا علماً من أعلام الموقّ، فانهزم الزنج عنه، وأسلموه بعد قتال شديد، وقُتل من الفريقين خلق كثير؛ ولمّا علا أصحاب الموقّ السور أحرقوا ما كان عليه من منجنيق وقوس وغير ذلك.

وكان أبو العباس قصد ناحية أخرى، فمضى عليّ بن أبان إلى مقاتلته، فهزمه أبو العباس، وقتل جمعاً كثيراً من أصحابه ونجا عليّ، ووصل أصحاب أبي العباس

إلى السور، فنلموا فيه ثلثة ودخلوه، فلقههم سليمان بن جامع، فقاتلهم حتى ردهم إلى مواضعهم؛ ثم إن الفعلة وافوا السور فهدموه في عدة مواضع، فعملوا على الخندق جسراً، فعبر عليه الناس من ناحية الموفق، فانهزم الزنج عن سور باب كانوا قد اعتصموا به، وانهزم الناس معهم وأصحاب الموفق يقتلونهم، حتى انتهوا إلى نهر ابن سمعان، وقد صارت دار ابن سمعان في أيدي أصحاب الموفق، فأحرقوها، وقاتلهم الزنج هناك، ثم انهزموا حتى بلغوا ميدان الخبيث، فركب في جمع من أصحابه، فانهزم أصحابه عنه، وقرب منه بعض رجالة الموفق، فضرب وجه فرسه بترسه، وكان ذلك مع مغيب الشمس، فأمر الموفق الناس بالرجوع، فرجعوا معهم من رؤوس أصحاب الخبيث شيء كثير.

* * *

الروم

في سنة ثمان وستين ومائتين سارت سرية بصقلية مقدمها رجل يعرف بأبي الثور، فلقههم جيش الروم، فأصيب المسلمون كلهم غير سبعة نفر، وعزل الحسن بن العباس عن صقلية، ووليها محمد بن الفضل، فبث السرايا في كل ناحية من صقلية وخرج هو في حشد وجمع عظيم، فسار إلى مدينة قطانية فأهلك زرعها، ثم رحل إلى أصحاب السلندية فقاتلهم، فأصاب فيهم فأكثر القتل، ثم رحل إلى طبرمين فأفسد زرعها، ثم رحل فلقى عساكر الروم فاقتتلوا، فانهزم الروم، وقتل أكثرهم فكانت عدة القتلى ثلاثة آلاف قتيل، ووصلت رؤوسهم إلى بلرم.

* * *

رؤوس الأعراب

وفي سنة تسع وستين ومائتين كانت وقعة بين ابن أبي الساج والأعراب، فهزموه، ثم بيّتهم فقتل منهم وأسر، ووجه بالرؤوس والأسرى إلى بغداد.

* * *

روم يقتلهم أبو الأغلب

وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين، سیر زيادة الله من إفريقية إلى صقلية
أبا الأغلب إبراهيم بن عبد الله أميراً عليها، فخرج إليها، فوصل إليها منتصف
رمضان، فبعث أسطولاً فلقوا جمعاً للروم في أسطول، فغنم المسلمون ما فيه،
فضرب أبو الأغلب رقاب كل من فيه.

وبعث أسطولاً آخر إلى قوصرة، فظفر بحرّاقة فيها رجال من الروم، ورجل
منتصر من أهل إفريقية، فأتى بهم فضرب رقابهم.

* * *

الزطّ

في سنة تسع عشرة ومائتين وجّه المعتصم عُجَيْف بن عُنْبَسَة في جمادى
الآخرة لحرب الزطّ الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة، وعاثوا، وأخذوا الغلّات
من البيادر بكسّكر وما يليها من البصرة، وأخافوا السبيل، ورَتَّب عُجَيْف الخيل في
كلّ سَكَّة من سكك البريد، تركض بالأخبار، فكان يأتي بالأخبار من عُجَيْف في
يوم، فسار حتى نزل تحت واسط، وأقام على نهر يقال له بردودا، حتى سدّه وأنهاراً
آخر كانوا يخرجون منها ويدخلون، وأخذ عليهم الطُّرق، ثم حاربهم فأسر منهم
في معركة واحدة خمسمائة رجل، وقتل في المعركة ثلاثمائة رجل، فضرب أعناق
الأسرى، وبعث الرؤوس إلى باب المعتصم.

ثم أقام عُجَيْف بإزاء الزطّ خمسة عشر يوماً، فظفر منهم فيها بخلق كثير،
وكان رئيس الزطّ رجل يقال له محمّد بن عثمان، وكان صاحب أمره إنسان يقال له
سماق، ثم استوطن عُجَيْف، وأقام بإزائهم سبعة أشهر.

* * *

الزنج يتقاسمون لحوم القتلى

في سنة ثمان وخمسين ومائتين، في ربيع الأوّل، عقد المعتصم لأخيه
أبي أحمد على ديار مصر، وقنّسرين والعواصم، وخلع عليه وعلى مُفلح في ربيع

الآخر، وسيّرهما إلى حرب الزنج بالبصرة، وركب المعتمد معه يشيّعه، وسار نحو البصرة، ونازل العلويّ وقاتله.

وكان سبب تسييره ما فعله بالبصرة، وأكبر الناس ذلك، وتجهّزوا إليه وساروا في عدّة حسنة كاملة، وصحبه في سوقة بغداد خلق كثير.

وكان عليّ بن أبان بجيّ، على ما ذكرنا، وسار يحيى بن محمّد البّحرانيّ إلى نهر العبّاس، ومعه أكثر الزنوج فبقي أصحابهم في قلّة من النّاس، وأصحابه يغادون البصرة ويرأوحونها لنقل ما نالوه منها؛ فلمّا نزل عسكر أبي أحمد بنهر معقل، احتفل من فيه من الزنوج إلى أصحابهم مرعوبين، وأخبروه بعظم الجيش وأنّهم لم يرد عليهم مثله، وأحضر رئيسيّ من أصحابه، فسألهما عن قائد الجيش فلم يعرفاه، فجزع وارتاع.

ثمّ أرسل إلى عليّ بن أبان يأمره بالمسير إليه فيمن معه، فلمّا كان يوم الأربعاء لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى أتاه بعض قوّاده، فأخبره بمجيء العسكر وتقّدّمهم، وأنّهم ليس في وجوههم من يردهم من الزنوج، وكذّبه، وسبّه، وأمر فنودي في الزنوج بالخروج إلى الحرب، فخرجوا، فرأوا مُفلحاً قد أتاهم في عسكر لحربهم، فقاتلهم، فبينما مُفلح يقاتلهم إذ أتاه سهم غرب لا يُعرف من رمى به، فأصابه، فرجع وانهزم أصحابه، وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وحملوا الرؤوس إلى العلويّ، واقتسم الزنج لحوم القتلى.

* * *

سعيد بن جبير

في سنة أربع وتسعين قُتل سعيد بن جبير.

وكان سبب قتله خروجه مع عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث، وكان الحجاج قد جعله على عطاء الجند حين وجّه عبد الرحمن إلى رُبَيْل لقتاله، فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلع، فلمّا هُزم عبد الرحمن ودخل بلاد رُبَيْل هرب سعيد إلى أصبهان، فكتب الحجاج إلى عاملها بأخذ سعيد، فخرج

العامل من ذلك، فأرسل إلى سعيد يعرفه ذلك ويأمره بمفارقتة، فسار عنه فأتى أذربيجان فطال عليه القيام فاغتم بها، فخرج إلى مكة فكان بها وهو وأناس أمثاله يستخفون فلا يخبرون أحداً أسماءهم.

فلما ولي خالد بن عبد الله مكة قيل لسعيد: إنه رجل سوء فلو سرت عن مكة، فقال: والله لقد فررت حتى استحييت من الله وسيجيئي ما كتب الله لي. فلما قدم خالد مكة كتب إليه الوليد بحمل أهل العراق إلى الحجاج، فأخذ سعيد بن جبير ومجاهداً وطلق بن حبيب فأرسلهم إليه، فمات طلق بالطريق وحبس مجاهد حتى مات الحجاج.

وكان سيرهم مع حرسين، فانطلق أحدهما لحاجة وبقي الآخر، فقال لسعيد، وقد استيقظ من نومه ليلاً: يا سعيد إني أبرأ إلى الله من دمك، إني رأيت في منامي، فقيل لي: ويلك! تبرأ من دم سعيد بن جبير! فاذهب حيث شئت فإني لا أطلبك. فأبى سعيد، فرأى ذلك الحرس مثل تلك الرؤيا ثلاثاً ويأذن لسعيد في الذهاب وهو لا يفعل.

فقدموا به الكوفة فأنزل في داره، وأتاه قرءاء الكوفة، فجعل يحدثهم وهو يضحك وبنية له في حجره، فلما نظرت إلى القيد في رجله بكت، ثم أدخلوه على الحجاج، فلما أتى به قال: لعن الله ابن النصرانية! يعني خالداً، وكان هو أرسله، أما كنت أعرف مكانه؟ بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة. ثم أقبل عليه فقال: يا سعيد ألم أشركك في إمامتي؟ ألم أفعل؟ ألم أستعملك؟ قال: بلى. قال: فما أخرجك علي؟ قال: إنما أنا امرؤ من المسلمين يخطيء مرة ويصيب مرة. فطابت نفس الحجاج وانتفخ وقال: يا سعيد ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى. قال: ثم قدمت الكوفة والياً فجددت البيعة فأخذت بيعتك لأمر المؤمنين ثانية؟ قال: بلى. قال: فتنتك بيعتين لأمر المؤمنين وتوفي بواحدة للحائك ابن الحائك؟ والله لأقتلنك! قال: إني إذا لسعيد كما سمّني أمي، فأمر به فضربت رقبتة، فبدر رأسه عليه كمة بيضاء لاطية، فلما سقط رأسه هلل ثلاثاً، أفصح بمرة ولم يفصح بمرتين.

فلَمَّا قُتِلَ التَّيْسَ عَقَلَ الْحَجَّاجُ فَجَعَلَ يَقُولُ: قِيودنا قِيودنا! فظنّوا أَنَّهُ يريد القيود، فقطعوا رِجْلَيْ سَعِيدٍ مِنْ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ وَأَخَذُوا الْقِيودَ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ إِذَا نَامَ يَرَاهُ فِي مَنَامِهِ يَأْخُذُ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ، فيَقُولُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ فِيمَ قَتَلْتَنِي؟ فيَقُولُ: مَا لِي وَلِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ! مَا لِي وَلِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ!

* * *

شُرْحُ بَيْل

أَوَّلَ مَنْ اشْتَدَّ مُلْكُهُ مِنْ كِنْدَةَ حُجْرُ أَكْلَ الْمَرَارِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ الْكَنْدِيِّ، فَلَمَّا هَلَكَ مَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَمْرُو مِثْلَ مُلْكِ أَبِيهِ فَسُمِّيَ الْمَقْصُورَ لِأَنَّهُ قُصِرَ عَلَى مَلِكِ أَبِيهِ، فَتَزَوَّجَ عَمْرُو أُمَّ أَنَاسَ بِنْتَ عَوْفِ بْنِ مُحَلِّمِ الشَّيْبَانِيِّ، فَوَلَدَتْ لَهُ الْحَارِثُ، فَمَلَكَ بَعْدَ أَبِيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: سِتِّينَ سَنَةً، فَخَرَجَ يَتَصَيَّدُ فَرَأَى عَانَةً وَهِيَ حَمْرُ الْوَحْشِ، فَشَدَّ عَلَيْهَا، فَانْفَرَدَ مِنْهَا حِمَارٌ، فَتَتَبَعَهُ وَأَقْسَمَ أَنْ لَا يَأْكُلَ قَبْلَ كَبِدِهِ، وَهُوَ بِمَسْحَلَانِ، فَطَلَبَتْهُ الْخَيْلُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَدْرَكَتْهُ، فَأُتِيَ بِهِ وَقَدْ كَادَ يَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ، فَشُويَ عَلَى النَّارِ وَأُطْعِمَ مِنْ كَبِدِهِ وَهِيَ حَارَّةٌ، فَمَاتَ، وَكَانَ الْحَارِثُ فَرَّقَ بَنِيهِ فِي قَبَائِلَ مَعَدٍّ، فَجَعَلَ حُجْرًا فِي بَنِي أَسَدٍ وَكِنَانَةَ، وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ؛ وَجَعَلَ شُرْحُبَيْلُ فِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَبَنِي حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ وَبَنِي أَسِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ، وَالرَّبَّابُ؛ وَجَعَلَ سَلَمَةَ، وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ، فِي بَنِي تَغْلِبَ وَالنَّمِرِ بْنِ قَاسِطِ وَبَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ؛ وَجَعَلَ ابْنَهُ مَعْدِي كَرِبَ، وَيُعْرَفُ بِغُلْفَاءَ، فِي قَيْسِ عَيْلَانَ.

فَلَمَّا هَلَكَ الْحَارِثُ تَشَتَّتَ أَمْرُ أَوْلَادِهِ وَتَفَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ وَمَشَى بَيْنَهُمُ الرِّجَالُ، وَكَانَتِ الْمَغَاوِرَةُ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ الَّذِينَ مَعَهُمْ، وَتَفَاقَمَ أَمْرُهُمْ حَتَّى جُمِعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِصَاحِبِهِ الْجُمُوعَ وَزَحَفَ إِلَيْهِ بِالْجِيُوشِ. فَسَارَ شُرْحُبَيْلُ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجِيُوشِ فَتَزَلَّ الْكُلَّابُ، وَهُوَ مَاءٌ مَا بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَأَقْبَلَ سَلَمَةَ فِيمَنْ مَعَهُ وَفِي الصَّنَائِعِ أَيْضًا، وَهُمْ قَوْمٌ كَانُوا مَعَ الْمُلُوكِ مِنْ شَذَازِ الْعَرَبِ، فَأَقْبَلُوا إِلَى الْكُلَّابِ وَعَلَى تَغْلِبَ السَّقَّاحِ بْنِ خَالِدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ زَهِيرٍ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا، وَثَبَتَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ. فَلَمَّا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ خَذَلَتْ بَنُو عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ وَالرَّبَّابُ بِكَرِ بْنِ وَائِلَ

وانهزموا، وثبتت بكر وانصرفت بنو سعد ومن معها عن تغلب وصبرت تغلب، ونادى منادي شرحبيل: مَنْ أتانني برأس سلمة فله مائة من الإبل، ونادى منادي سلمة: مَنْ أتانني برأس شرحبيل فله مائة من الإبل. فاشتد القتال حينئذ كل يريد أن يظفر لعله يصل إلى قتل أحد الرجلين ليأخذ مائة من الإبل. فكانت الغلبة آخر النهار لتغلب وسلمة، ومضى شرحبيل منهزماً، فتبعه ذو السنين التغلبي، فالتفت إليه شرحبيل فضربه على ركبته فأطن رجله، وكان ذو السنين أخا أبي حنش لأمه، فقال لأخيه: قتلني الرجل! وهلك ذو السنين! فقال أبو حنش لشرحبيل: قتلني الله إن لم أقتلك! وحمل عليه فأدركه، فقال: يا أبا حنش اللبن! اللبن! يعني الديّة، فقال: قد هرقت لبناً كثيراً! فقال: يا أبا حنش أملكاً بسوقة؟ فقال: إن أخي ملكي. فطعنه فألقاه عن فرسه ونزل إليه فأخذ رأسه وبعث به إلى سلمة مع ابن عم له، فأتاه به وألقاه بين يديه، فقال سلمة: لو كنت ألقيته أرفق من هذا! وعرفت الندامة في وجه سلمة والجزع عليه. فهرب أبو حنش منه، فقال سلمة:

فمالك لا تجيء إلى الثواب	ألا أبلغ أبا حنش رسولا
قتيل بين أحجار الكلاب	لتعلم أن خير الناس طرا
وأسلمه جعاسيس الرباب	تداعت حوله جشم بن بكر

فأجابه أبو حنش فقال:

جباء أبيك يوم صنيبعات	أحاذر أن أجئك ثم تحبو
تقلدها أبوك إلى الممات	وكانت غدرة شنعاء تهفو

ولما قتل شرحبيل قال أخوه معدي كرب، وهو غلفاء، يرثيه:

كتجافي الأسر فوق الظراب	إن جنبي عن الفراش لنابي
قأ عيني ولا أساغ شرابي	من حديث نمي إلي فما تر

* * *

صاحب سِجْلَمَاسَة

في سنة خمس وستين وثلاثمائة جمع خزرون بن فلفول بن خزر الزناتيّ جمعاً كبيراً، وسار إلى سِجْلَمَاسَة، فلقى فيه صاحبها في رمضان فقتله خزرون، وملك سِجْلَمَاسَة، وأخذ منها، من الأموال والعدد، شيئاً كثيراً، وبعث برأس صاحبها إلى الأندلس، وعظم شأن زناته، واشتدّ ملكهم.

* * *

الصقْلَبِيّ عبد الرحمن بن حَبِيب الْفَهْرِيّ

في سنة إحدى وستين ومائة، عبر عبد الرحمن بن حَبِيب الْفَهْرِيّ، المعروف بالصقْلَبِيّ، وإنّما سُمِّيَ به لطوله وزرقته وشقرته، من إفريقية إلى الأندلس محارباً لهم، ليدخلوا في الطاعة للدولة العبّاسيّة، وكان عبوره في ساحل تُدْمِير، وكاتب سليمان بن يَقْظان بالدخول في أمره، ومحاربة عبد الرّحمن الأمويّ، والدعاء إلى طاعة المهديّ.

وكان سليمان بَرَشْلُونَة، فلم يجبه، فاغتاز عليه، وقصد بلده فيمَن معه من البربر، فهزمه سليمان، فعاد الصقْلَبِيّ إلى تُدْمِير، وسار عبد الرحمن الأمويّ نحوه في العدد والعدّة، وأحرق السفن تضييقاً على الصقْلَبِيّ في الهرب، فقصد الصقْلَبِيّ جبلاً منيعاً بناحية بَلَنْسِيَة، فبذل الأمويّ ألف دينار لمن أتاها برأسه، فاغتاله رجل من البربر، فقتله، وحمل رأسه إلى عبد الرحمن، فأعطاه ألف دينار، وكان قتله سنة اثنتين وستين ومائة.

* * *

طَرْخان أكبر قَوَاد بَابَك

في سنة إحدى وعشرين ومائتين قُتِلَ طَرْخان، وهو من أكبر قَوَاد بَابَك، وكان سبب قتله أنّه طلب من بَابَك إذناً حتى يشيّ في قريته، وهي بناحية مراغة، وكان الأفشين يرصده، فلمّا علم خبره أرسل إلى ترك مولى إسحاق بن إبراهيم، وهو

بمراغة، يأمره أن يسري إليه في قريته حتى يقتله، أو يأخذه أسيراً، ففعل ترك ذلك وأسرى إليه وقتله، وأخذ رأسه فبعثه إلى الأفشين.

* * *

عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر

في سنة سبع وتسعين قُتل عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر؛ وكان سبب قتله أن أباه استعمله على الأندلس، عند عوده إلى الشام، فضبطها وسدّد أمورها وحمى ثغورها، وافتتح في إمارته مدائن بقيت بعد أبيه، وكان خيراً فاضلاً، وتزوج امرأة رُذريق، فحظيت عنده وغلبت عليه فحملته على يأخذ أصحابه ورعيّته بالسجود له إذا دخلوا عليه كما كان يُفعل لزوجها رُذريق. فقال لها: إن ذلك ليس في ديننا. فلم تزل به حتّى أمر فُتُح باب قصير لمجلسه الذي كان يجلس فيه، فكان أحدهم إذا دخل منه طأطأ رأسه فيصير كالراكم، فرضيت به، فصار كالسجود عندها، فقالت له: الآن لحقت بالملوك وبقي أن أعمل لك تاجاً ممّا عندي من الذهب واللؤلؤ، فأبى، فلم تزل به حتّى فعل. فانكشف ذلك للمسلمين، فقبل تنصّر، وفطنوا للباب فناروا عليه فقتلوه في آخر سنة سبع وتسعين.

وقيل: إن سليمان بن عبد الملك بعث إلى الجند في قتله عند سخطه على والده موسى بن نُصَيْر، فدخلوا عليه وهو في المحراب، فصلّى الصبح وقد قرأ الفاتحة وسورة الواقعة، فضربوه بالسيوف ضربة واحدة وأخذوا رأسه فسيّروه إلى سليمان، فعرضه سليمان على أبيه، فتجلّد للمصيبة وقال: هنيئاً له بالشهادة فقد قتلتموه والله صوّماً قوّماً. وكانوا يعدّونها من زلات سليمان. وكان قتله على هذه الرواية سنة ثمان وتسعين في آخرها.

* * *

عبد الله بن خازم

لَمَّا قُتِل مُضْعَب بن الزبير كان ابن خازم يُقاتل بجير بن ورقاء الصُرَيْمِيّ التميمي بنيسابور، فكتب عبد الملك إلي ابن خازم يدعوه إلى البيعة له ويُطعمه

خُرَاسَان سَبْعَ سَنِينَ، وَأَرْسَلَ الْكِتَابَ مَعَ سَوَادَةَ بْنِ أَشْتَمَ النُّمَيْرِيِّ، وَقِيلَ: مَعَ مُكَمَّلِ الْغَنَوِيِّ. فَقَالَ ابْنُ خَازِمٍ: لَوْلَا أَنْ أَضْرَبَ بَيْنَ بَنِي سُلَيْمٍ وَبَنِي عَامِرٍ لَقَتَلْتُكَ، وَلَكِنْ كُلُّ كِتَابِكَ، فَأَكَلَهُ.

وقيل: بل كان الكتاب مع سوادَةَ بن عبيد الله النُّمَيْرِيِّ، وقيل: مع مُكَمَّلِ الْغَنَوِيِّ، فقال له ابن خازم: إنما بعثك أبو الذُّبَّانَ لأنَّكَ من غِنَى وقد علم أنَّي لا أَقْتُلُ رَجُلًا من قَيْسٍ، ولكن كُلَّ كِتَابِهِ.

وكتب عبدُ الملك إلى بُكَيْرِ بْنِ وَسَّاجٍ، وكان خليفة ابن خازم على مرو، بعهده على خُرَاسَان، ووعدَه ومَنَاه، فخلع بُكَيْرٌ عبدَ الله بن الزُّبَيْرِ ودعا إلى عبد الملك، فأجابَه أهلُ مرو، وبلغ ابنَ خازم فخاف أن يأتِيَه بُكَيْرٌ فيجتمع عليه أهلُ مرو وأهلُ نَيْسَابُورٍ، فتركَ بَحِيرًا وأقبل إلى مرو ويزيد ابنُه بَترمذ، فأَتبعه بَحِيرٌ فلحقه بقرية على ثمانية فراسخ من مرو، فقاتله ابن خازم، فقتل ابنُ خازم؛ وكان الذي قتله وَكَيْعُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَيْعِيُّ، أعثره وَكَيْعٌ وَبَحِيرُ بْنُ رِقَاءٍ وَعَمَّارُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فطعنوه فصرعوه، وقعد وَكَيْعٌ على صدره فقتله، فقال بعضُ الولاةِ لوكيع: كيف قتلتَه؟ قال: غلبته بفضل القنا، فلَمَّا صُرِعَ قعدتُ على صدره، فلم يقدر أن يقوم، وقلتُ: يا لثاراتِ دويلة! وهو أخو وَكَيْعٍ لأمِّه، قُتِلَ في بعضِ تلكِ الحروب. قال وَكَيْعٌ: فتنخَّم في وجهي وقال: لعنك الله! أتقتل كبشَ مُضَرٍ بأخيكَ وهو لا يساوي كَفًّا من نوى؟ أو قال: من تراب. قال: فما رأيتُ أكثرَ ريقاً منه على تلكِ الحال عند الموت.

وبعثَ بَحِيرٌ ساعةً قُتِلَ ابنُ خازم إلى عبد الملك يُخبره بقتله، ولم يبعث بالرأس، وبعثَ بَحِيرٌ بُكَيْرَ بْنَ وَسَّاجٍ في أهلِ مرو فوافاهم حين قُتِلَ ابنُ خازم فأراد أخذَ الرأسِ وإنفاذه إلى عبد الملك، فمنعه بَحِيرٌ، فضربه بُكَيْرٌ بعمودٍ وحبسه وسيرَ الرأسَ إلى عبد الملك وكتب إليه يخبره أنَّه هو الذي قتله. فلَمَّا قدم الرأسُ دعا عبد الملك برسولَ بَحِيرٍ وقال: ما هذا؟ قال: لا أدري، وما فارتُ القومَ حتى قُتِلَ ابنُ خازم.

وقيل: إنَّ ابنَ خازمٍ إنَّما قُتِلَ بعد قتل عبد الله بن الزُّبَيْرِ، وإن عبد الملك

أنفذ إليه رأس ابن الزُبَيْر ودعاه إلى نفسه، فغسل الرأس وكفنه وبعثه إلى أهله بالمدينة وأطعم الرسول الكتاب، وقال: لولا أنك رسول لقتلتك. وقيل: بل قطع يديه ورجليه وقتله وحلف أن لا يطيع عبد الملك أبداً.

* * *

عثمان بن عليّ

ومكث الحسين طويلاً من النهار كلّما انتهى إليه رجل من الناس رجع عنه وكره أن يتولّى قتله وعظم إثمه عليه، ثم إن رجلاً من كندة يقال له مالك بن النُسَيْر أتاه فضربه على رأسه بالسيف فقطع البرنس وأدمى رأسه وامتلاً البرنس دماً، فقال له الحسين: لا أكلت ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين! وألقى البرنس ولبس القلنسوة، وأخذ الكنديّ البرنس، فلما قدم على أهله أخذ البرنس يغسل الدم عنه، فقالت له امرأته: أسَلَب ابن بنت رسول الله تُدخل بيتي؟ أخرجته عني! قال: فلم يزل ذلك الرجل فقيراً بشر حتى مات.

ودعا الحسين بابنه عبد الله وهو صغير فأجلسه في حجره، فرماه رجل من بني أسد فذبحه، فأخذ الحسين دمه فصبّه في الأرض ثم قال: ربّي إن تكن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين.

ورمى عبد الله بن عُقْبَةَ الغنويّ أبا بكر بن الحسين بن عليّ بسهم فقتله، وقال العباس بن عليّ لأخوته من أمه عبد الله وجعفر وعثمان: تقدّموا حتى أرثكم فإنه لا ولد لكم. ففعلوا فقتلوا، وحمل هانئ بن بُيَيْت الحضرميّ على عبد الله فقتله، ثم حمل على جعفر بن عليّ فقتله، ورمى خَوْلِيّ ابن يزيد الأصبحيّ عثمان بن عليّ، ثم حمل عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله وجاء برأسه، ورمى رجل من بني أبان أيضاً محمداً بن عليّ بن أبي طالب فقتله وجاء برأسه.

* * *

علي بن بليق

في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة قتل القاهر مؤسساً المظفر، وبليقاً، وعلي بن بليق.

وكان سبب قتلهم أن أصحاب مؤنس شغبوا وثاروا، وتبعهم سائر الجند، وأحرقوا روشن دار الوزير أبي جعفر، ونادوا بشعار مؤنس، وقالوا: لا نرضى إلا بإطلاق مؤنس.

وكان القاهر قد ظفر بعلي بن بليق، وأفرد كل واحد منهم في منزل، فلما شغب الجند دخل القاهر إلى علي بن بليق، فأمر به فذبح واحتز رأسه، فوضعه في طشت، ثم مضى القاهر والطشت يحمل بين يديه حتى دخل على بليق فوضع الطشت بين يديه، وفيه رأس ابنه، فلما رآه بكى، وأخذ يقبله ويطرفه، فأمر به القاهر فذبح أيضاً، وجعل رأسه في طشت، وحمل بين يدي القاهر، ومضى، حتى دخل على مؤنس فوضعها بين يديه، فلما رأى الرأسين تشهد واسترجع، ولعن قاتلهما؛ فقال القاهر: جروا برجل الكلب الملعون! فجروه وذبحوه وجعلوا رأسه في طشت وأمر فطيف بالرووس في جانبي بغداد، ونودي عليها: هذا جزاء من يخون الإمام، ويسعى في فساد دولته؛ ثم أعيدت ونظفت وجعلت في خزانة الرووس، كما جرت العادة.

* * *

عمار بن ياسر

في المحرم من سنة سبع وثلاثين جرت موقعة بين علي ومعاوية، توادعا على ترك الحرب بينهما حتى ينقضي المحرم طمعا في الصلح، واختلفت بينهما الرسل...

ثم إن علياً قال: حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا؟ فقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه فقال: الحمد لله الذي لا يُبرم ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون، ولو شاء الله ما اختلف اثنان من خلقه ولا اختلفت الأمة في

شيء ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله، وقد ساقطنا وهؤلاء القوم الأقدار بمراى من ربنا ومسمع فلو شاء عجل النعمة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال وجعل الآخرة دار القرار: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾، ألا وإنكم لاقو القوم غداً فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله النصر والصبر والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين. فقام القوم يصلحون سلاحهم، فمر بهم كعب بن جُعيل فقال:

أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرٍ عَجَبٍ وَالْمُلْكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
فَقُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ إِنَّ غَدًا تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ

... وخرج عمار بن ياسر على الناس فقال: اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته. اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن ظبّة سيفي في بطني ثم أنحني عليها حتى تخرج من ظهري لفعلته. وإني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم عملاً هو أرضى لك منه لفعلته. والله إنني لأرى قوماً ليضربنكم ضرباً يرتاب منه المبتطلون، وأيم الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفَاتِ حَجَرٍ لَعَلِمْتُ أَنَا عَلَى الْحَقِّ وَأَنْهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، ثم قال: من يبتغي رضوان الله ربّه ولا يرجع إلى مال ولا ولد؟ فاتاه عصابة، فقال: اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبن دم عثمان، والله ما أرادوا الطلب بدمه ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه منها، ولم يكن لهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم، فخدعوا أتباعهم وإن قالوا: إمامنا قُتل مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً، فبلغوا ما ترون، فلولا هذه ما تبعهم من الناس رجالان. اللهم إن تنصرنا فطالما نصرت، وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم. ثم مضى ومعه تلك العصابة، فكان لا يمر بوادٍ من أودية صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب النبي ﷺ، ثم جاء إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وهو المرقال، وكان صاحب راية علي، وكان أعور، فقال:

يا هاشم أعوراً وجُبناً؟ لا ضير في أعور لا يغشى البأس، اركب يا هاشم؛ فركب ومضى معه وهو يقول:

أَعُورُ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلًّا قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَأَ
لَا بُدَّ أَنْ يَغْلَّ أَوْ يُغْلَا يَتْلُهُمْ بِذِي الْكَعُوبِ تَلًّا

وعَمَّار يقول: تقدّم يا هاشم، الجنّة تحت ظلال السيوف والموت تحت أطراف الأسل، وقد فُتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين. اليوم ألقى الأحبة، محمّداً وحزبه. وتقدّم حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له: يا عمرو بعث دينك بمصر، تبا لك! فقال له: لا ولكن أطلب بدم عثمان. قال: أنا أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء فعلك وجه الله وأنت إن لم تُقتل اليوم تمت غداً، فانظر إذا أعطي الناس على قدر نياتهم مانيتك، لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ، وهذه الرابعة ما هي بأبر وأتقى. ثم قاتل عَمَّار فلم يرجع وقُتل.

وقال حبة بن جُوَيْن العُرَنِيّ: قلت لحذيفة بن اليمان: حدثنا فإننا نخاف الفتن، فقال: عليكم بالفئة التي فيها ابن سُمَيّة، فإن رسول الله ﷺ قال: تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق، وإن آخر رزقه ضياح من لبن، وهو الممزوج بالماء من اللبن. قال حبة: فشهدته يوم قُتل وهو يقول: ائتوني بأخر رزق لي في الدنيا، فأُتي بضياح من لبن في قَدَح أروح له حلقة حمراء، فما أخطأ حذيفة مقياس شعرة، فقال: اليوم ألقى الأحبة، محمّداً وحزبه، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفَات هَجَر لعلمت أننا على الحق وأنهم على الباطل. ثم قُتل، قتله أبو الغازیة، واحتزّ رأسه ابن حُوَيّ السكسكي؛ وقيل قتله غيره.

عمرو بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين

قال المختار يوماً لأصحابه: لأقتلن غداً رجلاً عظيماً القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، يُسرّ قتله المؤمنين والملائكة المقربين. وكان عنده الهيثم بن الأسود النخعي، فعلم أنه يعني عمرو بن سعد، فرجع إلى منزله، وأرسل إلى عمرو

إليهم بالسيف، فقال لهم ابن كامل: لا تطعنوه ولا تضربوه بالسيف، ولكن ارموه بالنبل والحجارة. ففعلوا ذلك به، فسقط فأحرقوه حياً.

وطلب أيضاً عمرو بن الصَّبِيح الصَّدَائِي، كان يقول: لقد طعنتُ فيهم وجرحتُ وما قتلتُ منهم أحداً، فأُتِي ليلاً، فأخذ وأحضر عند المختار، فأمر بإحضار الرماح وطعن بها حتى مات.

* * *

قَطَرِيّ بن الفُجاءة

في سنة سبع وسبعين، كانت هلكة قَطَرِيّ وعُبَيْد بن هلال وَمَنْ كان معهما من الأزارقة.

وكان السبب في ذلك أن أمرهم لما تشتت بالاختلاف، وسار قَطَرِيّ نحو طبرستان، وبلغ خبره الحَجَّاج، سَير إليه سُفْيَان بن الأبرد في جيش عظيم. وسار سُفْيَان واجتمع معه إِسْحاق بن مُحَمَّد بن الأشعث في جيش لأهل الكوفة بطبرستان، فأقبلوا في طلب قَطَرِيّ، فلحقوه في شعب من شعاب طبرستان، فقاتلوه، ففرَّق عنه أصحابه ووقع عن دابَّته، فتدهدى إلى أسفل الشَّعب، وأتاه عُلُجٌّ من أهل البلد، فقال له قَطَرِيّ: اسقني الماء. فقال العُلُجُّ: أعطني شيئاً. فقال: ما معي إلَّا سلاحي وأنا أعطيكه إذا أتيتني بالماء. فانطلق العُلُجُّ حتى أشرف على قَطَرِيّ، ثم حذر عليه حجراً من فوقه، فأصاب وركه فأوهنه، فصاح بالناس، فجاء إليه نفرٌ من أهل الكوفة فقتلوه، منهم: سَهْرَة بن الحُرِّ التميمي، وجعفر بن عبد الرحمن بن مَخْنَف، والصباح بن مُحَمَّد بن الأشعث، وباذان مولاهم، وعمر بن أبي الصَّلْت، وكلُّ هؤلاء ادَّعى قتله.

فجاء إليهم أبو الجَهْم بن كنانة، فقال لهم: ادفعوا رأسه إليّ حتى تصطلحوا، فدفعوه إليه، فأقبل أبو الجَهْم إلى الحَجَّاج، فسَيره الحَجَّاج إلى عبد الملك، فجعل عطاءه في ألفين.

ثم إنَّ سُفْيَان سار إليهم، فأحاط بهم، ثم أمر مناديه، فنادى: مَنْ قتل صاحبه وجاء إلينا فهو آمن، فقال عُبيدة بن هلال في ذلك:

لعمري لقد قامَ الأصمُ بخطبةٍ
لعمري لئن أعطيتُ سفيانَ بيعتي
إلى الله أشكُّو ما ترى بجيادنا
تعاوَرها القذافُ من كلِّ جانبٍ
فإن يكُ أفناها الحصارُ فربُّما
وقد كنَّ ممَّا إن يُقدنَّ على الوجي
لذي الشكِّ منها في الصِّدورِ غليلُ
وفارقتُ ديني إنني لجَهولُ
تساوُكُ هزلي مُخهنَّ قليلُ
بقُومِسَ حتى صعِبهنَّ ذلولُ
تَشحَّطُ فيما بينهنَّ قتيلُ
لهنَّ بأبوابِ القِبابِ صهيلُ

وحصرهم سفيان حتى أكلوا دوابهم، ثمَّ خرجوا إليه، فقاتلوه، فقتلهم وبعث
برؤوسهم إلى الحجاج، ثمَّ دخل سفيان دنباوند وطبرستان، فكان هناك حتى عزله
الحجاج قبل الجماجم.

وقال بعض العلماء: وانقرضت الأزارقة بعد مقتل قَطَرِيَّ وعبيدة، إنَّما كانوا
دفعه متَّصلة أهل عسكر واحد، وأوَّل رؤسائهم نافع بن الأزرق، وآخرهم قَطَرِيَّ
وعبيدة، واتَّصل أمرهم بضعاَ وعشرين سنة، إلَّا أنَّي أشكُّ في صُبَّيح المازنيَّ
التميميَّ مولى سوار بن الأشعر الخارج أيام هشام، قيل: هو من الأزارقة
أو الصُّفْرِيَّة، إلَّا أنه لم تصل أيامه بل قُتل عُقيب خروجه.

* * *

الملك لختيعة

عندما هلك عمرو بن عدي وتفرَّقت حمير، وثب عليهم رجل من حمير
لم يكن من بيوت المملكة، يقال له لختيعة تنوف دوشناتر، فملكهم، في قول
ابن إسحاق، فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم، وكان امراً فاسقاً
يزعمون أنه كان يعمل عمل قوم لوط، فكان إذا سمع بغلام من أبناء الملوك أنه قد
بلغ، أرسل إليه، فوقع عليه في مشربة لئلا يملك بعد ذلك، ثم يطلع إلى حرسه
وجنده قد أخذ سواكاً في فيَّه يعلمهم، أنه قد فرغ منه، ثم يخلي سبيله، فيفضحه.

وكان من أبناء الملوك زُرعة ذونواس بن ثُبَّان أسعد بن كرب، وكان صغيراً
حين أصيب أخوه حسان، فشبَّ غلاماً جميلاً ذا هيئة، فبعث إليه لختيعة ليفعل به

ما كان يفعل بغيره، فأخذ ذونواس سكيناً لطيفاً، فجعله بين نعله وقدمه، ثم انطلق إليه مع رسوله، فلما خلا به في المشربة قتله ذونواس بالسكين، ثم احتز رأسه، فجعله في كوة مشربته التي يطلع منها. ثم أخذ سواكه، فجعله في فيه، ثم خرج، فقالوا له: ذونواس، أرطب أم يباس؟ فقال: سل نخماس، استرطبان ذونواس لا بأس.

فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال، فإذا رأس لختيعة مقطوع، فخرجت حمير والحرس في أثر ذي نواس حتى أدركوه، فملكوه حيث أراحهم من لختيعة، واجتمعوا عليه، وكان يهودياً، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم على استقامة، لهم رئيس يقال له عبد الله بن الثامر، وكان أصل النصرانية بنجران.

* * *

ليلي بن النعمان الديلمي

في سنة تسع وثلاثمائة، قُتل ليلي بن النعمان الديلمي، وكان ليلي هذا أحد قواد أولاد الأطروش العلوي، وكان إليه ولاية جرجان، وكان قد استعمله عليها الحسن بن القاسم، الداعي سنة ثمان وثلاثمائة، وكان أولاد الأطروش يكتبونه: المؤيد لدين الله المنتصر لآل رسول الله ﷺ، ليلي بن النعمان؛ وكان كريماً، بذالاً للأموال، شجاعاً مقداماً على الأهوال.

وسار من جرجان إلى الدامغان، فحاربه أهلها، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وعاد إلى جرجان، فابتنى أهل الدامغان حصناً تحميهم، وسار قراتكين إليه بجرجان، فحاربه على نحو عشرة فراسخ من جرجان، فانهزم قراتكين، واستأمن غلامه بارس إلى ليلي ومعه ألف فارس، فأكرمه ليلي، وزوجه أخته، واستأمن إليه أبو القاسم بن حفص ابن أخت أحمد بن سهل، فأكرمه ليلي.

ثم إن الأجناد كثروا على ليلي بن النعمان، فضاقت الأموال عليه، فسار نحو نيسابور بأمر الحسن بن القاسم الداعي، وتحريض أبي القاسم بن حفص، وكان بها قراتكين، فوردها في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثمائة، وأقام بها الخطبة للداعي،

وأنفذ السعيد نصر من بخارى إليه حموية بن عليّ، فالتقوا بطوس، واقتتلوا، فانهزم أكثر أصحاب حمويه بن عليّ حتى بلغوا مرو، وثبت حمويه، ومحمد بن عبد الله البلغمي، وأبو جعفر صعلوك، وخوارزم شاه، وسيمجور الدواتي، فاقتتلوا، فانهزم بعض أصحاب ليلي، فلم يقدر ليلي على الهرب، فنزل وتواري في دار، فقبض عليه بفرا، وأنفذ إلى حموية فأعلمه بذلك، فأنفذ من قطع رأس ليلي، ونصبه على رمح، فلما رآه أصحابه طلبوا الأمان، فأمنوا.

ثم قال حموية للجند: قد مكّنكم الله من شياطين الجبل والدّيلم، فأبيدوهم واستريحوا منهم أبد الدهر؛ فلم يفعلوا، وحامى كلّ قائد جماعة، فخرج منهم من خرج بعد ذلك، وكان قتل ليلي في ربيع الأول سنة تسع وثلاثمائة، وحمل رأسه إلى بغداد، وبقي بارس غلام قراتكين بجرجان.

وقيل: إن حمويه لما سار إلى قتال ليلي قيل له: إن ليلي يستبطئك في قصده؛ فقال: إني ألبس أحد خُفّي للحرب العام، والآخر في العام المقبل؛ فبلغ قوله ليلي، فقال: لكنّي ألبس أحد خُفّي للحرب قاعداً، والثاني قائماً وراكباً؛ فلما قُتل قال حمويه: هكذا من تعجّل إلى الحرب.

* * *

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، قُتل مروان بن محمد، وكان قتله ببُوصير، من أعمال مصر، لثلاث بقين من ذي الحجة.

وكان مروان، لما هزمه عبد الله بن عليّ بالزّاب أتى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمرو التغلبيّ وبشر بن خزيمة الأسديّ، فقطعا الجسر، فناداهم أهل الشام: هذا أمير المؤمنين مروان! فقالوا: كذبتُم، أمير المؤمنين لا يفرّ! وسبّه أهل الموصل، وقالوا: يا جعدي! يا معطل، الحمد لله الذي أزال سلطانكم وذهب بدولتكم! الحمد لله الذي أتاننا بأهل بيت نبينا! فلما سمع ذلك سار إلى بلد، فعبر دجلة وأتى حرّان، وبها ابن أخيه أبان بن يزيد بن محمد بن مروان عامله عليها، فأقام بها نيفاً وعشرين يوماً.

وسار عبد الله بن عليّ حتى أتى الموصل، فدخلها وعزل عنها هشاماً واستعمل عليها محمّد بن صُول، ثمّ سار في أثر مروان بن محمّد، فلمّا دنا منه عبدُ الله حمل مروانُ أهله وغياله، ومضى منهزماً وخلف بمدينة حرّان ابن أخيه أبان بن يزيد وتحتّه أمّ عثمان ابنة مروان.

وقدم عبد الله بن عليّ حرّان، فلقية أبان مسوداً مبيعاً له، ودخل في طاعته، فأمنه ومنّ كان بحرّان والجزيرة.

وقدم عبد الله بن عليّ حرّان، فلقية أهلها بالسمع والطاعة، فأقام بها يومين أو ثلاثة ثمّ سار عنها. فلمّا رأوا قلةَ مَنْ معه طمعوا فيه، وقالوا: مرعوب منهزم؛ فاتبعوه بعدما رحل عنهم، فلحقوه على أميال. فلمّا رأى غيرةَ الخيل كمنّ لهم، فلمّا جازوا الكمين صافّهم مروان فيمنّ معه وناشدهم، فأبوا إلّا قتاله، فقاتلهم وأتاهم الكمين من خلفهم، فانهزم أهلُ حمص وقتلوا حتى انتهوا إلى قريب المدينة.

وأتى مروان دمشقَ وعليها الوليدُ بن معاوية بن مروان، فخلفه بها وقال: قاتلهم حتى يجتمع أهل الشام. ومضى مروان حتى أتى فلسطين، فنزل أبي فطرس، وقد غلب على فلسطين الحَكَم بن ضبعان الجُداميّ، فأرسل مروانُ إلى عبد الله بن يزيد بن رَوْح بن زنباع الجُداميّ فأجاره، وكان بيت المال في يد الحكم.

وكان السَّقّاح قد كتب إلى عبد الله بن عليّ يأمره باتّباع مروان، فسار حتّى أتى الموصل، فتلقاه مَنْ بها مسودّين وفتحوا له المدينة؛ ثمّ سار إلى حرّان، فتلقاه أبان بن يزيد مسوداً، كما تقدّم، فأمنه وهدم عبد الله الدار التي حُبس فيها إبراهيم، ثمّ سار من حرّان إلى منبج، وقد سوّدوا، فأقام بها، وبعث إليه أهلُ قنسرين ببيعتهم، وقدم عليه أخوه عبد الصمد بن عليّ، أرسله السَّقّاح مدداً له في أربعة آلاف، فسار بعد قدوم عبد الصمد بيومين إلى قنسرين، وكانوا قد سوّدوا، فأقام يومين ثمّ سار إلى حمص وباع أهلها وأقام بها أياماً، ثمّ سار إلى بعلبك، فأقام يومين، ثمّ سار فنزل مزة دمشق، وهي قرية من قرى الغوطة؛ وقدم عليه أخوه

صالح بن عليّ مدداً، فنزل مرج عذراء في ثمانية آلاف؛ ثم تقدّم عبدُ الله، فنزل على الباب الشرقيّ، ونزل صالح على باب الجابية، ونزل أبو عَون على باب كيسان، ونزل بسّام بن إبراهيم على باب الصغير، ونزل حميد بن قحطبة على باب توما، وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعبّاس بن يزيد على باب الفرديس، وفي دمشق الوليد بن معاوية، فحصره ودخلوها عنوةً يوم الأربعاء لخمس مضيّن من رمضان، سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

وكان أوّل مَنْ صعد سور المدينة من باب شرقي عبد الله الطائي، ومن ناحية باب الصغير بسّام بن إبراهيم، فقاتلوا بها ثلاث ساعات، وقُتل الوليد بن معاوية فيمّن قُتل.

وأقام عبد الله بن عليّ في دمشق خمسة عشر يوماً، ثم سار يريد فلسطين، فلقبه أهل الأردنّ وقد سودوا، وأتى نهر أبي فطرس وقد ذهب مروان، فأقام عبدُ الله بفلسطين، ونزل بالمدينة يحيى بن جعفر الهاشمي، فاتاه كتاب السّفاح يأمره بإرسال صالح بن عليّ في طلب مروان. فسار صالح من نهر أبي فطرس في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومعه ابن فُتان وعامر بن إسماعيل، فقدم صالح أبا عون وعامر بن إسماعيل الحارثي، فساروا حتّى بلغوا العريش. فأحرق مروان ما كان حوله من علف وطعام.

وسار صالح، فنزل النيل، ثم سار حتّى أتى الصعيد، وبلغه أنّ خيلاً لمروان يحرقون الأعلاف، فوجّه إليهم، فأخذوا وقدم بهم على صالح وهو بالفسطاط، وسار فنزل موضعاً يقال له ذات السلاسل، وقدم أبو عَون عامر بن إسماعيل الحارثي وشُعْبة بن كثير المازني في خيل أهل الموصل، فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم، وأسرّوا منهم رجالاً، فقتلوا بعضاً واستحيوا بعضاً، فسألوهم عن مروان، فأخبروهم بمكانه على أن يؤمنوهم، وساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة في بُوصير، فوافوه ليلاً، وكان أصحاب أبي عَون قليلين، فقال لهم عامر بن إسماعيل: إن أصبحنا ورأوا قُلُتنا أهلكونا، ولم ينبُجْ منّا أحدٌ. وكسر جفن سيفه وفعل أصحابه مثله، وحملوا على أصحاب مروان فانهزموا، وحمل رجل على مروان، فطعنه وهو لا يعرفه، وصاح

صائح: صُرع أمير المؤمنين! فابتدروه، فسبق إليه رجلٌ من أهل الكوفة كان يبيع الرمان، فاحتزَّ رأسه، فأخذه عامر، فبعث به إلى أبي عَوْن، وبعثه أبو عَوْن إلى صالح.

فلَمَّا وصل إليه أمر أن يقصَّ لسانه، فأخذه هُرٌّ، فقال صالح: ماذا تُرينا الأيام من العجائب والعبير! هذا لسان مروان قد أخذه هُرٌّ؛ وقال شاعر:

قد فتح الله مِصرًا عَنوةً لكم وأهلك الفاجر الجعدي إذ ظَلَمَا
فلاك مِقْوَلَه هُرٌّ يجرُّه وكان ربُّك من ذي الكفر مُتَقِمَا
وسيره صالح إلى أبي العباس السفاح.

وكان قتله لليلتين بقيتا من ذي الحجة، ورجع صالح إلى الشام، وخلف أبا عون بمصر وسلَّم إليه السلاح والأموال والرقيق.

ولَمَّا وصل الرأس إلى السفاح كان بالكوفة، فلَمَّا رآه سجد ثم رفع رأسه، فقال: الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرتني بك، ولم يبق ثأري قبلك وقبَل رهطك أعداء الدين! وتمثَّل:

لو يشربون دمي لم يروا شاربهم ولا دماؤهم للغِظ ترويني

* * *

المستعين

في سنة اثنتين وخمسين ومائتين، أراد المعتزُّ قتل المستعين أحمد بن محمَّد بن المعتصم، كتب إلى محمَّد بن عبد الله يأمره بتسليم المستعين إلى سيما الخادم، فكتب محمَّد إلى الموكلين بالمستعين بواسط في تسليمه إليه، وأرسل أحمد بن طولون في تسليمه، فأخذه أحمد وسار به إلى القاطول، فسَلَّمه إلى سعيد بن صالح، فأدخله سعيد منزله، وضربه حتى مات.

وقيل: بل جعل في رجله حجراً وألقاه في دجلة، وقيل: كان قد حمل معه داية له تعادله، فلَمَّا أخذه سعيد ضربه بالسيف، فصاح، وصاحت دايته، ثم قُتل.

وَقُتِلَتِ الْمَرْأَةُ مَعَهُ، وَحُمِلَ رَأْسُهُ إِلَى الْمَعْتَزِّ، وَهُوَ يَلْعَبُ الشُّطْرَنْجَ، فَقِيلَ: هَذَا رَأْسُ الْمَخْلُوعِ! فَقَالَ: ضَعُوهُ حَتَّى أَفْرَغَ مِنَ الدُّسْتِ! فَلَمَّا فَرَّغَ نَظَرَ إِلَيْهِ، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِ، وَأَمَرَ لِسَعِيدٍ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَوَلَّاهُ مَعُونَةَ الْبَصْرَةِ.

* * *

المَقْنَعُ

فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، سَارَ مُعَاذُ بْنُ مُسْلِمٍ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْقَوَادِ وَالْعَسَاكِرِ إِلَى الْمَقْنَعِ، وَعَلَى مَقَدِّمَتِهِ سَعِيدُ الْحَرَشِيِّ، وَأَتَاهُ عُقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ مِنْ رَمٍّ، فَاجْتَمَعَ بِهِ بِالطَّوَارِسِ، وَأَوْقَعُوا بِأَصْحَابِ الْمَقْنَعِ، فَهَزَمُوهُمْ، فَقَصَدَ الْمُنْهَزِمُونَ إِلَى الْمَقْنَعِ بَسِينًا، فَعَمِلَ خَنْدَقُهَا وَحَصْنُهَا، وَأَتَاهُمْ مُعَاذُ فَحَارِبَهُمْ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَشِيِّ نَقْرَةً، فَكَتَبَ الْحَرَشِيُّ إِلَى الْمَهْدِيِّ يَقَعُ فِي مُعَاذٍ، وَيُضْمِنُ لَهُ الْكَفَايَةَ إِنْ أَفْرَدَهُ بِحَرْبِ الْمَقْنَعِ، فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ إِلَى ذَلِكَ، فَانْفَرَدَ الْحَرَشِيُّ بِحَرْبِهِ، وَأَمَدَّهُ مُعَاذُ بِابْنِهِ رَجَاءً فِي جَيْشٍ، وَبِكُلِّ مَا التَّمَسَّهُ مِنْهُ، وَطَالَ الْحَصَارُ عَلَى الْمَقْنَعِ، فَطَلَبَ أَصْحَابُهُ الْأَمَانَ سِرًّا مِنْهُ، فَأَجَابَهُمُ الْحَرَشِيُّ إِلَى ذَلِكَ، فَخَرَجَ نَحْوَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَبَقِيَ مَعَهُ زُهَاءُ الْفَيْنِ مِنْ أَرْبَابِ الْبَصَائِرِ. وَتَحَوَّلَ رَجَاءُ بْنُ مُعَاذٍ وَغَيْرُهُ، فَنَزَلُوا خَنْدَقَ الْمَقْنَعِ فِي أَصْلِ الْقَلْعَةِ، وَضَاقُوا.

فَلَمَّا أَبْقَنَ بِالْهَلَاكِ، جَمَعَ نِسَاءَهُ وَأَهْلَهُ، وَسَقَاهُمُ السِّمَّ، فَاتَى عَلَيْهِمْ، وَأَمَرَ أَنْ يُحْرَقَ هُوَ بِالنَّارِ لِثَلَاثِينَ أَلْفًا عَلَى جَنْبِهِ؛ وَقِيلَ: بَلْ أَحْرَقَ كُلَّ مَا فِي قَلْعَتِهِ مِنْ دَابَّةٍ وَثَوْبٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْتَفَعَ مَعِيَ إِلَى السَّمَاءِ، فَلْيَلْقَ نَفْسَهُ مَعِيَ فِي هَذِهِ النَّارِ! وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ مَعَ أَهْلِهِ، وَنِسَائِهِ وَخَوَاصِّهِ، فَاحْتَرَقُوا، وَدَخَلَ الْعَسْكَرُ الْقَلْعَةَ، فَوَجَدَهَا خَالِيَةً خَاوِيَةً.

وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا زَادَ فِي افْتِتَانِ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَالَّذِينَ يَسْمُونَ الْمَبِیْضَةَ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ يُسَرُّونَ اعْتِقَادَهُمْ؛ وَقِيلَ: بَلْ شَرِبَ هُوَ أَيْضًا مِنَ السِّمِّ، فَمَاتَ، فَأَنْفَذَ الْحَرَشِيُّ رَأْسَهُ إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِحَلَبِ سَنَةِ ثَلَاثِ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ، فِي غَزَوَاتِهِ.

* * *

ليبد بن عمرو الغساني يقطع رأس (المنذر بن المنذر بن ماء السماء)

لما قُتل المنذر بن ماء السماء في يوم عين أباغ، ملك بعده ابنه المنذر وتلقب الأسود. فلما استقرَّ وثبت قدمه، جمع عساكره وسار إلى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه عنده، وبعث إليه: إنني قد أعددت لك الكهول، على الفحول، فأجابه الحارث: قد أعددتُ لك المُرد على الجُرد. فسار المنذر حتى نزل بمرج حليلة، فتركه من به من غسان للأسود، وإنما سمي مرج حليلة ابنة الحارث الغساني. ثم إن الحارث سار، فنزل بالمرج أيضاً، فأمر أهل القرى التي في المريج أن يصنعوا الطعام لعسكره، ففعلوا ذلك وحملوه في الجفان وتركوه في العسكر، فكان الرجل يقاتل، فإذا أراد الطعام جاء إلى تلك الجفان فأكل منها. فأقامت الحرب بين الأسود والحارث أياماً لم ينتصف بعضهم من بعض. فلما رأى الحارث ذلك قعد في قصره، ودعا ابنته هنداً وأمرها، فاتخذت طيباً كثيراً في الجفان وطيّبت به أصحابه، ثم نادى: يا فتيان غسان، من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هنداً. فقال ليبد بن عمرو الغساني لأبيه: يا أبت، أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة، ولست أرضى فرسي، فاعطني فرسك الزيتية، فأعطاه فرسه.

فلما زحف الناس واقتتلوا ساعةً شدةً ليبد على الأسود، فضربه ضربة، فألقاه عن فرسه وانهزم أصحابه في كل وجه، ونزل فاحتز رأسه وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظر إليهم، فألقى الرأس بين يديه. فقال له الحارث: شأنك بابنة عمك فقد زوجتكها. فقال: بل أنصرف فأواسي أصحابي بنفسي، فإذا انصرف الناس انصرفت.

فرجع فصادف أخاه الأسود قد رجع إليه الناس وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته، فتقدم ليبد فقاتل فقتل، ولم يُقتل في هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره. وانهزمت لخم هزيمة ثانية وقتلوا في كل وجه، وانصرفت غسان بأحسن ظفر.

وذكر أن الغبار في هذا اليوم، اشتدَّ وكثر حتى ستر الشمس، وحتى ظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر، لأن الأسود سار بعرب العراق

أجمع، وسار الحارث بعرب الشام أجمع، وهذا اليوم أشهر أيام العرب.

وقيل في قتله غير ما تقدّم، ونحن نذكره.

قال بعض العلماء: وكان سببه أن الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج الغساني خطب إلى المنذر بن المنذر اللخمي ابنته وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان، فزوجه المنذر ابنته هنداً، وكانت لا تريد الرجال، فصنعت بجلدها شبيهاً بالبرص وقالت لأبيها: أنا على هذه الحالة وتهديني لملك غسان؟ فندم على تزويجها فأمسكها. ثم أن الحارث أرسل يطلبها، فمنعها أبوها واعتلّ عليه.

ثم إن المنذر خرج غازياً، فبعث الحارث بن أبي شمر جيشاً إلى الحيرة فانتهبها وأحرقها. فانصرف المنذر من غزاته لما بلغه من الخبر، فسار يريد غسان، وبلغ الخبر الحارث، فجمع أصحابه وقومه، فسار بهم فتوافقوا بعين أبغ، فاصطفوا للقتال، فاقتتلوا واشتدّ الأمر بين الطائفتين، فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحارث، وفيها ابنه فقتلوه، وانهمزت الميسرة، وحملت ميمنة الحارث على ميسرة المنذر، فانهمز من بها وقتل مقدمها فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان، وحملت غسان من القلب على المنذر، فقتلوه وانهمز أصحابه في كل وجه، فقتل منهم بشر كثير وأسر خلق كثير، منهم: شأس بن عبدة، فوفد أخوه علقمة بن عبدة الشاعر على الحارث يطلب إليه أن يطلق أخاه، ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها:

طحا بك قلب في الحسان طروبُ	بُعَيْدُ الشَّبابِ عَصْرُ حَانَ مَشِيبُ
تكلّفني ليلي وقد شطّ أهلها	وعادت عوادٍ بيننا ونخطوبُ

ويقول فيها:

فإن تسألوني بالنساء فإنني	بصيرٌ بأدواء النساء طبيبٌ
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله	فليس له في ودّه نصيبٌ
يردن ثراء المال حيث وجدنه	وشرخ الشباب عندهنّ عجيبٌ

إلى أن يقول:

وفي كل حيٍّ قد خبطت بنعمةٍ فحقّ لشأسٍ من نداك ذنوبٌ
فلما بلغ إلى قوله: فحقّ لشأس من نداك ذنوب، قال الملك: إي والله
وأذنبته، ثم أطلق شأساً وقال له: إن شئت الحباء، وإن شئت أسراء قومك؟ وقال
لجلسائه: إن اختار الحباء على قومه فلا خير فيه. فقال: أيها الملك ما كنت لأختار
على قومي شيئاً. فأطلق له الأسرى من تميم وكساة وحباه، وفعل ذلك بالأسرى
جميعهم، وزوّدهم زاداً كثيراً. فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس، وقالوا:
أنت كنت السبب في إطلاقنا، فاستعن بهذا على دهرك. فحصل له مال كثير من
إبل وكسوة وغير ذلك.

وقيل في قتله غير هذا. وقد اختلف النسابون وأهل السير في مدّة الأيام
وتقديم بعضها على بعض، واختلفوا أيضاً في المقتول فيها. فمنهم من يقول: إن
يوم حليلة هو اليوم الذي قُتل فيه المنذر بن ماء السماء، ويوم أباغ هو اليوم الذي
قُتل فيه المنذر بن المنذر، ومنهم من يقول بضدّ ذلك، ومنهم من يجعل اليومين
واحداً، فيقول: لم يُقتل إلا المنذر بن ماء السماء. وأمّا ابنه المنذر، فمات
بالحيرة، وقيل: إن المقتول من ملوك الحيرة غيرهما. والصحيح، إن المقتول هو
المنذر بن ماء السماء لا شك فيه، وأمّا ابنه، ففيه خلاف كثير، والأصح أنه
لم يُقتل، ومن أثبت قتله، اختلفوا في سببه على ما ذكرناه.

* * *

نصيب السُّلَميّ

خرج جيش لبني سُليم عليهم النصيب السُّلَميّ وهم يريدون الغارة على
بكر بن وائل، فلقبهم رجلٌ من بني شيان اسمه صُلَيْع بن عبد غنم وهو مُحرم على
فرسٍ له يسمّى البحراء، فقال لهم: أين تذهبون؟ قالوا: نريد الغارة على
بني شيان. فقال لهم: مهلاً، فإنّي لكم ناصح، إياكم وبني شيان، فإنّي أقسم
لكم بالله لتأتينكم على ثلاثمائة فرسٍ خصيٍّ سوى الفحول والإناث. فأبوا إلا الغارة
عليهم، فدفع صُلَيْع فرسه ركضاً حتى أتى قومه فأنذرهم، فركبت شيان واستعدّوا،

فأتاهم بنو سليم وهم مُعِدُّون، فاقتتلوا قتالاً شديداً فظفرت شيبان وانهزمت سليم، وقتل منهم مقتلة كثيرة وأسر منهم ناس كثير، ولم ينبج إلا القليل، وأسر النصيب رئيسهم، أسره عمران بن مرة الشيباني، ف ضرب رقبتة، فقال صليح:

نهيت بني زغل غداة لقيتهم وجيش نصيب والظنون تطاع
وقلت لهم: إن الحريب وراكساً به نعم ترعى المراز رتاع
ولكن فيه الموت يرتع سربه وحق لهم أن يقبلوا ويطاعوا
متى تأتته تلقى على الماء حارثاً وجيشاً له يوفي بكل بقاع

* * *

وصيف

في سنة ثلاث وخمسين ومائتين، قُتل وصيف؛ وكان سبب قتله أن الأتراك والفراغنة والأشروسنية شغبوا، وطلبوا أرزاقهم لأربعة أشهر، فخرج إليهم بغا ووصيف وسيما، فكلّمهم وصيف، فقال لهم: خذوا التراب، ليس عندنا مال. وقال بغا: نعم! نسأل أمير المؤمنين، ونتناظر في دار أشناس. فدخلوا دار أشناس.

ومضى سيما وبغا إلى المعتز، وبقي وصيف في أيديهم، فوثب عليه بعضهم، فضربه بالسيف، ووجاه آخر بسكين، ثم ضربه بالطبر زينات حتى قتلوه، وأخذوا رأسه ونصبوه على محراك تنور؛ وجعل المعتز ما كان إلى وصيف، إلى بغا الشرابي، وهو بغا الصغير، وألبسه التاج والوشاحين.

* * *

الوليد بن طريف الخارجي

في سنة ثمان وسبعين ومائة، خرج الوليد بن طريف التغلبي بالجزيرة، ففتك بإبراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين، ثم قويت شوكة الوليد، فدخل إلى أرمينية، وحصر خلّاط عشرين يوماً، فافتدوا منه أنفسهم بثلاثين ألفاً.

ثم سار إلى أذربيجان، ثم إلى حلوان وأرض السواد، ثم عبر إلى غرب دجلة، وقصد مدينة بلد، فافتدوا منه بمائة ألف، وعاث في أرض الجزيرة، فسير

إليه الرشيد يزيد بن يزيد بن زائدة الشيباني، وهو ابن أخي معن بن زائدة، فقال الوليد:

سَتَعْلَمُ يَا يَزِيدُ إِذَا التَّقِينَا بِشَطِّ الزَّابِ أَيَّ فِتْيَ يَكُونُ

فجعل يزيد يختاله ويمكره، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد، فقالوا للرشيد: إننا يتجافى يزيد عن الوليد للرحم، لأنهما كلاهما من وائل، وهونوا أمر الوليد، فكتب إليه الرشيد كتاب مغضب، وقال له: لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به، ولكنك مداهن، متعصب، وأقسم بالله إن أخرت مناجزته، لأوجهن إليك من يحمل رأسك، فلقي الوليد عشية خميس في شهر رمضان سنة تسع وسبعين، فيقال: جهد عطشاً حتى رمى بخاتمه في فيه، وجعل يلوكه ويقول: اللهم إنها شدة شديدة، فاسترها! وقال لأصحابه: فداكم أبي وأمي، إنما هي الخوارج، ولهم حملة، فاثبتوا، فإذا انقضت حملتهم، فاحملوا عليهم، فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا.

فكان كما قال، حملوا عليهم حملة، فثبت يزيد ومن معه من عشيرته، ثم حمل عليهم فانكشفوا، فيقال: إن أسد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جداً لا يفصل بينهما إلا ضربة في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعره، منحرفة على جبهته، فكا أسد يتمنى مثلها، فهوت إليه ضربة، فأخرج رأسه من الترس، فأصابته في ذلك الموضع، فيقال: لو خُطَّت على ضربة أبيه ما عدا.

واتبع يزيد الوليد بن طريف، فلحقه، فاحتز رأسه، فقال بعض الشعراء:

وَائِلُ بَعْضُهُمْ يُقَتِّلُ بَعْضاً لَا يَفُلُّ الْحَدِيدُ إِلَّا الْحَدِيدُ

فلما قتل الوليد، صبحتهم أخته ليلى بنت طريف، مستعدة، عليها الدرع، فجعلت تحمل على الناس، فعرفت، فقال يزيد: دعوها! ثم خرج إليها، فضرب بالرُمح قِطَافَ فَرَسِهَا، ثم قال: اعزبي عَزَبَ اللّهِ عَلَيْكَ، فقد فضحت العشيرة؛ فاستحييت وانصرفت وهي تقول ترثي الوليد:

بَتَلْتُ تَبَائِثاً رَسْمُ قَبْرِ كَأَنَّهُ عَلَى عَلمٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفٍ

تَضَمَّنَ جُوداً حَاتِمِيّاً وَنَائِلاً
أَلَا يَا لَقُومِي لِلنَّوَابِ وَالرُّدَى
وَلِلْبَدْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَاكِبِ قَدْ هَوَى
فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التَّقَى
فَلَا تَجْزَعَا يَا ابْنِي طَرِيفٍ فَإِنِّي
وَسُورَةَ مَقْدَامٍ وَقَلْبَ حَصِيفٍ
وَدَهْرٍ مُلِحٍّ بِالْكَرَامِ عَنِيفٍ
وَلِلشَّمْسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكُسُوفٍ
وَلَا الْمَالُ إِلَّا مِنْ قَنَاءٍ وَسُيُوفٍ
أَرَى الْمَوْتَ نَزَالاً بِكُلِّ شَرِيفٍ

* * *

الوليد بن عبد الملك

في سنة تسع وستين، خالف عمرو بن سعيد عبد الملك بن مروان وغلب على دمشق، فقتله.

وكان السبب في ذلك أن عبد الملك بن مروان، أقام بدمشق بعد رجوعه من قنشرين ما شاء الله أن يقيم، ثم سار يريد قرقيسيا وبها زفر بن الحارث الكلائي، وكان عمرو بن سعيد مع عبد الملك، فلما بلغ بطنان حبيب، رجع عمرو ليلاً ومعه حميد بن حريث الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي، فأتى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي قد استخلفه عبد الملك، فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب عنها، ودخلها عمرو، فغلب عليها وعلى خزانها وهدم دار أم الحكم، واجتمع الناس إليه، فخطبهم ومنّاهم ووعدهم.

وأصبح عبد الملك وفقد عمراً، فسأل عنه، فأخبر خبره، فرجع إلى دمشق، فقاتله أياماً، وكان عمرو إذا أخرج حميد بن حريث على الخيل، أخرج إليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي، وإذا أخرج عمرو زهير بن الأبرد أخرج إليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل.

ثم إن عبد الملك وعمراً اصطلحا، وكتبا بينهما كتاباً وآمنه عبد الملك، فخرج عمرو في الخيل إلى عبد الملك، فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب عبد الملك، فانقطعت وسقط السرداق، ثم دخل على عبد الملك فاجتمعا.

ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس، فلما كان بعد دخول عبد الملك

بأربعة أيام، أرسل إلى عمرو أن ائتني، وكان عبد الملك استشار كُريب بن أبرهة الحميري في قتل عمرو، فقال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل، في مثل هذا هلك جَمِير.

فلَمَّا أتى الرسولُ عَمراً يدعو صادم عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية، فقال لعمرو: يا أبا أمية أنت أحبُّ إليَّ من سمعي ومن بصري، وأرى لك أن لا تأتيه. فقال عمرو: لِمَ؟ قال: لأن تُبيع ابن امرأة كعب الأخبار. قال: إنَّ عظيمًا من ولد إسماعيل يرجع، فيغلق أبواب دمشق، ثم يخرج منها، فلا يلبث أن يُقتل. فقال عمرو: والله لو كنت نائماً ما انتهني ابن الزرقاء ولا اجتراً عليّ، أما إنِّي رأيتُ عثمان البارحة في المنام، فألبسني قميصه. وكان عبد الله بن يزيد زوج ابنة عمرو. ثم قال عمرو للرسول: أنا رائح العشيّة.

فلَمَّا كان العشاء، لبس عمرو درعاً ولبس عليها القباء وتقلّد سيفه وعنده حميد بن حريث الكلبيّ، فلَمَّا نهض متوجّهاً عثر بالبساط، فقال له حميد: والله لو أطعني لم تأتيه. وقالت له امرأته الكلبيّة كذلك، فلم يلتفت ومضى في مائة من مواليه.

وقد جمع عبد الملك عنده بني مروان، فلَمَّا بلغ أذن له، فدخل، فلم يزل أصحابه يُحبسون عند كلّ باب حتى بلغ قارعة الدار وما معه إلّا وصيف له، فنظر عمرو إلى عبد الملك وإذا حوله بنو مروان وحسان بن بحدل الكلبيّ وقبيصة بن ذؤيب الخزاعيّ، فلَمَّا رأى جماعتهم أحسّ بالشر، فالتفت إلى وصيفه وقال: انطلق إلى أخي يحيى فقل له يأتني، فلم يفهم الوصيف، فقال له: لبيك! فقال عمرو: اغرب عني في حرق الله وناره! وأذن عبد الملك لحسان وقبيصة، فقاما، فلحقا عمراً في الدار، فقال عمرو لوصيفه: انطلق إلى يحيى فمُرّه أن يأتيني، فقال: لبيك! فقال عمرو: اغرب عني.

فلَمَّا خرج حسان وقبيصة، أغلقت الأبواب ودخل عمرو، فرحّب به عبد الملك وقال: ها هنا، ها هنا، يا أبا أمية! فأجلسه معه على السرير وجعل يحادثه طويلاً، ثم قال: يا غلام، خذ السيف عنه. فقال عمرو: إنّ الله يا أمير

المؤمنين . فقال عبد الملك : أتطمع أن تجلس معي متقلداً سيفك؟ فأخذ السيف عنه، ثم تحدثنا، ثم قال له عبد الملك : يا أبا أمية، إنك حيث خلعتني آليتُ بيمين، إن أنا ملأتُ عيني منك وأنا مالك لك أن أجعلك في جامعة . فقال له بنو مروان : ثم تطلقه يا أمير المؤمنين؟ قال : نعم، وما عسيت أن أصنع بأبي أمية؟ فقال بنو مروان : أبر قسم أمير المؤمنين . فقال عمرو : قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين .

فأخرج من تحت فراشه جامعة، وقال : يا غلام، قم، فاجمعه فيها . فقام الغلام، فجمعه فيها . فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس . فقال عبد الملك : أمكراً يا أبا أمية عند الموت؟ لا والله! ما كنا لنُخرجك في جامعة على رؤوس الناس . ثم جذبه جذبة، أصاب فمه السرير، فكسر ثنيتيه، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين، كسر عظم مني فلا تتركب ما هو أعظم من ذلك . فقال له عبد الملك : والله لو أعلم أنك تُبقي عليّ إن أنا أبقيتُ عليك وتصلح قريش لأطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلان في بلدة قطّ على ما نحن عليه إلّا أخرج أحدهما صاحبه . فلما رأى عمرو أنه يريد قتله، قال : أغدراً يا ابن الزرقاء!

وقيل : إن عمراً لما سقطت ثنيتاه جعل يمسهما، فقال عبد الملك : يا عمرو، أرى ثنيتيك قد وقعتا منك موقعاً لا تطيب نفسك بعده .

وأذن المؤذن العصر، فخرج عبد الملك يصلي بالناس، وأمر أخاه عبد العزيز أن يقتله، فقام إليه عبد العزيز بالسيف، فقال عمرو : أذكرك الله والرحم أن تلي قتلي، ليقتلني مَنْ هو أبعد رحماً منك . فألقى السيف وجلس، وصلى عبد الملك صلاة خفيفة، ودخل وغلقت الأبواب . ورأى الناس عبد الملك حين خرج وليس معه عمرو، فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد، فأقبل في الناس ومعه ألف عبدٍ لعمرو وناس من أصحابه كثير، فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك : أسمعنا صوتك يا أبا أمية! فأقبل مع يحيى حميد بن حريث وزهير بن الأبرد، فكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف، وضرب الوليد بن عبد الملك على رأسه، واحتمله

إبراهيم بن عربي صاحب الديوان، فأدخله بيت القراطيس.

ودخل عبد الملك حين صلى، فرأى عمراً بالحياة، فقال لعبد العزيز: ما منعك أن تقتله؟ فقال: إنه ناشدني الله والرحم، فرققتُ له. فقال له: أخزى الله أمك البؤالة على عقبها، فإنك لم تُشبه غيرها! ثم أخذ عبد الملك الحربة، فطعن بها عمراً فلم تجز، ثم ثنى فلم تجز، فضرب بيده على عضده، فرأى الدرع، فقال: ودرع أيضاً؟ إن كنت لمعداً! فأخذ الصمصامة وأمر بعمرو فُصِّع، وجلس على صدره فذبحه وهو يقول:

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني وانتفض عبد الملك رعدة، فحمل عن صدره، فوضع على سريره، وقال: ما رأيتُ مثل هذا قط، قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة.

ودخل يحيى ومن معه على بني مروان يُخرجهم ومن كان من موالهم، فقاتلوا يحيى وأصحابه، وجاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي، فدفع إليه الرأس، فألقاه إلى الناس، وقام عبد العزيز بن مروان وأخذ المال في البذر، فجعل يلقها إلى الناس، فلما رأى الناس الرأس والأموال انتهبوا الأموال وتفرقوا، ثم أمر عبد الملك بتلك الأموال، فجُبيت حتى عادت إلى بيت المال.

* * *

الملك هيرودس يقطع رأس (يحيى بن زكريا)

لما ولد يحيى، عليه السلام، رآه أبوه حسن الصورة، قليل الشعر، قصير الأصابع، مقرون الحاجبين، دقيق الصوت. قوياً في طاعة الله مذ كان صبياً. قال الله تعالى: ﴿وَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾. قال له الصبيان أمثاله مرة: يا يحيى! اذهب بنا نلعب. فقال لهم: ما للعب خلقت. وكان يأكل العشب وأوراق الشجر، وقيل: كان يأكل خبز الشعير. ونبيء صغيراً، فكان يدعو الناس إلى عبادة الله، ولبس الشعر، فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن إليه.

وبعث الله عيسى رسولاً نسخ بعض أحكام التوراة، فكان ممّا نسخ أنه حرّم

نكاح بنت الأخ، وكان للملك هيرودس بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوَّجها، فنهاه يحيى عنها، وكان لها يوم حاجة يقضيها لها. فلما بلغ ذلك أمها، قالت لها: إذا سألك الملك ما حاجتك، فقولني أن يذبح يحيى بن زكرياء. فلما دخلت عليه وسألها ما حاجتك، قالت: أريد أن تذبح يحيى بن زكرياء. فقال: أسألي غير هذا. قالت: ما أسألك غيره. فلما أبت دعا يحيى، ودعا بطست فذبحه، فلما رأت الرأس قالت: اليوم قرأت عيني! فصعدت إلى سطح قصرها، فسقطت منه إلى الأرض ولها كلاب ضارية تحته، فوثبت الكلاب عليها، فأكلتها وهي تنظر، وكان آخر ما أكل منها عيناها لتعتبر. فلما قُتل بذرت قطرة من دمه على الأرض، ولم تزل تغلي حتى بعث الله بخت نصر عليهم، فجاءته امرأة فدلته على ذلك الدم، فألقى الله في قلبه أن يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن، فقتل منهم سبعين ألفاً حتى سكن الدم.

وقال السُّديُّ (إسماعيل بن عبد الرحمن المتوفي سنة ١٢٨هـ) نحو هذا، غير أنه قال: أراد الملك أن يتزوَّج بنت امرأة له، فنهاه يحيى عن ذلك، فطلبت المرأة من الملك قتل يحيى، فأرسل إليه فقتله وأحضر رأسه في طست وهو يقول له: لا تحل لك، فبقي دمه يغلي، فطُرح عليه تراب حتى بلغ سور المدينة، فلم يسكن الدم. فسَلَطَ الله عليهم بخت نصر في جمعٍ عظيم، فحصرهم، فلم يظفر بهم، فأراد الرجوع، فأتته امرأة من بني إسرائيل، فقالت: بلغني أنك تريد العود! قال: نعم، قد طال المقام وجاع الناس، وقلَّت الميرة بهم وضاق عليهم. فقالت: إن فتحت لك المدينة أقتل من أمرك بقتله، وتكف إذا أمرتك؟ قال: نعم. قالت: اقسم جندك أربعة أقسام على نواحي المدينة، ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء، وقولوا: اللهم إنا نستفتحك على دم يحيى بن زكرياء، ففعلوا، فخرب سور المدينة، فدخلوها، فأمرتهم العجوز أن يقتلوا على دم يحيى بن زكرياء حتى يسكن، فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفاً وسكن الدم، فأمرته بالكف، وكف.

وخرب بيت المقدس، وأمر أن تُلقى فيه الجيف، وعاد.

(راجع ذكر الأحداث أيام ملوك الطوائف في الكامل لابن الأثير ١: ٢٩٨ وما بعدها)

* * *

يزيد بن خالد القسري

في سنة سبع وعشرين ومائة، خالف أهل الغوطة، وولّوا عليهم يزيد بن خالد القسري، وحصروا دمشق، وأميرها زامل بن عمرو، فوجه إليهم مروان من حمص أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحارث، وعمر بن الوضاح في عشرة آلاف، فلما دنوا من المدينة حملوا عليهم، وخرج عليهم من المدينة، فانهزموا، واستباح أهل مروان عسكرهم وأحرقوا المزة وقرى من اليمانية، وأخذ يزيد بن خالد فقتل، وبعث زامل برأسه إلى مروان بحمص.

وممن قتل في هذه الحرب: عمر بن هانئ العبسي مع يزيد، وكان عابداً كثير المجاهدة.

* * *

يزيد بن المهلب

في سنة اثنتين ومائة، سار يزيد بن المهلب عن واسط، واستخلف عليها ابنه معاوية وجعل عنده بيت المال والأسراء، وسار على فم النيل حتى نزل العقر، وقدم أخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة، فاستقبله العباس بن الوليد بسوار، فاقتتلوا، فحمل عليهم أصحاب عبد الملك حملة كشفوهم؛ ومعهم ناس من تميم وقيس من أهل البصرة، فنادوا: يا أهل الشام! الله الله أن تسلمونا! وقد اضطروهم أصحاب عبد الملك إلى النهر. فقال أهل الشام: لا بأس عليكم، إن لنا جولة في أول القتال؟ ثم كروا عليهم، فانكشف أصحاب عبد الملك، فانهزموا وعادوا إلى يزيد. وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات إلى الأنبار وعقد عليها الجسر، فعبر وسار حتى نزل على ابن المهلب، وأتى إلى ابن المهلب ناس من أهل الكوفة كثير ومن الثغور، فبعث على من خرج إليه من أهل الكوفة ورُبّع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي، وعلى رُبّع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر، وعلى كندة وربيعه محمد بن إسحاق بن الأشعث، وعلى تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي، وجمعهم جميعاً مع المفضل بن المهلب

وأحصى ديوان ابن المهلب مائة ألف وعشرين ألفاً، فقال: لوددت أن لي بهم بخراسان من قومي؛ ثم قام في أصحابه فحرّضهم على القتال.

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالثخيلة، وشقّ المياه، وجعل على أهل الكوفة الأرصاد لئلا يخرجوا إلى ابن المهلب، وبعث بعثاً إلى مسلمة مع سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف، وبعث مسلمة، فعزل عبد الحميد عن الكوفة، واستعمل عليها محمد بن عمرو بن الوليد بن عتبة، وهو ذو الشامة.

فجمع يزيد رؤوس أصحابه، فقال: قد رأيت أن أجمع اثني عشر ألفاً، فأبعثهم مع أخي محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكف والزبل لدفن خندقهم، فيقاتلهم على خندقهم بقية ليلته، وأمدّه بالرجال حتى أصبح، فإذا أصبحت نهضت إليهم في الناس فأناجزهم، فإني أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم، فقال السميذع: إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وقد زعموا أنهم قبلوا هذا منا، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا. وقال أبو ربيعة، وهو رأس الطائفة المرجئة، ومعه أصحاب له: صدق، هكذا ينبغي.

فقال يزيد: ويحكم! أتصدّقون بني أمية أنهم يعملون بالكتاب والسنة، وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا؟ إنهم يخادعونكم ليمكروا بكم فلا يسبقوكم إليه، إنني لقيت بني مروان فما لقيت منهم أمكر ولا أبعد غدراً من هذه الجرادة الصفراء، يعني مسلمة. قالوا: لا نفعل ذلك حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا.

وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحثّ الناس على حرب أهل الشام، والحسن البصريّ يثبّطهم، فلما بلغ ذلك مروان قام في الناس يأمرهم بالجدّ والاحتشاد، ثم قال: بلغني أن هذا الشيخ الضالّ المرائي، ولم يسمّه، يثبّط الناس، والله لو أن جاره نزع من حصّ داره قصبة لظلّ يعرف أنفه! وأيم الله ليكنف عن ذكرنا وعن جمعه إليه سقاط الأبلّة وعلوج فرات البصرة أو لأنحينّ عليه مبرداً خشناً.

فلما بلغ ذلك الحسن، قال: والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه. فقال ناس من أصحابه: لو أردك ثم شئت لمنعناك. فقال لهم: قد خالفتمكم إذا ما نهيتكم عنه، آمركم أن لا يقتل بعضكم بعضاً مع غيري، وأمركم أن يقتل بعضكم بعضاً دوني! فبلغ ذلك مروان فاشتد عليهم وطلبهم وتفرقوا، وكف عن الحسن.

وكان اجتماع يزيد بن المهلب ومسلمة بن عبد الملك بن مروان ثمانية أيام، فلما كان يوم الجمعة لأربع عشرة مضت من صفر بعث مسلمة إلى الوضاح أن يخرج بالسفن حتى يحرق الجسر، ففعل، وخرج مسلمة، فعبأ جنود أهل الشام، ثم قرب من ابن المهلب وجعل على ميمته جبلة بن مخرمة الكندي، وعلى ميسرته الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي، وجعل العباس بن الوليد على ميمته سيف بن هانيء الهمداني، وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمي، وكان مسلمة على الناس.

وخرج يزيد بن المهلب وقد جعل على ميمته حبيب بن المهلب، وعلى ميسرته المفضل بن المهلب، فخرج رجل من أهل الشام، فدعا إلى المبارزة، فبرز إليه محمد بن المهلب، فضربه محمد، فاتقاه الرجل بيده وعلى كفه كف من حديد، فضربه محمد فقطع الكف، وأسرع السيف في كفه واعتنق فرسه، فانهزم.

فلما دنا الوضاح من الجسر ألهب فيه النار، فسطع دخانه، وقد أقبل الناس، ونشبت الحرب، ولم يشتد القتال، فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم أحرقت الجسر، انهزموا فليل يزيد: قد انهزم الناس. فقال: مم انهزموا؟ هل كان قتال يُنهزم من مثله؟ فليل له: قالوا أحرقت الجسر فلم يثبت أحد. فقال: قبّهم الله! بق دُخن عليه فطار! ثم خرج معه أصحابه، فقال: أضربوا وجوه المنهزمين، ففعلوا ذلك بهم حتى كثروا عليه، واستقبله أمثال الجبال، فقال: دعوهم، فوالله إنني لأرجو أن لا يجمعني وإياهم مكان أبداً، دعوهم يرحمهم الله، غنم عدا في نواحيها الذئب.

وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار، وكان قد أتاه يزيد بن الحَكَم بن أبي العاص الثقفي، وهو ابن أخي عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ،

ليس بينه وبين الحكم بن أبي العاص والد مروان نسب، وهو بواسط، فقال له: إن بني مروان قد باد ملكهم، فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر، فقال: ما شعرت؛ فقال ابن الحكم:

فعرش ملكاً أو مت كريمةً فإن تمت وسيفك مشهورٌ بكفك تُعذر
فقال: أما هذا فعسى. فلما رأى يزيد انهزام أصحابه، قال: يا سَمِيدَع أراي أجد أم رأيك؟ ألم أعلمك ما يريد القوم؟ قال: بلى، فنزل سميذع ونزل يزيد في أصحابهما. وقيل: كان على فرس أشهب، فأتاه آتٍ فقال: إن أخاك حبيباً قد قُتل. فقال: لا خير في العيش بعده، قد كنتُ والله أبغض الحياة بعد الهزيمة، وقد ازددتُ لها بغضاً، أمضوا قُدماً، فعلموا أنه قد استقتل، فسَلَّل عنه مَنْ يكره القتال وبقي معه جماعة حسنة وهو يتقدم، فكُلُّوا مرُّ بخيل، كشفها، أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه، وأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره. فلما دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب، فعطف عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه، فقتل يزيد والسميدع ومحمد بن المهلب.

وكان رجل من كلب، يقال له: القحّل بن عيَّاش، فلما نظر إلى يزيد، قال: هذا والله يزيد! والله لأقتلنه أوليقتلني! فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل إليه؟ فحمل معه ناساً فاقتتلوا ساعة وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً وعن القحّل بآخر رمقه، فأومأ إلى أصحابه يُريهم مكان يزيد، وأنه هو قاتله وأن يزيد قتله.

وأتى برأس يزيد مولى مرة، ف قيل له: أنت قتلته؟ قال: لا، فلما أتى مسلمة، سيَّره إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْط. وقيل: بل قتله الهذيل بن زُفر بن الحارث الكلابي، ولم ينزل يأخذ رأسه أنفة.

* * *

يوسف بن عمر

في سنة سبع وعشرين ومائة، سار مروان إلى الشام لمحاربة إبراهيم بن الوليد.

وكان سبب ذلك ما كان من مسير مروان بعد مقتل الوليد وإنكاره قتله وغلخته على الجزيرة، ثم مبايعته ليزيد بن الوليد بعدما ولّاه يزيد من عمل أبيه .

فلما مات يزيد بن الوليد، سار مروان في جنود الجزيرة، وخلف ابنه عبد الملك في جمعٍ عظيم بالرقّة، فلما انتهى مروان إلى قنسرين لقي بها بشر بن الوليد، كان ولّاه أخوه يزيد قنسرين، ومعه أخوه مسرور بن الوليد، فتصافوا، ودعاهم مروان إلى بيعته، فمال إليه يزيد بن عمر بن هُبيرة في القيسيّة وأسلموا بشرًا وأخاه مسرورًا، فأخذهما مروان فحبسهما، وسار معه أهل قنسرين متوجهًا إلى حمص .

وكان أهل حمص قد امتنعوا حين مات يزيد من بيعة إبراهيم وعبد العزيز، فوجّه إليهم إبراهيم عبد العزيز وجند أهل دمشق فحاصروهم في مدينتهم، وأسرع مروان السير، فلما دنا من حمص رحل عبد العزيز عنها وخرج أهلها إلى مروان فبايعوه، وساروا معه . ووجّه إبراهيم بن الوليد الجنود من دمشق مع سليمان بن هشام، فنزل عين الجَرّ في مائة وعشرين ألفًا، ونزلها مروان في ثمانين ألفًا، فدعاهم مروان إلى الكفّ عن قتاله وإطلاق ابني الوليد الحكم وعثمان من السجن، وضمن لهم أنه لا يطلب أحداً من قتلة الوليد، فلم يجيبوه، وجدّوا في قتاله، فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر، وكثر القتل بينهم .

وكان مروان ذا رأي ومكيدة، فأرسل ثلاثة آلاف فارس، فساروا خلف عسكره وقطعوا نهراً كان هناك، وقصدوا عسكر إبراهيم ليغبروا فيه، فلم يشعر سليمان ومَن معه وهم مشغولون بالقتال إلا بالخيل والبارقة والتكبير في عسكرهم من خلفهم، فلما رأوا ذلك انهزموا ووضع أهل حمص السلاح فيهم لحنقهم عليهم، فقتلوا منهم سبعة عشر ألفًا، وكفّ أهل الجزيرة وأهل قنسرين عن قتلهم، وأتوا مروان من أسرائهم بمثل القتلى وأكثر، فأخذ مروان عليهم البيعة لولدي الوليد ونحلي عنهم ولم يقتل منهم إلا رجلين، أحدهما يزيد بن العقار، والوليد بن مصاد الكلبيّان، وكانا ممّن وليّ قتل الوليد، فإنّه حبسهما، فهلكا في حبسه، وهرب يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ فيمّن هرب مع سليمان إلى دمشق، واجتمعوا مع إبراهيم

وعبد العزيز بن الحجاج، فقال بعضهم لبعض: إن بقي ولدا الوليد حتى يُخرجهما مروان ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قَتَلَة أبيهما والرأي قتلهما، فرأى ذلك يزيد بن خالد، فأمر أبا الأسد مولى خالد بقتلهما، وأخرج يوسف بن عمر، فضرب رقبتيه، وأرادوا قتل أبي محمد السفيناني، فدخل بيتاً من بيوت السجن، وأغلقه فلم يقدرُوا على فتحه، فأرادوا إحراقه فلم يؤثروا بنار حتى قيل قد خلت خيل مروان المدينة، فهربوا وهرب إبراهيم واختفى، وانتهب سليمان ما في بيت المال، فقسمه في أصحابه وخرج من المدينة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب	٥
الفصل الأول	
في أخبار المصلوبين وتصميم	
* جثة أحمد الخزاعي تُصلب ست سنين	٩
* صُلب ابن أبي الفوارس	١٠
* صُلب أحمد بن علي الغساني	١٠
* صُلب رأس الأمير إسماعيل حاكم العراق	١٠
* صُلب أعرابي	١١
* ابن حلبة يُصلب على السور	١١
* صُلب ابن حماد وحمي التاجية وابن زريق	١١
* صُلب رأس ابن الطراح	١١
* ابن مكانس يُصلب منكساً ١٢	١٢
* صُلب ابن الأنصاري	١٢
* صُلب أبي جعفر بن عطية	١٢
* صُلب ابن أبي عون	١٣
* صُلب ابن عائشة	١٤
* ابن المسلمة يُصلب حياً	١٥
* صُلب ابن مسلم	١٥
* صُلب أبي الحسين البريدي والأكراد	١٥
* صُلب أشبانس	١٦

الموضوع	الصفحة
* صَلْبُ الْأَفْشِينِ	١٨
* صَلْبُ أَهْلِ حَمَص	١٨
* صَلْبُ أَنْكَلَايِ بْنِ الْخَيْثِ وَسَلِيمَانَ بْنِ جَامِع	١٩
* صَلْبُ أَهْلِ قَرْطَبَة	٢٠
* صَلْبُ الْأَمِينِ	٢١
* صَلْبُ بَابِكِ الْخُرْمِيِّ وَأَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ	٢٥
* صَلْبُ بَطْرُسَ وَبُولُسَ	٢٦
* صَلْبُ بُغَا الشَّرَابِيِّ	٢٧
* صَلْبُ بُنْدَارِ الطُّبْرِيِّ	٢٨
* صَلْبُ تَرْكِي ثَارَ مِنَ الْفَقْرِ	٢٨
* سُلْطَانُ الْهِنْدِ يَصْلُبُ التَّجَارَ وَصَهْرَهُ	٢٩
* صَلْبُ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ	٢٩
* صَلْبُ ثَابِتِ بْنِ نَعِيمَ وَأَوْلَادِهِ	٢٩
* قِصَّةُ صَلْبِ جَعْفَرِ الْبَرْمَكِيِّ	٣٠
* جَمَاعَةُ سَكِينٍ يُصَلِّبُونَ أَحْيَاءَ	٣٣
* جَمَاعَةٌ مِنْ مَلُوكِ الشَّامِ صَلَبُوا يَوْشَعَ	٣٤
* صَلْبُ الْحَاجِّ بَدُورِ الْخِيَمِيِّ	٣٦
* صَلْبُ الْحَسَنِ بْنِ أَسَدَ	٢٦
* حَسَنٌ عَلِيٌّ يُصَلَّبُ عَلَى أَبْوَابِ هَمْدَانَ	٣٦
* صَلْبُ الْحَلَّاجِ	٣٧
* صَلْبُ الْحَسَنِ بْنِ مَنْصُورِ الْحَلَّاجِ	٣٧
* صَلْبُ حَيَاةِ بْنِ الْوَلِيدِ	٣٩
* صَلْبُ الْحَسَنِ بْنِ حَرْبِ الْكَنْدِيِّ	٤٠
* صَلْبُ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ	٤١
* صَلْبُ خَارِجِيٍِّّ	٤٢
* صَلْبُ خَلْفِ بْنِ حُسَيْنَ	٤٢
* صَلْبُ دَعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ	٤٣

الموضوع	الصفحة
* تعليق الدمشقيين وعرب هواراة وابن الفرات	٤٤
* صَلْب ديوشتى دهقان سمرقند وسبغرى	٤٤
* ربيع يُصَلَّب في وقعة بالس	٤٥
* صَلْب رشيد الهجري	٤٦
* صَلْب رؤساء قرطبة	٤٦
* صَلْب رؤساء نهاوند وقاضيه	٤٧
* صَلْب قوم من الزنج	٤٧
* صَلْب زُهَيْر بن المسيب	٤٨
* أمير الأندلس يسمُل عيني زياد اللخمي ويصلبه	٤٩
* قصة صَلْب زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	٥٠
* السلطان الكامل يُصَلَّب على باب الفراءيس	٥٣
* صَلْب سَهْم بن غالب	٥٤
* صَلْب الشحنة	٥٥
* صَلْب شَمِيلَة	٥٥
* المهدي يصلب صالح بن عبد القدوس	٥٥
* صَلْب رأس صالح بن وصيف	٥٦
* صَلْب طَوَّاف بن غَلَّاق	٥٦
* عبد الرحمن بن محمد (ابن أبي عامر) يصبر ويعلَّق	٥٧
* صَلْب عبد الرشيد الصوفي	٥٧
* صَلْب عبد الله بن حليس وعبد السلام بن أبي الماضي	٥٧
* قِصَّة صَلْب عبد الله بن الزُّبَيْر	٥٨
* صَلْب عبد الرحمن بن يوسف	٦٥
* صَلْب عبد الرحمن الملقَّب بالناصر	٦٦
* صَلْب عبد الملك بن قَطَن	٦٨
* عيد المؤمن يُسَمَّر ويُصَلَّب	٦٩
* صَلْب عبدان بن الموفق حيًّا	٦٩
* صَلْب عُروَة بن أَدِيَّة	٧٠

الموضوع	الصفحة
* صَلْب عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ	٧٠
* صَلْب عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ مَجْرَداً	٧١
* قِصَّةُ صَلْبِ عِيسَى بْنِ خُضَيْرٍ وَأَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ	٧١
* رَفْعُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ إِلَى السَّمَاءِ وَصَلْبُ مَنْ شُبِّهَ بِهِ	٧٦
* صَلْبُ غِيلَانَ الْقَدْرِيِّ	٧٩
* صَلْبُ قَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو الْجُدَامِيِّ	٧٩
* صَلْبُ قَاضِي مِيَا فَارْقِينَ وَابْنِ الطَّبْرِيِّ	٨٠
* صَلْبُ قَوَادِ الزَّيْجِ	٨٠
* صَلْبُ الْكِرْمَانِيِّ	٨١
* صَلْبُ كُورِصُولَ مَلِكِ سَمَرْقَنْدٍ	٨٣
* قِصَّةُ صَلْبِ مَازِيَارٍ وَآخَرِينَ	٨٤
* مَدَّعِي النُّبُوَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ	٩١
* صَلْبُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ	٩١
* صَلْبُ مُحَمَّدِ الْبَوَّابِ	٩٢
* صَلْبُ مَزْدَكٍ وَبَعْضُ الزَّنَادِقَةِ	٩٢
* صَلْبُ الْمُعَارِكِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ	٩٣
* صَلْبُ الْمُفَضَّلِ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَآخَرِينَ	٩٥
* صَلْبُ رَأْسِ الْمُقْتَدِرِ	٩٧
* صَلْبُ مَلَّاحٍ	٩٧
* صَلْبُ مَهْدَبِ الدَّوْلَةِ	٩٩
* صَلْبُ نَازُوكٍ	٩٩
* صَلْبُ النَّسْفِيِّ	١٠٤
* صَلْبُ نَصْرِ بْنِ سَاوَا	١٠٤
* صَلْبُ نَصْرِ بْنِ عَبَّاسٍ	١٠٤
* صَلْبُ هَارُونَ بْنِ غَرِيبٍ	١٠٥
* صَلْبُ وَاضِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِيِّ	١٠٦
* صَلْبُ وَرْنِيسٍ	١٠٦

الموضوع	الصفحة
* قصّة صلب الوليد بن يزيد	١٠٦
* صلب يحيى بن زيد بن عليّ بن الحسين	١١٢
* صلب يحيى بن عمر	١١٢
* صلب يزيد بن الوليد	١١٥
* صلب يوسف وعنبر	١١٦
* صلب يوسف بن إبراهيم	١١٦
* صلب بالجملة	١١٦
* تعليق أكفان مسلم بن عقبة	١١٧
* ستة وثلاثون رجلاً يُقطّعون ويُصلّبون	١١٧
* أحد وجهاء حران يُصلب مع ابني أخيه	١١٧
* صلب ولد جمال الدين	١١٨
* ميرزا يصلب زوجة أبيه	١١٨
* القاهر يعلّق امرأة أبيه	١١٨
* صلب القاتل وجدع أنف المغنية	١١٨

الفصل الثاني

في أخبار المعتّبين

* مروان الجعدي يقطع لسان كاتبه	١٢١
* المتوكل يأمر بسلّ لسان ابن السكّيت	١٢١
* المأمون يأمر بسلّ لسان العكوك الشاعر	١٢١
* الجاموس والمحجوب يموتان مسّمرين	١٢٢
* أبو جعفر الكرخي يُسمّر ويُصلّب	١٢٢
* ابن السلار يعذب الموفق	١٢٢
* ذبيح مؤنس ويلبّق وولده علي	١٢٥
* ذبيح محمد بن أبي خالد والطواف برأسه	١٢٥
* المنصور يخنق عمه عبد الله بن علي	١٢٤
* خنق ابن الجوّاري	١٢٤

الموضوع	الصفحة
* مروان يُخنق خنقاً	١٢٤
* الصالح يخنق أخاه العادل	١٢٥
* المعتمد يموت في خابية	١٢٥
* التعذيب بالمساهرة	١٢٥
* عبد الملك يعذب سعيد بن المسيب	١٢٦
* عمر بن عبد العزيز يعذب حبيب	١٢٦
* المتوكل سليمان بن وهب في الكنيف	١٢٧
* المأمون يعذب جاريته «عريب» في الكنيف	١٢٧
* إبراهيم الموصلي يعذب في الحبس	١٢٧
* المنصور يعذب عبد الله بن الحسن في سرادب	١٢٨
* حبس في المطبق حتى مات	١٢٨
* المعتصم يعذب أحمد بن الخليل في البئر	١٢٨
* المهدي يحبس يعقوب بن داود في بئر	١٢٩
* صاحب الزنج يسلق الأسرى	١٢٩
* أحد قتلة الحسين يموت حرقاً	١٣٠
* المعتضد يشوي شيلمة	١٣٠
* معز الدولة يسمل عيني المستكفي	١٣١
* السلار يسمل عيني الكردي	١٣١
* سمل عيني الحيري ونش قبره	١٣٢
* الراضي يسمل عيني القاهر	١٣٢
* ابن حسان يُحرق حياً	١٣٢
* المعتصم يدفن عمرو الفرغاني حياً	١٣٣
* الوليد بن عبد الملك يدفن وضاح اليمن حياً	١٣٣
* المنصور ييني على محمد بن الحسن وهو حي	١٣٣
* المقطوع الذكر	١٣٤
* غلام يقطع ذكر العسكري	١٣٤
* قطعوا ذكره ووضعوه في فمه	١٣٤

الموضوع	الصفحة
* صاحب شمس الذين بن موسى يعذب عصراً	١٣٥
* المهتدي العباسي يُقتل بعصر خصيته	١٣٥
* هشام بن عبد الملك يقلع أضراس عمارة الكلبي	١٣٦
* قائد المماليك يأمر بقلع أضراس الأجر	١٣٦
* المطيع يجده أنف محمد بن عبد الله	١٣٦
* فخر الدولة يجده أنف وزيره	١٣٧
* قلع عينيه وأسنانه وجدع أنفه	١٣٧
* نتف لحية يوسف بن عمر	١٣٨
* مسلم بن عقبة يأمر بنتف لحية عمرو بن عثمان	١٣٨
* بعض من عذب بالتدخين ومات	١٣٨
* مجملد الملك اليزدي يُسلخ ويؤكل	١٣٩
* الحسن بن نصر يُسلخ وتأكله عبيد المنصور	١٣٩
* سلخ جلد أبي نخيلة الراجز	١٣٩
* الخليفة الحافظ الفاطمي يسمر يدي كاتبه	١٤١
* تعذيب خالد القسري بالمضرسة	١٤١
* حبس محمد بن عبد الملك الزيات في تنور	١٤٢
* عبد الله بن المقفع تقطع أوصاله	١٤٣
* أخورافع بن الليث يقطع أشلاء	١٤٤
* خمار يقطع إرباً	١٤٤
* إخراج الروح من طريق آخر	١٤٤
* شدة الجوع حملها على أكل الصبي	١٤٥
* روح إسماعيل بن بليل تخرج بالضراط	١٤٥
* جارية الأمين تطرح للسباع	١٤٦
* اشترى لنفسه القتل بعشرة آلاف درهم	١٤٦
* فيروز بن حصين يعذب بالقصب	١٤٧
* كيف كان تيمورلنك يعذب الناس؟	١٤٧
* خالد بن عبد الله القسري يُعصر عصراً	١٤٧

الصفحة

* الأمير أقوش الأفرم يبيح دماء أهالي كسروان ١٤٨

الفصل الثالث

في أخبار المقطمى الرؤوس

- * إبراهيم بن الأشتر ١٥١
- * إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ١٥٣
- * ابن أرمانيوس، بطريق البحر ١٥٨
- * ابن الجارود ١٥٨
- * ابن زياد ١٦٠
- * ابن طالوت القرشي ١٦٢
- * ابن الفرات ١٦٣
- * ابن نصر بن سيار ١٦٤
- * أبو تغلب بن حمدان ١٦٥
- * أبو زاكى ١٦٦
- * أبو السرايا السري بن منصور ١٦٨
- * أبو الصلت ١٧٢
- * أبو فراس بن حمدان ١٧٣
- * أبو كرب بن المنذر بن ماء السماء ١٧٣
- * أبو ليلي الحارث بن عبد العزيز ١٧٥
- * أبو محمد بن عبد الله السفيناني ١٧٥
- * أحمد بن علي ١٧٧
- * أحمد بن محمد بن عبد الله ١٧٧
- * أحمد بن نصر بن مالك الخُزاعي ١٧٨
- * أخوال السفاح ١٨٠
- * الأسود العنسي ١٨١
- * أصحاب أبي أحمد شقيق المعتمد ١٨٥
- * أصحاب بابك الخرمي ١٨٧

الصفحة

١٨٨	* أصحاب الحسين بن إبراهيم
١٨٩	* أصحاب لذريق بالأندلس
١٩٠	* أصحاب محمد بن عبد الله
١٩٢	* أصحاب المحارق
١٩٤	* أغعين
١٩٥	* أمية بن معاوية بن هشام
١٩٥	* أهل طليطلة
١٩٦	* أهل طليطلة
١٩٦	* بجكم
١٩٨	* بدر غلام المعتضد
١٩٩	* بشر بن شميظ
٢٠٥	* بشير بن الليث
٢٠٦	* بطريق الروم
٢٠٧	* بنو عنزة وشيبان
٢٠٧	* العريان يضرب رقاب بني تميم
٢٠٨	* جبلة بن زحر
٢١٠	* الجُلندي وأصحابه (وهم عشرة آلاف)
٢١١	* جُمهور بن مرار العجلي
٢١٢	* جوارى يوسف بن عمر الثقفي
٢١٣	* حاتم بن الحارث
٢١٤	* حبيب بن مُطهر
٢١٥	* الحجاج بن حميد النضري
٢١٧	* حُجر بن عدي
٢١٧	* الحسين وأصحابه
٢١٨	* الحسين بن علي بن الحسن
٢٢٢	* الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان
٢٢٥	* حمدون بن نصر

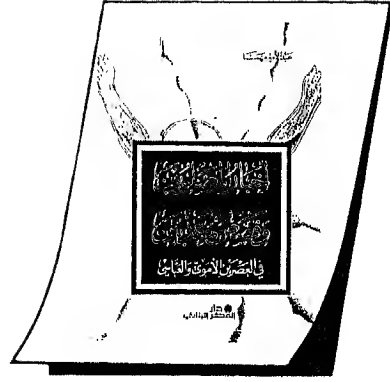
الصفحة

٢٢٦	* خارجي من البربر
٢٢٦	* خالد المروزي
٢٢٧	* خالد بن محمد المادرائي
٢٢٧	* الخبيث
٢٣٠	* داود بن هُبيرة
٢٣٤	* دهقان بخارى
٢٣٥	* ذاهر ملك السند
٢٣٧	* رافع بن هرثمة
٢٣٩	* رستم
٢٤١	* رشيق النسيمي
٢٤١	* رؤوس بني شجاع
٢٤٢	* رؤوس أصحاب الخبيث
٢٤٤	* الروم
٢٤٤	* رؤوس الأعراب
٢٤٥	* روم يقتلهم أبو الأغلب
٢٤٥	* الرِّطْ
٢٤٥	* الزنج يتقاسمون لحوم القتلى
٢٤٦	* سعيد بن جبير
٢٤٨	* سُرخبيل
٢٥٠	* صاحب سِجْلَمَاسَة
٢٥٠	* الصقلبي عبد الرحمن بن حبيب الفهري
٢٥٠	* طرخان أكبر قواد بابك
٢٥١	* عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر
٢٥١	* عبد الله بن خازم
٢٥٣	* عثمان بن علي
٢٥٤	* علي بن بليق
٢٥٤	* عمار بن ياسر

الصفحة

٢٥٦	* عمرو بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين
٢٥٨	* قَطْرِيَّ بن الفُجاءة
٢٥٩	* الملك لختيعة
٢٦٠	* ليلى بن النُّعمان الديلمي
٢٦١	* مروان بن محمد بن مروان الحكم
٢٦٤	* المستعين
٢٦٥	* المقنّع
٢٦٦	* لبيد بن عمرو الغساني يقطع رأس (المنذر بن المنذر بن ماء السماء)
٢٦٨	* نصيب السُّلمي
٢٦٩	* وصيف
٢٦٩	* الوليد بن طريف الخارجي
٢٧١	* الوليد بن عبد الملك
٢٧٤	* الملك هيرودس يقطع رأس (يحيى بن زكريا)
٢٧٦	* يزيد بن خالد القَسْرِي
٢٧٦	* يزيد بن المهلب
٢٧٩	* يوسف بن عمر
٢٨٣	فهرس الموضوعات





أخبار المصلوبين وقصص المعذبين

هذا الكتاب يبين هذا الكتاب كيف ابتلي الناس في مختلف
عصور التاريخ بأشخاصٍ اتَّصفوا بالظلم والقساوة والتنكيل
والبغي، فعذبوا، وأهانوا، وجاروا، وأبادوا أئماً وخلائقاً، وكانت
عاقبتهم سوء المصير.

هذا الكتاب فريد من نوعه، يدخل إلى صميم التاريخ
ويلتقط لنا مشاهد وصوراً عن ألوانٍ شتى من التعذيب الذي كان
يُمارَس في بعض الحقب الإسلامية من صلب الجثث، وتقطيع
الأوصال، وسلخ الجلود، وسمل العيون، وقطع الرؤوس، وبقر
البطون، وقلع الأظافر والأسنان، وسلّ الألسن، بطرقٍ همجيّةٍ
تقشعرُ لها الأبدان، وتحبس عند ذكرها الألسن، وترتعش عند
تدوينها الأقلام، تدلُّ على ما عند بعض الناس من وحشية لا يتدنّى
إليها حيوان الغاب، وتبتعد كلّ البعد عمّا جاء به الإسلام من
الدعوة إلى التآخي والرحمة والعطف والتواصل. . . وعمّا قاله نبيّنا
محمد ﷺ في كلمته المشهورة: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

الكتاب سجلٌّ واسعٌ دُوِّنَ فيه أخبارُ المصلوبين، وسُجِّلَتْ
على صفحاته ألوانُ التعذيب المختلفة، فهو جديرٌ بالقراءة والتأمّل.

الناشر

دار
المفكر اللبناني